كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

جامعة قطر
QATAR UNIVERSITY

قسم اللغة العربية

برنامج ماجستير اللغة العربية

مسار الأدب والنقد

جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالبة:

جيهان عوض أبو العمرين

رقم القيد:201200797

إشراف الأستاذ الدكتور:

حبيب بو هرور

أعضاء لجنة التحكيم	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة

السنة الجامعية : 1435-1434/ 2014 - 2013

"وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"

صدق الله العظيم

سورة هود آية "88"

الإهداء

إلى والديّ الغاليين أمي وأبي حفظهما الله

إلى إخوتي خالد، محمد، عمر، لبنى

إلى أسرتي الصغيرة، زوجي العزيز ، وزهرات قلبي

مريم، سارة، دانية، أحمد

إلى كل من ساعدني وأرشدني، وعلى الخير عاهدني، فمنهم تعلمت أنَ الحياة إقدام في إقدام ... إلى أصدقائي وصديقاتي ... زملائي وزميلاتي...

إليكم جميعا، أهدي ثمرتي الأولى بين أيديكم...

هذا والله الموفق

جيهان أبو العمرين

مقدمة :

شكل المكان بؤرة فنية وباعثا ملهما لكثير من الأدباء والشعراء ،فهو مسرح حدوث الأفعال وفق العلاقة الجدلية بين الإنسان ومكانه، سواء أكانت بالنفور أم بالمحبة أم الارتباط.

يحتل المكان مساحة كبيرة في حياة الإنسان؛ فهو يبدأ في رحم الأم بيولوجيا، وينتهي في قبر يحمل حصيلة العمر بأكمله ثيولوجيا؛ ولذا فإنه لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان؛ بل إن هذا الكون الفسيح الذي نعيش فيه ما هو إلا جزء من مكان أكبر منه يحتويه ويحتوينا.

والأديب أيًّا كان شاعرا أو ناثرا، هو إنسان تربطه علاقات ولاسيما جدا بمكانه، تختلف عن باقي علاقات الناس جميعا؛ لأنه يحس المكان و يستشعره بقلبه ومشاعره؛ حتى أضحى المكان ينطق بكل ما يحّس به هذا الأديب.

لو تتبعنا أهمية المكان منذ القديم لوجدنا أن المكان قد شغل في الأدب العربي مساحة شاسعة من التمظهر في كافة الأجناس والأنواع الأدبية، بدءا بالوقوف على الأطلال في العصر الجاهلي، وصولا إلى محاكاة تلك المقدمات الطللية في العصر الحديث . إلاّ أن الوقوف على الأطلال وتذكر أماكن المحبين لاتزال تتربع على كافة أنواع مقدمات النصوص الشعرية، وهذا بحد ذاته دليل كاف على أن المكان له خصوصية فنية لدى الشاعر، فهو ملهم وباعث لكافة أشكال وتمظهرات وأبعاد الأفكار، والرؤى التي يسعى إلى ترسيخها بأي حال من الأحوال. وعليه فإن المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس فيه كافة أنشطة حياته الطبيعية يتحول مع مرور الزمن من مجرد مكان له زوايا وحدود ومساحات، إلى فكر ثقافي ومعتقد ديني، ورؤيا فلسفية وسياسية تسيطر على الإنسان وتوجهه وفق قناعات تأثر بها ويسعى لنشرها بصورة أو بأخرى.

لا يهدف هذا البحث إلى التأسيس النظري والإسهاب في المكان وفلسفته، بقدر ما يعمل على استجلاء جماليات المكان وبلاغته في شعر تميم البرغوثي المدون باللغة العربية الفصحى والمتمثل في ديوانيه " في القدس، مقام عراق ".

ظهر تميم البرغوثي في السنوات الأخيرة بوصفه لسانا عربيا ناطق بهموم أمته ومجتمعه، عبر بفنية وتماثل مع مستويات المكان عن رؤى سياسية واجتماعية، وتناقضات على كافة مستويات السياسية والدينية، عبر نصوص شعرية تجاوز فيها حدود المكان؛ ليحلق بها في أفق إبداعي ، يسعى من خلاله لتشكيل إنسان العصر الحديث، و استظهار معالم هويته وفق معطيات عصر العولمة الذي نحيا فيه. لذلك وجدت المكان عند تميم مثيرا لحس المواطنة تارة، وقد يكون مستلبا تارة أخرى ، أو أنه امتداد لتاريخ مضى وقلب نابض بعراقة لا يخبو نورها إلى يومنا هذا.

إن فرادة تميم لا تكمن–حسب تقديري - في تجلي المكان في شعره بشكل ملفت للنظر فحسب؛ بل إن الفرادة تتمثل في ذلك الانزياح اللغوي الشعوري الذي فرض نفسه وبقوة على

مكانه، فحوّله من مجرد مكان واقعي إلى بعد متخيل، يضفي على نصه زخما ثقافيا ورؤيويا واسعا؛ فتتيح له فرصة كبيرة لنسج مقاربات نقدية قد تكون مماثلة أو غير ذلك لدى المتلقي العربي بمختلف قناعاته.

من هنا بدأت عنايتي بتتبع واستقصاء تجليات المكان و تمظهراته عند تميم البرغوثي وفق عدة محاور أساسية تبدأ من دلالات المكان وأبعاده ومستوياته وتنتهي بإبراز جماليات المكان وبلاغته في المتن الشعري المنظوم بالفصحى، ولاسيما حين وقفت على تجارب كثيرة لأدباء وشعراء معاصرين، استطاعوا أن يربطوا بين مستوى الخلق والإبداع الشعري، ومستويات المكان وأبعاده المختلفة.

وقد ازداد اهتمامي بهذا الموضوع عندما بدأت في البحث عن الدراسات الموازية التي اهتمت برصد تمظهرات المكان وتشكلاته ،عند الشاعر تميم البرغوثي فوجدت أن هذا الرصد الثقافي الذي أبحث عنه يكاد يكون منعدما إلا من مؤلَّف واحد وحسب في مثيرات الأسلوب الشعري عند تميم البرغوثي وبعض من المقاربات النقدية لشعره المنشورة ضمن المجلات الالكترونية والمواقع الأدبية؛ لذلك كان هذا الأمر دافعا لي في إثراء الساحة الفكرية بدراسات وأبحاث حول جماليات المكان عند تميم البرغوثي ، وانطلاقا من هذه الدراسات والمقاربات النقدية القليلة، رأيت بكل تواضع أن فضاء البحث في موضوع جماليات المكان عند تميم البرغوثي مازال محدودا لأنني أعتقد أن طموحات أي باحث أكاديمي لا يمكنها أن تتحقق بالنسبة المرجوة عند أي باحث؛ لهذا؛ يبقى مجال البحث فيه مفتوحا ينتظر مقاربة وقراءة أخرى، تحاول أن تجلي شيئا من المتشاكل والمختلف في مواضيع البحث المتقاربة.

من هنا قررت أن أتناول بالبحث والدراسة موضوع جماليات المكان وبلاغته عند تميم البرغوثي ،وقد قامت إشكالية هذا البحث على سند يعتمد التساؤل لتحقيق الإطار النظري والتطبيقي للموضوع، وفق حوار يتكئ على جملة من الأسئلة منها:

1-ماهية المكان في المنظور الفلسفي والاجتماعي والفني؟

2-كيف تشكلت أبعاد المكان ومستوياته في شعر تميم المنظوم بالفصحى؟

3-هل استطاع تميم خلق الانزياحات الشعورية والروحية عبر ذلك التشكيل المكاني؟

4- كيف تمظهرت الجماليات المكانية لغة وصورة في شعر تميم"؟

5- ماأثر ذلك التمظهر والتشكل الفني والجمالي على المتلقي؟

وغيرها من الأسئلة التي زاحمت بعضها البعض في محاولة منها لاستجلاء روح المكان عند تميم البرغوثي ، إلا أنني وقفت عند دراسات أدركَت أن للمكان دورا كبيرا في رهان الشعر والشاعر معا،أذكر أحدثها فيما يأتي:

1. دلالات المكان في الشعرالفلسطيني المعاصر بعد 1970، لـ"جمال مجناح "وهوبحث مقدم لنيل درجةدكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث 2008

2. بلاغة المكان، لـ" فتيحة كحلوش" 2008.
3. جماليات المكان في الشعر الجزائري، لـ" محمد صالح خرفي" وهي أطروحة دكتوراة 2005-2006.
4. فلسفة المكان لـ " حبيب مونسي"،2001م.
5. جماليات المكان، لـ" غاستون باشلار" ترجمة غالب هلسا .

اتضح لي من الدراسات السابقة بعد مراجعتها أن عددا منها لم يستجل فنية المكان وجماليته وبلاغته بدقة؛ فأغلب الدراسات التي اطلعت عليها– في حدود ما توفر لي - ركزت جهدها على جزئية من جزئيات المكان دون التركيز على دلالاته وأبعاده ومستوياته المكانية والجمالية والفنية؛ لذا تطلبت طبيعة البحث القيام بدراسة النتاج الشعري المنظوم بالفصحى للشاعر كاملا ممثلا في ديوانين أحدهما موسوم ب" في القدس"، ويحتوي على 24 قصيدة، والآخر "مقام عراق" وهو عبارة عن قصيدة طويلة، كل ذلك من أجل الكشف عن دلالات المكان وأبعاده ومستوياته، ثم الوقوف على تلك الجماليات الفنية والبلاغية المتمثلة في اللغة والصورة الشعرية، والتي تمظهرت بقوة في الديوانين عبر تشكل المكان بين الحروف والسطور، معتمدة في ذلك كله على مراجعة الدراسات السابقة تجنبا للتكرار من جهة والبناء عليها من جهة ثانية رغبة في تقديم إسهام معين .... .

انطلقت في مسار البحث من أهداف منها:

- ✓ دراسة ومقاربة ظاهرة شعرية حداثية لأنموذج متفرد (في تقديري).
- ✓ التعرف على الآليات الجمالية للمكان في القصيدة العربية المعاصرة وعند تميم البرغوثي بوجه خاص .
- ✓ رصد المدونة الشعرية المعاصرة وتفعيلها عند تميم البرغوثي .

بناء على الفرضية الرئيسة التي يقوم عليها هذا البحث أعتقد أن أقرب المناهج النقدية التي يمكن أن نقارب من خلالها موضوع دراستنا هو المنهج التاريخي الذي يتيح للباحث أن يتتبع الظاهرة الشعرية ويرصد تشكلات المكان عبر مسارات مختلفة ، فضلا عن أن البحث النقدي لايخلو من الاستعانة ببعض المفاهيم والأدوات الإجرائية مثل الوصف ،التحليل،والتأويل وغير ذلك من عمليات وإجراءات منهجية أصبحت مكونا رئيسا من مكونات أغلب المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية.

وبعد تحديد أهداف ومنهج البحث وآلياته قمت بتقسيمه على أربعة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: عنونته ب_" ماهية المكان وفلسفته" وقسمته إلى أربعة مباحث هي :المكان بين الماهية والمفهوم،والمكان فلسفيا،وحضور المكان وتجلياته في الفكر الاجتماعي،والمكان من منظور فنيَ إبداعي.

الفصل الثاني: جاء عنوانه: "التمظهر الإجرائي للمكان" وقد قسمته إلى أربعة مباحث أيضا تناولت فيها مايأتي: أنواع المكان، ودلالة المكان وأبعاده ومستوياته، ويندرج تحت كل مبحث عناصرأخرى أسهمت بموضوعية في عمليةالشرح والتفصيل والمقاربة.

أما الفصلين الثالث والرابع فلقد خصصتهما للمقاربة التطبيقية للديوانين المعنيين بالدراسة فتناولت في الفصل الثالث تجليات المكان،البعد والدلالة في شعر تميم البرغوثي عبر المباحث الآتية: تميم البرغوثي شاعرا وإنسانا،والبعد النفسي والاجتماعي،البعد الوطني والسياسي، والبعد التاريخي والديني.

أما الفصل الرابع والأخير فعنونته بـ"مستويات المكان وبلاغته في المتن الشعري عند البرغوثي وقسمته إلى مباحث رئيسة هي :مستويات المكان في المتن البرغوثي.وبلاغة المكان وجمالياته لغويا وفنيا في المتن البرغوثي. والمكان وخصوصية التركيب.

وانتهى البحث إلى خاتمة جاءت عبارة عن خلاصة ماتوصلت إليه من نتائج عرضتها في شكل نقاط متسلسلة شملت كل الفصول ،وقداعتمدت في هذاالبحث على ديواني الشاعر المنظومين بالفصحى،كمااعتمدت أيضا الكثير من المصادر والمراجع والدراسات الأكاديمية،والكتب النقدية والفكرية،بالإضافةإلى استعانتي ببعض المعاجم المتخصصة،كما كان للوسائط الإلكترونية المختلفة ولاسيما مواقع (الانترنيت)دور كبيروفعال،في تذليل الكثير من الصعاب التي واجهتني .

كما واجهتني صعوبات عديدة أثناء إنجاز هذا البحث،أساسها صعوبة جمع المادة، فضلا عن صعوبة الحصول على ديوان" في القدس" في مصر ،أضف إلى ذلك ندرة المصادر الورقية والمراجع المتوفرة مما تطلب مني جهدا كبيرا في التواصل مع دور النشر لتوفير المراجع والمصادر المطلوبة .

وبعد... فإن كان في هذا البحث الكثير من النواقص فأملي أنني أرسم مع غيري طريقا تأسيسيا للمكان " التميمي " ليكون رافدا من روافد المقاربات النقدية في الأدب العربي، إضافة إلى المساهمة في تمهيد الطريق لغيري من الباحثين لدراسة تميم البرغوثي ؛لذا فإن الباب مازال مفتوحا لاستقصاء جوانب أخرى من تجربة تميم المكانية.

لايسعني في الأخير سوى أن أتقدم بالشكر لكل من أسهم من قريب أو من بعيد في المساعدة على توفير الظروف الحسنة،والملائمة لإنجاز هذا البحث،وإتمامه في آجاله المحددة له قانونا،فأتوجه بالشكر إلى قسم اللغة العربية بجامعة قطر،أساتذة وهيئات إدارية،على كلّ مالقيت منهم من ترحيب ورعاية،ومتابعة مسؤولةلمسارهذاالبحث عبر سنتيه.كما أقدم شكري الخاص إلى أستاذي الفاضل،دليلي في هذه المرحلة العلميةالشاقة: الأستاذالدكتور حبيب بوهرور الذي كانت رعايته لي عبر مراحل البحث رعاية قيمة،أساسها تلك التوجيهات الفنية والمنهجية السديدة،التي ظلّ يحرص على تزويدي بها بين الفترة والأخرى،فلا أجد ماأرد به جميله،سوى الوقوف أمامه معترفة بفضله علي وعلى بحثي هذا.

هذا والله الموفق

الطالبة / جيهان أبو العمرين

الفصل الأول

ماهية المكان وفلسفته

أولا :المكان بين المفهوم والماهية

يُعد المكان بابا من بوابات مقاربة النصوص الأدبية لغة ونقد، ويشكل مرتكزا أساسيا في نظريات اللغة والأدب على حدَ سواء.

لقد ارتبط الإنسان بالمكان ارتباطا ملازما؛بدءا من كينونته الأولى وانتهاء به حتى بعد الممات؛ ولذا شغل المكان حيزا كبيرا في فكر الأقدمين والمحدثين على حدَ سواء .. وبرزت هذه العناية بكمية وافرة وليست –بالهينة – من الدراسات التي تناولت المكان من كافة الجوانب؛لذا لعب المكان دورا كبيرا في الفكر الإنساني وتعددت الآراء في تعريفه ومقاربة مفهومه وماهيته ، فهناك من يعرفه بالفضاء ، بالحيز ، بالفراغ ، أو بأنه المكان الذي يولد الإنسان فيه وتتكون هويته ، ولقد رأيت وأنا أراجع وأحضر لهذا المبحث أن هناك خلطا بين ماهية المكان ومفهومه ، فالماهية بيان لحقيقة الشيء وذاته التي تميزه عمّا سواه، أما المفهوم فكرة أو صورة عقلية تتكون عبر الخبرات المتتابعة التي يمر بها الفرد سواء أكانت هذه الخبرات مباشرة أم غير مباشرة ؛ ولذا سأحاول أن أفرق بين ماهية المكان ومفهومه من جانب ، ومن جانب آخر وددت جمع وقراءة ومقاربة أكبر تعريفات ممكنة للمكان عبر جولة في الكتب والمصادر .

يرى"غاستون باشلار(1884 – 1962) أن المكان هو " البيت ، هو كل شيء،إذ يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة ، هو مكان الألفة .."[1] ،بينما يرى فرانسيس هربرت برادلي(1846-1924م). أن المكان " يتألف من أجزاء جامدة ممتدة وهي قابلة للانقسام ؛ وهي في انقسامها تختلف عن الأجزاء . وبالتالي ليس في قدرتي إدراك ومعرفة المكان الكلي بطريقة مباشرة ، ولكن هناك ما يطلق عليه تخوم المكان والتي تتكون عبر اتساعه عند حدود الأفق"[2].

وفي رأيي أن التعريفين السابقين قد حددا المكان على أساس ارتباطه بالإنسان من ناحيتين ناحية مادية ، وناحية نفسية ، فتعريف "باشلار" قادنا إلى ارتباط الإنسان بالماديات التي حوله ومن ثمَ تتولد الألفة التي تعمل على زيادة ارتباطه بالمكان . بينما وجدت " برادلي" وسم المكان بحدود جغرافية ، إلا أني وجدت تناقضا في تعريفه ، فلقد وصف المكان بأنه يتألف من أجزاء جامدة قابلة للإنقسام – وهذه الأخيرة – تختلف عن الأجزاء الجامدة المنقسمة عنها أصلا فكيف يكون هذا الاختلاف وهي في الأصل جزء منها!!

---

[1] – باشلار ، غاستون: *جماليات المكان* ، ترجمة غالب هلسا ، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– لبنان ، 1984 ، ص 39 .

[2] – برادلي ، فرانسيس هربرت: *مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة* ، ترجمة د. محمد توفيق الضوى ،(د.ط) منشأة المعارف–الإسكندرية ، 2003، ص48.

بينما أجد من تناول ماهية المكان من جانب آخر فهذا عبد الغفور بالريسول ينحى بماهية المكان لاتجاه آخر يقول :" يدخل مفهوم المكان في الدراسات العلمية والفيزيائية بالخصوص بطرقة جدَ متميزة ، فبادعائنا وجود الشيء (جسم) نكون قد حددنا مكانا معينا لهذا الشيء أو بعبارة أخرى ، نكون قد أدخلنا مفهوم " الأين" إذن المكان هو ما يتعلق " بالأين". [1] بينما يعرَف أحمد طالب الحيز المكاني بأنه " الفضاء الذي تتحدد داخله مختلف المشاهد والصور والمناظر والدلالات والرموز" [2]، في ضوء ما سبق وجدت أن ماهية المكان أخذت منحى الدراسات العلمية والفيزيائية مبتعدة بذلك عن الارتباط الروحي به ؛ بمعنى أن المكان أصبح مجردا عن أي اتصال نفسي أو معنوي. و يرى يوري لوتمان (1922-1993) المكان هو"مكمَن القوى النفسية والعقلية والعاطفية للكائن الحيَ" [3] ،لكن أجد قادة عقاق يعرف المكان بأنه " الحيز الذي يحتوي أشياء ، إذ تتراتب هذه الأحياز لتشكل علاقة الإنسان بالمكان" [4].

بينما يرى سعد الجميلي المكان بأنه مجموع في " الحيز الإنساني الحاوي على قدر من العادات والتقاليد والصيغ الفكرية " [5].

وبالتالي تتضح ملامح ماهية المكان في ثلاثة محاور أساسية : الحيز ، الفضاء ، الفراغ، وفي رأيي أنها ترتبط كلها بعوامل نفسية لدى الإنسان ، لأن ارتباط الإنسان بالمكان ينبع أصلا من ارتباطه المعنوي الناتج عن الارتباط المادي المسبق ،وتتقاطع مقاربتي السابقة مع تعريف " أندريه لالاند(1867-1963) للمكان بقوله " وسط مثالي ،متميز بظاهرية أجزائه تتمركز فيه مداركنا ،وتاليا يتضمن كل الفضاءات المتناهية .[6]

مما سبق ، تبين لي ارتباط مقاربة المكان من إذ الماهية بثلاثة محاور هي : المحور الجغرافي ، المحور النفسي ،"المحور الوجودي"، وكلها تدل على ارتباط الإنسان بالمكان بشكل أو آخر.

---

[1] – بلريسول ، عبد الغفور : تأملات فلسفية وعلمية حول مفهوم الزمان والمكان ، مقالة ضمن موقع الكاتب مباشرة على الويب والرابط :*www.berraissoul.com/articles*

[2] – طالب ، أحمد: السرد القصصي وجماليات المكان ، *مجلة الموقف الأدبي* ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق- سورية ، العدد (403) 2004م.

[3] – لوتمان، يوري : *مشكلة المكان الفني* ، ترجمة سيزا قاسم ، جماليات المكان ،مجموعة من الباحثين، ط2، عيون المقالات، الدار البيضاء –المغرب، 1988، ص 59.

[4] – عقاق ، قادة: *دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر : دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان* ، (د.ط) اتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2001 ، ص 256 .

[5] – الجميلي ، سعد: تذوق المكان ، مقالة ضمن موقع عرب على الويب والرابط:
http://www.arab-eng.org/vb/showthread.php/112466-that-Taste-Of-Place

[6] – لالاند ، اندريه : *موسوعة لالاند الفلسفية* ، ترجمة خليل أحمد خليل ، ط2، منشورات عويدات – بيروت ، باريس المجلد الثاني ، 2001 ، ص 655.

وأخيرا ، وليس آخرا ، أعتقد أن المكان من حيث الماهية هو ذلك الملكوت الموصوف بالفراغ والفضاء والناحية والحيز والأفق غير المحدود ، والذي يحيط بكل ما يوجد في هذه الحياة .

-الإطار المفاهيمي للمكان :

ازداد الاهتمام في البنى المكانية في الشعر والنثر على حدَ سواء، وبدا ذلك واضحا من خلال الدراسات المقدمة سواء أكانت من الباحثين أم النقاد.

وبما أنني قد استعرضت مسبقا ماهية المكان ، فإنني سأقوم الآن باستعراض التعريفات التي قُدمت حول مفهوم المكان؛ والذي تناولتَه بأكثر من زاوية .

تقول اعتدال عثمان:المكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم" [1]،بينما ترى سيزا قاسم أن المكان هو : " الإطار الذي تقع فيه الأحداث" [2].

وفي رأيي ، أن المكان لا يُعد طارئا في حياة الإنسان ، وإنما معطى سيميوطيقي ، وبالتالي أصبح هذا المكان جزءا لا يتجزأ من حياته ، وبناء على التعريفين السابقين ، وجدت أن كليهما يعرف المكان من ناحية جغرافية وحسب.؛ بينما المكان من وجهة نظري هو : تفاعل بين الأنا والعالم الخارجي. وما يؤكد صحة حديثي تعريف ياسين النصير للمكان بأنه " بدء تدوين التاريخ الإنساني ، ويعني الارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش ، للوجود لفهم الحقائق الصغيرة ، لبناء الروح ، للتراكيب المعقدة والخفية ، لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة" [3].

وفي تقديري إن المكان اصطلاحا أخذ توجهات عدة؛ فمنهم من عرَفه من الناحية الهندسية ، ومنهم الجغرافية ، وهناك الفيزيائية وهناك من عرفه من الناحية الروحية ، وعليه أجد من الضروري أن أعرض إلى تعريف المكان من جانبيه اللغوي الاصطلاحي لاستيضاح اللبس والتداخل فيما هو آت :

-المكان – لغة : وردت كلمة "مكان" في القرآن الكريم في أكثر من سورة وفي كل واحدة تحمل معنى مستقلا بذاته فمنها :

1- عثمان ، اعتدال : جماليات المكان ، مقالة ضمن موقع الصحافة على الويب والرابط . *http://www.alsahafasd.net/details.php?articleid=60928*

2-قاسم ،سيزا : *بناء الرواية*،ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة ،1984، ص 77.

3-النصير ، ياسين : *إشكالية المكان في النص الأدبي* ، ط1، دار الشؤون الثقافية ، بغداد-العراق، 1986 ، ص 395.

1-مادار حول (الموضع) أو (المحل) كقوله تعالى :" واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا " [1]، أي موضعا ومكانا .

2-ومنها ما جاء بمعنى (بدل) ، مثل قوله تعالى : " قالوا ياأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين " [2] أي بدلا منه .

3-بينما وردت في موضع آخر بمعنى (المنزلة) كقوله تعالى :" قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شرُ مكانا وأضعف جندا"[3].

في ضوء ما سبق وجدت لكلمة (المكان) أكثر من معنى و دلالة سياقية ، على سبيل المثال وليس الحصر (الموضع ، البدل ، المنزلة).

أما في المعاجم اللغوية فلقد وردت كلمة " المكان" بمعان مختلفة منها على سبيل المثال وليس الحصر ما ورد في :

1-مختار الصحاح للرازي : (المكانة – المنزلة- وفلان "مكين" عند فلان أي – بيِن المكانة) والمكان والمكانة الموضع .[4]

2-المعجم الوسيط : (المكان : الموضع. و – المنزلة . يقال: هو رفيع المكان . (ج)أمكنة) و(المكانة) : المكان بمعنييه السابقين . وفي التنزيل العزيز : " ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم " : أي موضعهم.[5]

3-المنجد في اللغة والأعلام : (المكان – ج: أماكن وأمكنة (موضع كون الشيء) ، المكانة : الموضع والمنزلة.[6]

وفي تقديري أن كلمة" المكان " لم تخرج في معانيها حسب ورودها في معاجم الأقدمين والمحدثين على حدَ سواء عن تلك المدلولات : الموضع ، المنزلة ، المحل ، المكانة " وهذا يدل اتفاق الجميع على معان لا يشكك أحد فيها وهي تتفق مع ماورد في القرآن الكريم .

8-القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآية 16.

1- القرآن الكريم ،سورة يوسف ، الآية 78.

[3] – سورة مريم ، الاية 75.

[4] – الرازي ، محمد بن أبي بكر : *مختار الصحاح* ، تخريج وتعليق د. مصطفى ديب البغا ،ط2، اليمامة للطباعة والنشر- السعودية، 1987 ، ص 370.

[5] – المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية : ط3 ، مطابع الأوفست – القاهرة ، الجزء الثاني ، 1985 ، ص 838 .

[6] – الأب لويس شيخو،*المنجد في اللغة والأعلام* :ط 34،منشورات دار المشرق –بيروت ،1994، ص704.

-المكان في الاصطلاح اللغوي :

مع كل معاني المكان لغويا التي قمت بسردها ،إلا أن ما يعنيني في بحثي الماثل هو مقاربة المكان في الاصطلاح الأدبي لأنه المعني عبر تلك المقاربات ،وكونه أساسا في عملية التأويل التي أسعى إليها.

فهذاسمر الفيصل يعرَف المكان في قوله :" والمكان كمفهوم هو: المكان الطبيعي ، المكان الحقيقي في الواقع الخارجي المحسوس ، وهذا المكان لا علاقة له بالمكان الروائي ، لأنه الموضع الحقيقي الثابت الجامد"[1] لقد وضعنا "سمر الفيصل" في تعريفه للمكان موضع الحقيقة ونأى بنا عن الخيال الذي يعد بيئة خصبة للمكان الروائي ، وهذا في رأيي يجعل من المكان طاقة محدودة في العطاء الفني . إلا أن يوري لوتمان يخالفه الرأي فيلخص تعريفه له على أن " المكان حقيقة معاشة ، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه... وتنطوي علاقتنا بالمكان على جوانب شتى ومعقدة ، تجعل من معايشتنا له عملية تجاوز قدرتنا الواعية لتتوغل في لا شعورنا . فهناك أماكن جاذبة تساعدنا على الاستقرار وأماكن طاردة تلفظنا ؛فالإنسان لا يحتاج وحسب إلى مساحةفيزيقية جغرافية يعيش فيها ؛ ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته" [2].

مما سبق تتضح رؤية " لوتمان " للمكان بأنه تلك الحقيقة المتجذرة في دواخلنا والتي تشدنا بدورها لنتماهى في الموجودات التي حولنا ، وهو بذلك ينحى بالمكان منحى يختلف عن "سمر الفيصل " إلا أني أرى أنهما يكملان بعضهما فإذا كان الفيصل ربط المكان بالحقيقي الموجود الجامد ؛ فإن "لوتمان " أعطاه البعد الروحي ؛ هذا البعد لم يكن موجودا – برأيي- إلا بعد تمثل المكان الحقيقي أصلا. وخلاصة ما سبق يتضح في قولي : إن المكان هو تلك المرآة التي تعكس ارتباط الإنسان بالموجودات الحسية وغير الحسية ، لأن الذات البشرية من طبيعتها أنها لاتكتفي بحدودها الشخصية؛ وإنما تبسط جناحها لتدخل في شبكة من التآلف الروحي المعنوي مع كل الموجودات. فالمكان هو ذلك البياض المُهندَس في فراغات تنشر علاقات هيرمونيطيقية بين الموجودات مع بعضها من ناحية وبينها وبينه من جهة أخرى.

---

[1] – الفيصل ، سمر روحي: *بناء الرواية العربية السورية* ،ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب –دمشق ، 1995 ، ص251.

[2] – لوتمان ، يوري ، *مشكلة البناء الفني* ،ص60.

ثانيا : المكان فلسفيا

1-المكان من منظور فلاسفة اليونان والإغريق:

تشكل علاقة الإنسان بالمكان نظاما جدليا مصيريا ، فالمكان يتمظهر في كل مناحي حياته بشكل كثيف ، وكما استعرضت في المبحث السابق تعريف المكان بين الماهية والمفهوم ؛ فإني سأعمل على مقاربة المكان من الجانب الفلسفي ؛ لأنه شغل مجالا واسعا في فكر الفلاسفة وبُنيت عليه نظريات ووُضعت فيه أحكام تُؤَثر في مجالات أخرى.

أخذ المكان عند القدماء طابعا "ميثولوجيا وكانوا يعتقدون بأنه " ينقسم إلى ثلاثة عوالم رئيسة هي ، السماء والأرض والعالم السفلي ، وهي مأهولة بالآلهة والبشر والأموات على التوالي" [1].

تقول "ساهرة العامري": نجد أن أول استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون ، إذ عده حاويا وقابلا للشيء، وعرَفه بأنه بُعد موهوم ، يشغله الجسم ويسمح له بنفوذ أبعاده فيه"[2]. بينما يقارب "محمدريان" المكان بناء على فكر أفلاطون بأنه يبدو": كشرط ضروري لإدراك المحسوسات، أو هو بمثابة الستار الذي تظهر على سطحه صور الحقائق المنعكسة على المرآة"[3].

بناء على ما سبق ألحظ أن تعريف أفلاطون للمكان بُني على أسس ثلاثة وهي في رأيي على النحو الآتي:

*اللامحدود ، المتناهي والذي قد يكون موجودا وقد لا يوجد وهذا يتضح في قوله" بعد موهوم" إذ لم يحدده بأية آلة مكانية مادية بل جعله مفتوحا .
*الانعكاس والذي يبدو في تماهي الإنسان في المكان عبر تمظهرات تتشكل في الموجودات التي أمامه كما في قوله" بمثابة الستار..."
*الإدراك إذ تتشكل عملية الاندماج في المكان عبر عمليات عقلية غير غائبة عن الواقع ، فالإنسان مدرك لكل ما يحدث في مكانه وواع لكل تفاعل له مع المحسوسات .

---

[1] – محمد، زهير: عالم الزمان والمكان عند قدماء العراقيين ، *مجلة آفاق عربية* ، العدد 18، بغداد،1984.

[2] – العامري ، ساهرة: *المكان في شعر ابن زيدون* ، (رسالة ماجستير) كلية التربية ، جامعة بابل–العراق ، بإشراف أ.د هناء جواد ، 2008 ، ص9 .

[3] – ريان ، محمد علي : *تاريخ الفكر الفلسفي ، أرسطو*، الجزء الأول ، الدار القومية للطباعة والنشر –القاهرة 1966ص 205.

يقول " البليهد" في أطروحته " "... وعدَه (أرسطو) موجودا مادمنا نشغله ونتحيز فيه ، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقل من مكان إلى آخر ، وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه ، وسابق عليها ولا يفسد بفسادها" [1].

يقودني الحديث السابق إلى أن المكان عند أرسطو يتمحور في عدم الديمومة واستبعاد صفة الثبات عنه ، لأن الأجسام تفنى ، والأماكن تبقى ولكنها في بقائها متغيرة بتغير ناسها .

بينما تعرف"غيداءشلاش" المكان في قولها:" بعد أفلاطون أخذ الاهتمام به يتزايد حتى عدَه أرسطو ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع كلها ، وهي العنصر والصورة ، والمكان والحركة والزمان ، وعدَ المكان عرضا لا جوهرا " [2] ، وتواصل توصيفها للمكان قائلة " أما المكان عند أقليدس فهو ذو ثلاثة أبعاد هي : الطول والعرض والعمق"[3]. وهنا أسجل مفارقة واضحة بين كل من " البليهد" و"شلاش" إذ وجدت أن المكان في تعريف البليهد بدا متغيرا في فكر أرسطو وذلك لأنه مفارق للأجسام ولا يفسد بفسادها ، وهذا يحمله صفة التغير والديمومة ، بينما تعريف " غيداء شلاش" يحيلني إلى أن المكان فطري ثابت لأنه من ضمن الطبائع ؛ لكنها أعقبت بأن المكان عرضا لا جوهرا وهذا ينافي أنه ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع. وخلاصة القول فيما سبق ، إن المكان تجلى بوضوح في الفكر الفلسفي اليوناني والاغريقي ، فمنهم من جعله من أسس الطبائع وبذلك أصبح ثابتا غريزيا ، ومنهم من جعله متغيرا له صفة الديمومة وعدم الفساد والتغير .

2-المكان في فكر الفلاسفة العرب القدماء :

تأثر العرب بالفلسفة اليونانية والإغريقية ، ولم يكن تأثرهم عاديا ، بل كان تأثرا يهدف إلى تأسيس نظريات في مختلف العلوم ، وكما شغل المكان مساحة كبيرة في الفكر الفلسفي الإغريقي واليوناني قديما ؛ فإنه لم يقل عنه في الفكر الفلسفي عند المسلمين " فالمكان سطح عند بعض الفلاسفة المسلمين من أمثال الكندي (ت 873م)والفارابي (ت 950م) وهو بُعد متناه عند الرازي (ت 1210م).

تقول" ساهرة العامري": نجد الكندي قد سار على خطى أفلاطون وأرسطو فهو يحدد المكان بحدين ، الأول (نهايات الجسم) والثاني (التقاء أفقي المحيط والمحاط به) كما سار الفارابي

---

[1] – البليهد، حمد سعود :*جماليات المكان في الرواية السعودية* ،ط1 ، دار الكفاح للطباعة والنشر،الدمام–السعودية نقلا عن العبيدي ، حسن ، نظرية المكان عند ابن سينا ، بغداد 1987 ، ص48.

[2] –شلاش ،غيداء: المكان والمصطلحات المقاربة له ، *مجلة أبحاث كلية التربية* ، المجلد11، العدد 2 ،ص 245 نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية : أحمد الشنتاوي مج10/ 383.

[3] – المرجع نفسه ، ص246.

على نهج الكندي ، ورأى إن المكان (موجود وبيّن ولا يمكن إنكاره) [1]. من هنا أرى أن فكرة المكان عند الفلاسفة العرب قديما قد انبثقت من الفلسفة اليونانية ، فلقد أقروا بوجود المكان وشموليته وذلك بعدما حددوا مسارين للمكان أحدهما: النهاية ، والآخر نقطة التقاء بين المكان وبين ما يستوعبه المكان. إلا أن الرازي قد خرج عن مسار الفلاسفة السابقين فقد حدد المكان بالمطلق، أو غير المتناهي وشبهه بالوعاء " [2].

مما سبق يتضح لي أن المكان في الفكر الفلسفي الإسلامي قد يكون خاصا وقد يكون عاما ، قد يكون مشاعا وقد يكون غير ذلك . وتبرز تلك المفارقات عندما نجد إخوان الصفا يرون أن (مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به)[3] أجد أنهم قد ربطوا بين المكان والموجودات التي تتموقع فيه ، وكأن المكان لا يوجد إلا بوجود الماديات المحيطة بالجسم نفسه. أما ابن سينا(ت 1037 م) فيذهب إلى أن (المكان هو ما يكون الشيء مستقرا عليه أو معتمدا عليه أو مستندا إليه) "[4]هنا أجد أن ابن سينا قد أعطى المكان صفة الثبات والتأسيس والسببية فالمكان هنا لاتتحدد هويته إلا بالاستقرار المتمكن للموجودات والمعتمدة عليه . بينما يرى ابن الهيثم(ت 1039م) أن المكان ما هو إلا " السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي" [5] وهو عند ابن رشد(ت 1198م) ليس الفضاء ، بل " النهاية المحيطة بالحركة" [6].

مما سبق يمكن تصنيف آراء الفلاسفة المسلمين ضمن ثلاثة محاور:

1-الكندي ، الفارابي ، وإخوان الصفا ----- المكان سطح الجسم الحاوي.

2-الرازي ---------- بعد لا متناهٍ.

3-ابن الهيثم ، وابن رشد ---------- نهايات محيطة بالجسم.

إن هذا الاختلاف بين الفلاسفة يَنم عن تفكير متطور وتغير تبعا لتطور الزمان والثقافات ، كما أرى أنه يدل على عمق ونوعية ولاسيما في التفكير الفلسفي ، فقد لاحظت أن نظرتهم بدأت

---

[1] – العامري ، ساهرة : رسالة ماجستير ،ص167.

[2] – المرجع نفسه ، نقلا عن أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي ، عبد اللطيف العبد، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ص114.

[3] – حمودة ، حنان: *الزمكانية وبنية الشعر المعاصر* ، ط1،عالم الكتب الحديث– الأردن ،2005،ص18. نقلا عن رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ، المجلد الثاني ، ص12.

[4] – المرجع نفسه، ص119 ، نقلا عن نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ص105.

[5] – الدمرداش ، سعيد: الحسن بن الهيثم ،(د.ط) دار الكتاب العربي – القاهرة 1969 ، ص364.

[6] – الحلو، عبده : *ابن سينا فيلسوف النفس البشرية* ،ط1، بيت الحكمة – بيروت ، 1967، ص30.

بالأبعاد المادية المحسوسة وانتهت ببعد فلسفي منطقي عميق مرتبط بأفكار لا محسوسة تنأى بالمكان عن المحيط المادي وتحلق به في أفق الفضاء والحيز والفراغ.

3-المكان في الفكر الفلسفي الحديث:

استفاد الفلاسفة في العصر الحديث من كافة الدراسات الفلسفية التي أسست للمكان فلقد استند أغلب الفلاسفة المحدثين إلى آراء غاستون باشلار والتي تتأسس رؤيته المكانية في الأدب على أنه " مجموع الصور الفنية التي تثير الذاكرة ، أو هو مجموع قيم متخيلة يختزلها العقل الباطن ثم تصبح هي القيم المسيطرة" .[1] ومن أولئك الذين عنوا بالمكان " جيورد برونو(1548-1600) إذ ؛ يرى بأن " المكان والزمان المطلقين ما هما إلا من تلفيق الخيال"[2]،وهذا يعني أن المكان والزمان محددان بدقة ؛ بحيث تنتفي عنهما صفة الإطلاق والتي هي من صفات الخيال الإنساني ،بينما وحَد"ديكارت بين مفاهيم المادة والامتداد والمكان وعدّه " الممتد في الأبعاد الثلاثة"[3]،وهذا يعني أن ديكارت (1590 – 1650) حدد المكان في أبعاد ثلاثة هي : مادة وامتداد ، وامتداد المكان نفسه ، ويتضح لي مما سبق أن كلاً من ديكارت وجيورد برونو قد رسما معالم المكان بانتفاء الاطلاق عنه، في حين جاء ليبتنز(1646 – 1716) لينتقد نظرية ديكارت ؛ إذ عدّ" الامتداد لا يكون جوهرا، فالجوهر وحده ، في حين يكون الامتداد كثرة خالصة ، فهو ينقسم إلى ما لانهاية له "[4].وفي تقديري أن رأي ليبتنز قد منح صفة الإطلاق للمكان على خلاف ديكارت وجيورد اللذين قد رسما حدودا للمكان. وإذا اتجهنا إلى اتجاه آخر نجد أن هيوم(1711-1776) يرى أن " المكان مكوّن من أنات ولحظات ونقاط منفصلة"[5] ، وبالتالي تتجه نظرة هيوم إلى المكان في أنه يحوي زمنا وأحداثا قد تكون منفصلة منفصلة وقد تكون مترابطة. وقد جاء كلارك(1675-1729) واتبع نهج أفلاطون نفسه فلقد عده "حاويا للأشياء مع إضافة خاصية أخرى هي اللاتناهي والأزلية والأبدية والقدم وعدم الفناء..." [6]

---

[1] – باشلار ، غاستون : *جماليات المكان* ، ص52.

[2] – العامري ، ساهرة : رسالة ماجستير ، ص86.

[3] – المرجع نفسه، ص20.

[4] – نفسه، ص23.

[5] – بدوي ،عبد الرحمن :*مدخل جديد إلى الفلسفة*،(د. ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت–لبنان ، 1975، ص197

[6] – شلاش ، غيداء: *المكان والمصطلحات المقاربة له*، ص8.

وبالتالي يمكن تقسيم الفلاسفة في رؤيتهم للمكان- حسب تقديري -إلى :

1-فلاسفة منحوا المكان صفة الاطلاق والتناهي.

2-فلاسفة قيدوا المكان وحددوه بمحددات.

3-فلاسفة استرشدوا بالفلاسفة القدماء وأضافوا لهم.

ويتبادر إلى الأذهان سؤال وهو: أين نصيب المكان في الفكر الفلسفي الحديث بوصفه مقتربا نقديا وجماليا في الفن عامة والأدب خاصة، فأجد أن دراسةالدكتور "حبيب مونسي والموسومة بفلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية" [1] قد عنيت بهذا الجانب من جوانب الفلسفة ، ولاسيما أنها تناولته تناولا إبداعيا جماليا فلسفيا ؛ حيث أفرد الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن لدراسة التجلي الجمالي.

يقول مونسي في كتابه :" رأى بعض الأعراب ابنا له يختط منزلا بطرف عصاه ، فدنا منه وقال : " أي بنيّ إنه قميصك ، فإن شئت وسعت ، وإن شئت ضيقت" [2] ، إن المثال الذي أشار إليه "مونسي" آنفا ، يرتبط بشكل أو بآخر بفلسفة المكان ، فبنظرة سريعة يتبدى لنا المعنى السطحي والمغزى العام من القصة في أن المكان مثل القميص قد يتسع وقد يضيق، ولكن بنظرة المنطق والوعي الداخلي أرى أن القميص ألصق الأثواب بجسم الإنسان ، وبما أن "مونسي" شبه المكان بالقميص ، فإنه يتبدى لنا أن المكان ألصق الأشياء بالإنسان وهو امتداد للجسد ذاته ، ولا يتوقف ذلك عند الحدود المكانية المحددة ، بل يسري ليشمل الحدود النفسية والشاعرية وهذا ما سعيت لاستنكاه أسراره،وفي جانب آخر يقول مونسي في فلسفة المكان :" ليس المكان إذن ذلك المُعطى الخارجي المحايد ، الذي نعبره دون أن نأبه به،وإنما المكان "حياة لا يحده الطول والعرض؛وإنما له خاصيةالاشتمال" [3].

في تقديري أن مونسي عندما أعطى المكان صفة الاشتمال فإنه ألصق به صفتي التغطية والستر من ناحية والمخالطة والاندماج من ناحية أخرى . وهذا يدل على تأثر مونسي بشكل أو بآخر بمن سبقه من الفلاسفة سواء أكانوا يونانا وإغريقا أم عربا، مسلمين قدامى أو حتى المحدثين.

وتجدر بالإشارة إلى أن مونسي قد توسع في حديثه في فلسفة المكان فربط بين المكان من عدة نواحٍ منها الاشتمال ، والطلل ، والمكان كتابة ... ، لست بصدد الحديث عنها الآن. ولقد أشار مونسي في كتابه إلى تلاحق الرحلة والحركة للمكان فيقول :" إن الرحلة والحركة تنفيان المكان ! ولا يكون النفي إلغاء المكان ومسحا له؛ وإنما النفي هو في سلب المكان خصوصية الثبوت ؛ لأن المكان

---

[1] – مونسي، حبيب: *فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية جمالية* ،ط1، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، 2001.

[2] – المرجع نفسه ص15.

[3] – نفسه ، ص16.

عاجز عن الفعل التدميري ... فإذا سلبنا من المكان خاصية الثبوت ، أو قللنا تأثيرها بفعل الحركة ، فقد قللنا من سلطان المكان". [1] ،وفي رأيي أن حديث مونسي يحيلنا إلى أن المكان في فلسفته لا يقبل الثبوت ، حيث تتباطأ حركة الزمن وتتكرر فيها وبالتالي فإن هذا التكرار يحيلنا إلى نظام روتيني يحمل بين ثناياه الرتابة . إن إسقاط صفة الثبوت من المكان فإن هذا يعني أننا نقلل من سلطان المكان وهيبته ، وسمحنا لأنفسنا بأن نعطي التحول فرصة لكي تتدخل في صفات الإنسان الشخصية.

إن ما سبق يحيلنا لمقولة لبوتور(1926-) " وليس الآخرون بالنسبة إلينا ، ما رأيناه فيهم بأعيننا وحسب ، بل هم إلى ذلك ما أخبرونا به عن أنفسهم ، أو ما أخبرنا به غيرهم عنهم، وليسوا كذلك أولئك الذين عرفناهم ؛ بل كل الذين ترامت إلينا أخبارهم ، وهذا لاينطبق على الناس وحدهم ، بل ينطبق كذلك حتى على الأشياء والأماكن ، كالأماكن التي لم أذهب إليها مثلا... ولكنها وصفت لي..."[2].

وبالتالي أرى اتفاقا واضحا بين مونسي وبين بوتور في أن المكان لا يحتمل صفة الثبوتية ، بل إنه عند " بوتور" قد يتعداها إلى أماكن قد ترتسم في الخيال ، هذا الاتساع الدلالي للمكان ينحى بي منحى آخر ، وهو تداخل المكان مع السيموطيقا . فالمكان الذي نحيا فيه ليس سلبيا ولا صامتا ، ولكنه يحمل دلالة تتخلل جميع الأبعاد والإحداثيات والأركان والظواهر الطبيعية والأشياء ..."[3]

أختم بهذا مبحثي باعتبار المكان من وجهة نظري هو ذلك الامتداد الواقعي الخيالي الذي تحيا فيه الأشياء والكائنات وتربط فيما بينه وبينهم علاقات متداخلة فيها التأصل والتمكن لحدَ يستحيل معه الانفكاك عنه أو نسيانه بأي حال من الأحوال.

---

[1] – مونسي، حبيب: *فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية جمالية* ،ص17.

[2] – الألوسي ، عبد الجبار : المكان ودوره السردي المعهد الأوروبي العالي لدراسات العربية ، مقالة نقلا عن موقع الويب والرابط :

http://www.averroesuniversity.org/au/index.php?option=com_content&view=article&id=123:2009-07-12-14-55-54&catid=57:2008-12-30-12-12-49&Itemid=39

[3] – جمعة، مصطفى عطية : المكان (المفهوم والسميوطيقيا) مقالة ضمن جريدة الرأي الكويتية ، *مجلة أقلام الثقافية* / الاثنين (2010/5/24) نقلا عن موقع الجريدة على الويب والرابط:

http://www.alraimeidia.com/alrai/article.aspx?id=205035&date=20052010

ثالثا :حضور المكان وتجلياته في الفكر الاجتماعي

احتل المكان مساحة كبيرة في فكر علماء الاجتماع ، سواء عند العرب أو الغرب . والمكان إجتماعيا يعني : " البيئة الاجتماعية ، وتشمل أثر العادات والأعراف والتقاليد ، ونوع العمل السائد في المجتمع ، وأثر الحضارة عامة على الفن " [1]، ويتجلى المكان – من الناحية الاجتماعية - في الآثار الأدبية ، وبالتالي فإن معظم الآثار الأدبية ماهي إلا إسقاطات النفس الإنسانية على الأماكن والبيئات والمجتمعات التي تكوّنت فيها، ولأن الإنسان من وجهة نظري يعيش في عالم يتصف ببعدين أساسين هما الزمان والمكان ، ففيهما يحيا وينمو الجنس البشري ويتطور؛ ولذلك فإن وجود الإنسان في المكان أدى إلى توثيق العلاقة بينهما ، والتي تتنامى بشكل مطرد. لعل المحطة الأولى لمقاربة المكان اجتماعيا ستبدأ من ابن خلدون(ت 1406) ، الذي لم يشر بصراحة للمكان ولكنه ؛ "وضع خصائص للمكان تجب مراعاتها عند إقامة أية مدينة من حيث صحة إقامتها وملاءمتها للمعيشة الإنسانية" [2].

وبالتالي أجد أن ابن خلدون قد اهتم بالمكان اهتماما واسعا ؛ كونه الوسط الذي يحيا فيه الإنسان والذي تتفتق عنه كل إبداعاته البشرية بكافة أنواعها وأقطابها،وبناء على ذلك أجد يوري لوتمان يقول :" إن المكان الذي يعيش فيه البشر مكان ثقافي ، أي إن الإنسان يحوّل معطيات الواقع المحسوس وينظمها ، لا من خلال توظيفها المادي لسد حاجات المعيشة وحسب ، بل عبر إعطائها دلالة وقيمة" [3]،أما فلاسفة الغرب في العصر الحديث فلقد تبلورت فكرة المكان لديهم بوضوح ولاسيما عند كل من كانت(1724 - 1804) ودور كايم(1858-1917) يقول كانت : إن المكان والزمان ليسا تصورين ،بل هما صوتان للحدس"وهذا يعني أن الزمان والمكان عند" كانت " له صورتان أوليتان إحداهما : ميتافيزيقة والأخرى ،ابستيمولوجية. وبالتالي يمكن تلخيص فكرة كانت عن المكان ب" هو ذلك الحدس المحيط والذي لا يُحاط به"[4].

مما سبق يتضح لي صفات المكان عند كانت فيما يأتي:

- هو شرط لإمكانية الظواهر.
- هو حدس خالص .

---

[1] –عبيدي ، مهدي : *جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة* ،ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب–دمشق ، 2011 ، ص30 ، نقلا عن محمد عزيز نظمي سالم ، علم الجمال الاجتماعي ،دار المعارف ، القاهرة ص90.

[2] – الشامي ، عبد العال عبد المنعم:جغرافية المدن عند العرب، *عالم الفكر*– وزارة الإعلام الكويتية،المجلد التاسع ،العدد الأول 1978 ، 46 صفحة ،على موقع الويب والرابط :
.http://www.liilas.com/vb3/t48071.html

[3] – لوتمان ، يوري : *مشكلة البناء الفني*، ص60.

[4] – بدوي ،عبد الرحمن : *الزمان الوجودي*، ط3 ،مكتبة النهضة المصرية–القاهرة ، 1955 ، ص75.

وبالتالي فإن المكان ظاهرة لا حدّ لها ، فكما تنطوي على غرفة صغيرة تتسع حتى تشمل العالم بأسره ؛ المكان بنية دالة في عالم الخارج. " لقد أسس كانت للمكان والزمان عبر كتابه " نقد العقل المحض" عبر دراستين:

•دراسة ميتا فيزيقية تُعنى بالمفهوم.

•دراسة "ترانسيدنتالية ،تُعنى بمعالجة الظواهر والتجارب."[1]

وفق قراءاتي يمكن تلخيص المكان عند كانت بأنه : ليس مفهوما مجردا لذاته ، وإنما هو حدس يساعد على معالجة الظواهر عقليا ولا يمكن فصله عن الزمان.

أما دور كايم فإنه يرفض تصور كانت لأن المكان في قناعته: إذا كان شيئا متجانسا على الاطلاق ، فسوف يستحيل على العقل إدراكه أو تصوره تصورا موضوعيا ،؛ إذ إن التصور المكاني إنما يتألف بالضرورة من نسق مرتب من الأشياء والموضوعات المستمدة من معطيات التجربة الحسية، ولسوف يستحسل قيام هذا النسق التصوري للمكان ، إذا ما كانت أجزاء المكان متساوية ومتجانسة كيفا وكما" [2].

مما سبق يتضح لي : إن تجانس الظواهر المكانية في جوهرها قد يستحيل تجانسها ؛ لأنه لايستقيم وضع الأشياء ، وضعا مكانيا إلا إذا تابعناها في مواضع أخرى غير متجانسة وفي أماكن مختلفة ، وهذا لا يأتي إلا بتقسيم المكان إلى أجزاء ومواضع. "ومن المؤيدين أيضا للمصدر الاجتماعي وتتصور دور كايم لمقولة المكان : بيتريم سوروكين(1889-1968) الذي ميز بين المكان الهندسي ، وسائر أنواع المكان التي صدرت في هندسات لوباتشفسكي(1792-1856) وريمان(1826-1866) اللذين ذهبا إلى أن التصور المكاني في الفكر الصيني هو تصور رباعي الشكل"[3] ؛ وفي تقديري أن كلا من : دور كايم ولوباتشفسكي و ريمان قد عنوا بالمكان من ناحية هندسية عبر تحديده بالأبعاد ، إذ تم فصله عن ارتباطه بالإنسان من الناحية النفسية والشعورية ، وبالتالي ؛ فهم يختطون لأنفسهم مسارا يختلف عن مسار " كانت "، وفي إحالة أخرى لحضور المكان في الفكر الا جتماعي الحديث يرى دور كايم " إلى أن النظر إلى الظواهر على أنها أشياء ؛ هو النظر إليها على أنها معطيات تؤلف نقطة ابتداء العلم"[4]،وفي تقديري أن هذه الشيئية المذكورة آنفا ينشأ عنها تحديد الموضع والأبعاد ؛ إذأنه من المحال إدراك حقيقة الأشياء إلا من خلال دراسة الوسط الذي نشأت فيه ،تقول سيزا قاسم " لقد أخذ الاهتمام بالمكان يكتسب طابعه العلمي حين غدا امتدادا للجسد

---

[1] – ديفيز ، ب–س: *المفهوم الحديث للمكان والزمان* ، ترجمة السيد عطا ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة 1996 ، ص122.

[2] – اسماعيل ، قباري محمد: *علم الاجتماع والفلسفة* ،، ط2 ، دار المعرفة الجامعية –الاسكندرية – مصر ج2 1968، ص54.

[3] – عبيدي ، مهدي: *جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة* ، ص32.

[4] – مونسي ، حبيب : *فلسفة المكان في الشعر العربي* ،ص9.

عند المفكرين الاجتماعيين والنفسانيين على حدّ سواء . فلقد عدّ بعضهم هذا الحيز بالفقاعة التي يعيش الفرد بداخلها أينما ذهب"[1]، ومن هنا يتضح لي مدى التصاق المكان بالفرد فكأنهما لاينفصلان عن بعضهما البعض وذلك من خلال اعتبار المكان ؛ امتداد للجسد ؛ وبما أنه امتداد للجسد فإن ذلك يحيلنا إلى قضية من له حق الأسبقية في الوجود ، - في رأيي- أجد أن المكان له تلك الأحقية ؛ ذلك لأن الإنسان لم يوجد أصلا إلا في مكان ، وأول مكان كان (رحم أمه) والرحم سابق لوجوده ؛إلا أنني أرفض وصف هذا الحيز المكاني بالفقاعة ،لأن الفقاعة قد ينتهي وجودها في أي لحظة؛ بينما المكان مرتبط بالفرد وممتد حتى بعد مماته ،ولولا هذا الامتداد والتواصل ؛ لما وجدنا هذا الكم الهائل من تواتر الكتابات الإبداعية التي تبرز العلاقة الفنية الأصيلة الفطرية التي تربط بين الفرد بمكانه وبأماكن الآخرين

رابعا : المكان من منظور فنيّ إبداعي

1-عند النقاد العرب قديما:

يلعب المكان في الدراسات الأدبية دورا كبيرا في زوايا متعددة الاتجاهات ، جعلت غالب هلسا(ت 1989م)يقول:إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وأصالته " [2]ولقد أيده في ذلك ياسين النصير عندما قال : إن المكان دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة ، وإحساسا آخر بالزمن والمخيلة حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه" [3]،من هنا أضحى للمكان أهمية لا يمكن وصفها على كافة الأصعدة ، وهذا ما ذكره الناقدان مسبقا ، فلقد أكد غالب هلسا على أصالة العمل الأدبي بناء على ارتباطه بالمكان وأيده ياسين النصير الذي اعتبر المكان هو الباعث الحقيقي لحدوث أي شيء.

ولم تكن العناية بالمكان وأهميته حديث العهد، فلقد تنبه النقاد العرب القدماء إلى تأثر الشعر بالمكان الذي يقطنه قائلوه أمثال: ابن سلام الجمحي(ت846) والجاحظ(ت868) ، وابن قتيبة(ت889) والقيرواني(ت 1071) وغيرهم. ومما يدل على اهتمام النقاد قديما بالمكان ما نقله المرزباني(ت 994) والفراهيدي(ت786) تصريحه بذلك في قوله : " رتبت البيت من الشعر ترتيب البيت من بيوت الشّعر- يريد الخباء"[4] وهذا يدل على أهمية المكان ودلالته النفسية والايحائية التي تستوطن النفس البشرية.

---

[1] – لوتمان ،يوري: *مشكلة المكان الفني* ، ص82.

[2] – باشلار ، غاستون : *جماليات المكان* ،(مقدمة المترجم) ص6.

[3] – النصير ، ياسين : *إشكالية المكان في النص الأدبي* ، ص16.

[4] – المرزباني ، محمد بن عمران : *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء* ،(د.ط) جمعية نشر الكتب العربية ، المطبعة السلفية– القاهرة ، 1343، ص20.

لم يقتصر الاهتمام بالمكان على عصر دون العصور الأخرى ، فهذا العصر الأندلسي بدا تأثر أدبائه واضحا بالمكان فهذا ابن حزم الأندلسي(ت1064) كتب رسالة في " فضل الأندلس وذكر رجالها" وأما الشقندي(ت 629) كتب رسالة بيّن فيها فضل أهل بلاد الأندلس ، ذاكرا أبرز شعرائها ومستشهدا بمقاطع من أشعارهم؛لكن ما يلفت النظر أن كل الدراسات والكتب والمؤلفات التي ذُكرت آنفا لم تفرد دراسة تحليلية جمالية للمكان في الأدب ، على خلاف ما نجده في الدراسات الحديثة التي أفاضت وأثرت المكتبة العربية والغربية بسيول من الكتب النقدية المُضمنة مقاربات للمكان ودلالاته وجمالياته وفلسفته.

إن الانتقال من مكان إلى آخر ركيزة من ركائز الحياة العربية القديمة منذ الجاهلية وإلى وقتنا الحاضر ؛ ولذلك وجدنا العرب قديما ينتقلون من مكان لآخر؛ لأن الانتقال والرحلة عندهم عنوان الانعتاق والتحرر وكأنها جزء أساسي من تركيبته ؛ ومنه قوله تعالى : " لإيلف قريش إيلافهم.. رحلة الشتاء والصيف " [1].

وفي هذا يعبر حبيب مونسي قائلا:" ... ووجود الرحلة في الصيف والشتاء ، يوقع السيرورة الزمنية للحياة ، ويمنح للعربي جديده الذي هو في حاجة ماسة إليه ؛ لأنه جزء من المعاش والاستقرار والأمن" [2]،وما يؤكد كلام حبيب مونسي أني أرى أن ديوان العرب " الشعر" لا يفتتح إلا بالوقوف على الأطلال ، وكأنها السمة التي يُعرف بها الشعر العربي ووسام الشرف الذي يدل على الارتباط الوثيق بين العربي وبين مكانه أيّ كان،فالطلل أصبح شارة تشير إلى ما يعتمل في نفس العربي من مشاعر وأحاسيس ودلالات تربطه بهذا المكان أو ذاك ،إلا أن هناك من خرج عن تلك المقدمة الطللية ممثلة في أبي نواس وامثاله من الشعراء المحدثين وذلك في قوله على سبيل المثال :

عاج الشقي على دار يسائلها وعجت أسأل عن خمارة البلد [3]

فكلمة الشقي في قول " أبي نواس " تكشف عن عمق العلاقة بين الطلل والشقاوة .. إنها شقاوة هذا الذي كتب على نفسه أن يبكي كل طلل يصادفه . ومما سبق يتضح لي أن اهتمام الشعراء والنقاد بالمكان كان واضحا كل الوضوح حتى وإن لم يصرح به كدراسة قائمة بذاتها وقد بدا هذا التجلي بارزا في عدة أمور :

1-المقدمة الطللية التي كانت تتوج كل قصيدة شعرية آنذاك.

2-القرآن الكريم الذي دلل على ارتباط الإنسان العربي بالرحلة والمكان والتنقل.

3-محافظة الشعراء المحدثيين على تلك المقدمة الطللية وإن كانت بصورة جديدة ، تنم عن ارتباط حيثي بين الشاعر ومكانه.

---

[1] – القرآن الكريم ، سورة قريش، الآية 1،2.

[2] – مونسي ، حبيب : *فلسفة المكان في الشعر العربي* ، ص17.

[3] – أبو نواس : *ديوان* ، ط2 ، دار صادر للطباعة والنشر –بيروت ، 2005،ص57.

4-بدا ارتباط الشاعر بالمكان واضحا من خلال وصفه الدقيق .

5-بروز حركة الذهاب والإياب ، الكرّ والفرّ عند الشاعر العربي في علاقته بالمكان مثل قول " قيس بن الملوح ":

"تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعدي على الدهر عاديـــا

أعـــد الليـالي ليـلة بعد ليـلة وقد عشت دهرا لا أعد الليالي ـــا

أراني إذا صليت يممت نحوها بوجهي وإن كان المصلى ورائيا" [1]

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان ، متى كان أول ظهور للدراسات المتخصصة في جماليات المكان عند الأقدمين ؟؟

تقول غيداء شلاش :"بعد البحث والمتابعة ، وجدت أن أقدم دراسة متخصصة في المكان مع وجود المقاربات الوافية له : هو كتاب " الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث للدكتور مناف منصور" الصادر عام 1978؛حيث يعد أقدم ما وقع بين أيدينا في دراسة متخصصة لموضوع المكان في الشعر العربي ، ولا نستبعد أن يكون مؤلفه المدرس في جامعة السوربون قد تأثر بآراء المفكر باشلار، ثم ترجمة غالب هلسا لكتاب غاستون باشلار جماليات المكان ، والذي صدر بعد وقت طويل من تأليفه في 1963.[2]

2-المكان عند الغربيين قديما :

أشرت في المبحث السابق إلى جهود النقاد العرب قديما في المؤلفات التنظيرية والتطبيقية للمكان وجمالياته وما يتصل به ، ولقد أثبت بأن النقاد قديما لم يغفلوا الحديث عن المكان وما يتصل به حتى الشعراء أنفسهم ، لكن نوّهت إلى أن كل ما تم وضعه وتأليفه من كتب لم تتصل اتصالا مباشرا بفلسفة المكان وجمالياته ودلالاته بقدر ماكانت تبين الصلة بين الأديب ومكانه. وبناء على ذلك وجدت أن للعرب الأسبقية والريادة في الحديث عن المكان وما يتصل به ، إلا أنه يجب ألا نغفل دور النقاد الغربيين . وسأبدأ مبحثي هذا من حيث انتهيت ؛ فلعل أول الدراسات الغربية التي تناولت المكان بشيء من المقاربات النقدية الواضحة والصريحة مع التأسيس له هو كتاب " جماليات المكان" ل غاستون باشلار الذي عُني بالمكان بوصفه ظاهرة إبداعية ؛ إذ قدم إيتان جلسون لكتاب (جماليات المكان) ل باشلار في آب 1963 [3] ، يقول باشلار في معرض تعريفه للمكان: المكان الممسوك بوساطة الخيال لن يظل مكانا محايدا ، خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي ، لقد عيش فيه لا بشكل وضعي ، بل كل ما للخيال من تحيز ،وهو بشكل خاص ،في

---

[1] – ابن الملوح ، قيس : *شرح ديوان قيس بن الملوح* ، ط1،دار الفكر العربي – بيروت ، 1994، ص88.

[2] – شلاش ، غيداء: *المكان والمصطلحات المقاربة له*، ص12.

[3] – باشلار، غاستون: *جماليات المكان* ، ص179.

الغالب مركز اجتذاب دائم وذلك؛ لأنه يركز الوجود في حدود تحميه"[1] ، لقد منح باشلار للمكان صفة الاطلاق الخيالي ولم يعده المحدد بالقياسات والأمتار. وهناك من تناول المكان من ناحية فلسفية بحتة ، هذا ما وجدته في كتاب الفيلسوف برادلي " مفهوم الزمان والمكان في فلسفة الظاهر والحقيقة" إذ تناول المؤلف جدلية الزمان والمكان في دراسة ميتا فيزيقية – ماوراء الطبيعة- ثم ربط بين تلك الدراسة وبين فلسفته البرادلية . ثم كان يوري لوتمان الذي تناول المكان بطريقة فلسفية ؛ إذ وصف المكان في مقالته الموسومة ب " المكان الفني "وهو مصطلح أطلقه المؤلف للتعريف بالمكان من الناحية الفنية.[2] مما سبق يتضح لي أن جهود النقاد الغرب في المقاربات النقدية للمكان لم تخرج عن ثلاثة أشكال :

1-مؤلفات في جماليات المكان – وإن كانت قليلة – ممثلة في غاستون باشلار .

2-مؤلفات في فلسفة المكان والزمان معا وربطها بالميتا فيزيقيا – ممثلة في برادلي .

3-مؤلفات قد تخصصت – وإن قلت- في فنية المكان ودلالاته – ممثلة في مقالات يوري لوتمان .

وفق التصنيف السابق فإنه يتشكل لدي قناعة بأن هناك تنوعا واضحا في المؤلفات المتصلة بالمكان -وإن كانت قليلة- .

3-المكان في الفكر النقدي الحديث :

عُني الكتّاب بالمكان في العمل الفني ،وباتت أعمالهم وكتاباتهم تنصب على قضايا ذات علاقة بالمكان بحسب الرؤية التي يراها هذا الكاتب أو ذاك ؛ ذلك أن هذا الإرث الأدبي والنقدي يبين مدى الالتصاق الحميم بين الإنسان والمكان ومدى الدور المهم الذي يقدمه المكان بمختلف تجلساته. إن أول من تحدث في فنية المكان وإبداعاته كان غاستون باشلار و يوري لوتمان ثم توالت بعد ذلك الدراسات العربية والغربية على حدّ سواء،وفي تقديري إن فنية المكان تستوعب علامات ودقائق هامة جدا مثلها مثل أي لوحة فنية لها أبعادهاالفنية والجمالية،؛ لأن فنية المكان ترتبط ارتباطا مباشرا بزخم هائل من الدلالات الإيحائية والاسقاطات الروحية.

ونحن عندما نتحدث في المكان لا نقصد المكان الفردي وحسب وإنما نشير إلى أن التمظهرات المكانية تختلف وتتنوع فهناك الأمكنة الفردية والجماعية ، وهناك أماكن مرفوضة وأخرى مرغوبة ؛ هذا التنوع لم ينشأ من فراغ وإنما نشأ من حركة وتفاعل الإنسان مع العالم الفيزيقي والميتا فيزيقي على السواء.

---

[1] – باشلار، غاستون: *جماليات المكان* ، ص34.

[2] – لوتمان ،يوري : *مشكلة المكان الفني* ، ص79.

" فرق كثير من النقاد الغربيين- في العصر الحديث-بين مستويات مختلفة من المكان في الانجليزية" [1] (Space – Place – Location).

وفي تقديري الخاص أن كل مصطلح من المصطلحات الإنجليزية السابقة لها دلالة معينة،فمثلا (place)تعني نقطة محددة أو جزءا من حيز ولا سيما الذي يشغل بوساطة شيء أو يرتبط بوجود شيء.

" أما مصطلح (space) فهو المحتوى الواسع والشامل وهو الامتداد في جميع الاتجاهات بامتلاك الأبعاد الثلاثة، أما مصطلح (location) قد تحتمل : فعل التحديد المكاني ، الموضع المحدد في مكان أو فضاء" [2] ويتضح لي مما سبق مايأتي:

1-إن الشائع في ثقافتنا العربية أن كل المصطلحات السابقة تترجم على أنها لمرادف واحد وهو المكان.

2-لم أجد أي فصل بين هذه الكلمات الثلاث فيما يتصل بمستويات المكان .

3-" يُستنتج من المعاني والتراكيب اللغوية التي توردها المعاجم اللغوية،إن الفضاء(space) هو الكلي وإن المكان(place)هو الجزئي وإن الموضع (location) هو الأكثر جزئية والأكثر تحديدا " [3].

لقد أثرت ترجمة كتاب غاستون باشلار في انتشار مفهوم المكان وجمالياته في النقد الأدبي العربي الحديث ، وفتح أمام النقاد والمبدعين مجالا واسعا في الكتابة في هذا المجال ،" ولعل أول كتاب نقدي حقيقي حمل إشارات إلى المكان والزمان وأهمية دراستهما في بنية القصيدة هو كتاب ل (كمال أبو ديب) الصادر عام 1979". [4]،وفي مسح سريع لكل الكتب النقدية التي أُلفت في المكان وجمالياته ، عثرت على قائمة لم أتوان أبدا بالاستعانة بها منها :

•الرواية والمكان ل (ياسين النصير) 1980.

•الزمان زالمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي ل (د. صلاح عبد الحافظ) 1982.

•إشكالية المكان في النص الأدبي ل (ياسين النصير) 1986.

•مقالة (جماليات المكان) ل (اعتدال عثمان) نشرت في مجلة الأقلام 1986.

•فلسفة المكان في الشعر العربي ل (حبيب مونسي) 2001.

المكان فنيا :

[1] – مسلم ، طاهر عبد : *عبقرية الصورة والمكان*، ط1، دار الشروق – القاهرة ،2002، ، ص23.

[2] – المرجع نفسه، ص25.

[3] – نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – نفسه ،الصفحة ص27.

يمثل المكان الكيان الذي يحوي خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ، والأديب هو الذي يبرز قيمة هذا التفاعل بما يحمله من دلالات وإسقاطات إبداعية، ولقد عرضت في السطور السابقة لبعض تعريفات المكان ولكن يجب أن أسلط الضوء على فنية المكان. وربما يكون أول تعريف قد وصل إلى أيدي نقادنا للمكان الفني هو تعريف غاستون باشلار والذي أوردته سابقا :" المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا " [1]،وقدفرق هوفدينغ بين المكان النفسي والمكان المثالي بقوله : "إن المكان النفسي الذي ندركه بحواسنا مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن على حين أن المكان المثالي الذي ندركه بعقولنا مكان رياضي مجرد ومطلق وهو وحده متجانس ومتصل " [2].

مما سبق يتضح لي أن " المكان المثالي" يتمثل عندنا بالمكان الحقيقي الواقعي المادي المحسوس والمتكون في الوعي ، أما المكان النفسي هو المكان الفني الذي الذي نحن بصدد الحديث عنه . تعددت التعريفات الفنية للمكان ، فخالدة سعيد تسميه بالمكان التاريخي وترى بأنه : المكان الذي يُستحضر لارتباطه بعهد مضى..." [3]،وترى " اعتدال عثمان " أن المكان الشعري هو (نظام من العلاقات المجردة يُستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني أو الجهد المجرد الذهني) . [4]من خلال التعريفات المنتقاة في أعلاه ، أرى أن مقاربات المكان فنيا ، تكاد لا تخرج عن المسار الذي رسمه " غاستون باشلار" في كتابه ، فتعريفات النقاد السابقة فيها شبه إجماع على نقاط معينة في تحديد المكان وأبعاده (فالخيال والحالة النفسية ، وغيره) أساس فيها،وبالتالي فإن المكان الفني لدي (هو المكان الذي يتمظهر ويتشكل بفعل الخيال لغويا ليتجذر في الإبداع خالدا موسوما بفنية لا محدودة) .

تقسيمات المكان فنيا:

وقف كثير من الأدباء والنقاد عند أنواع الأماكن وتقسيماتها في الدراسات الأدبية ، تقول غيداء شلاش : في حين وجدنا أن أكثر التنظيرات المكانية ملائمة لدراسة المكان في الشعر كانت في تصنيف (مول و رومير) للمكان بحسب السلطة التي يخضع لها ، وفيما يلي يأتي عرض لتلك التقسيمات التي ذكراها :

1-(المكان عندي) ويمكن أن يُسمى ب (المكان الشخصي) وهو الذي أمارس فيه سلطتي ويكون بانسبة لي مكانا حميما أليفا.

---

[1] – باشلار ، غاستون : *جماليات المكان*، ص179.

[2] – حمودة ، حنان : *الزمكانية وبنية الشعر المعاصر* ،ص413.

[3] – سعيد ، خالدة : *حركية الإبداع* ،(د.ط) ، دار العودة – بيروت ، 1979 ، ص30.

[4] – عثمان ، اعتدال : جماليات المكان ، مقالة إلكترونية.

http://www.alsahafasd.net/details.php?articleid=60928

2-(المكان عند الآخرين) وهو مكان يشبه الأول في نواح كثيرة ؛ ولكنه يختلف عنه من حيث أنني لا بد أن أعترف بهذه السلطة .

3-(الأماكن العامة) وهذه الأماكن ليست ملكا لأحد معين ، وهي ملك لسلطة العامة (الدولة) النابعة من الجماعة.

4-(المكان اللامتناهي) ويكون هذا المكان – بصفة عامة خاليا من الناس فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد مثل الصحراء والبحر... ." [1]

وفي تقديري إن التصنيفات السابقة كانت لإمكانية تمييز مثل هذه التصنيفات في النماذج الشعرية ، وهي متداخلة مع بعضها البعض ؛ لأنها تشكل في النهاية ذلك الارتباط الحميمي للإنسان بمكانه ارتباطا روحيا نفسيا بلغة شاعرية أدبية راقية،ولم تقتصر التقسيمات السابقة على المكان بهذا الشكل فهناك تقسيمات كثيرة،أورد منها أمثلة :المكان التصوري ،والمكان الإدراكي الحسي ، والمكان الفيزيائي"وفي مجال الرواية هناك المكان الروائي وفي مجال الشعر هناك المكان الشعري ."[2]

مما سبق يتضح لي المكان اتخذ أكثر من تصنيف تبعا لإنتمائه للنوع الأدبي أو الجنس الحياتي ، وفي كل صنف تتشكل صفات جديدة للمكان وآليات لمقاربته قد تتداخل وقد تتنافر ، لكنها في مجملها هي تمظهرات لعلاقة الإنسان مع هذا الفضاء الواسع.

إنه من الجلي أن دور المكان في العمل الفني يختلف اختلافا كبيرا وواضحا عن واقعه المادي الجامد ؛ إذ يتحول المكان في الأنواع الأدبية إلى حركة فاعلة تنبض بالحياة في كل صورها تؤثر في نفسها وتتأثر بغيرها وتتفاعل مع المكونات الأخرى في حركة ديناميكيةفنيةبالغة الدلالات والايحاءات وبذلك؛ يتجاوز المكان الفني الواقع ليتمظهر في صور أخرى مخالفة للواقع ذاته ،ومما يجدر الإشارة إليه هو أن المكان فنيا قد يحمل ملامح القدسية وهذا ما وجدته في دراسة ل(حافظ محمد جمال الدين) نُشرت في مجلة علامات موسومة ب" شعرية المكان والزمان"،يقول حافظ : إن ما يؤكد خصوصية الكتابة في المكان ، هو إدراك المكان ، ولاسيما – المكان القدسي- إذ يكون الإدراك نفسيا لا حسيًا وحسب..." [3].

وفي رأيي إن فنية المكان القدسي ، تتضافر فيها القدسية مع الألفة النفسية التي تزيدها تكثيفا دلاليا وإيحائيا وإسقاطا هيرمونيطيقا على المكان نفسه ؛ إلا أن هناك ظروفا تشكل منعطفا كبيرا في خلق المكان مثل الظروف الاجتماعية والتاريخية والنفسية والسياسية ؛ إلا أن الأخيرة لها

---

[1] – شلاش ، غيداء: *المكان والمصطلحات المقاربة له* ، ص20 .

[2] – البوعلي،آسية:مقالة ضمن *مجلة نزوى الالكترونية* 2009/7/14 على صفحة الويب والرابط : *http://www.nizwa.com/articles.php?id=1712*

[3] – محمد جمال الدين ، حافظ : شعرية المكان والزمان ، *مجلة علامات في النقد*،تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ج52، م13، يونيه 2004 ، ص51.

دور كبير في " نشاة الانزياح الفني والتحزل [كذا]*[1] عن أمكنة الواقع ؛ إذ يصبح للمكان خلقة أخرى في النص" [2]، وهذا ما يحيلنا لسياقات فنية أخرى تكثفها علاقة الإنسان بالمكان ، حيث يتخلق المكان الفني بمشاعر الإنسان وأحاسيسه بفعل اللغة الشاعرية ، وما يؤكد حديثي هذا " صلاح صالح" في قوله: إن الأمكنة الفنية تستأثر باللذة الجمالية التي تعجز الأمكنة الواقعية عنها... فالمكان الفني سالب قابل للتغيير اللانهائي" [3]. مما سبق يتضح لي إن المكان الفني منفصل عن المكان الطبيعي أكثر مماهو متصل معه ، هذا الانزياح الفني ، لم نكن نجده لولا تجذر مشاعر الإنسان في هذا المكان مما نتج عنه تمظهرات أدبية إبداعية رائعة. إن الأمكنة تعمل على امتصاص النشاط البشري الإبداعي ، وهي تتسم بالروحانية السامية إلى معارج الادراك الحسي الشاعري ؛على أنه يجب الإشارة هنا إلى أن هذا الانزياح الشاعري لم يكن يتكون لولا ارتباطه بهالة من التشكل الثقافي والعقائدي لجماعة معينة ثم ينتج عن هذا التشكل ، فرادة لأحدهم تظهر في شكل إبداعات أدبية. وبناء على ما سبق تعتبر شعرية المكان عملية فنية تركت مفعولها بشكل واضح في كثير من الابداعات ، حتى اتخذ مستوى التشكيل ومستوى التعبير أحجاما جمالية وأبعادا كبيرة من أجل إيقاظ رؤى كانت متخفية وراء النص الظاهر. وفي تقديري يعد المكان هو مجتلى الإبداع الأدبي، حيث يرصد الكاتب الأحداث اليومية ليصوغها في مرآة فنية بلورية مجازية ، حتى يتحول الفضاء المكاني إلى بيئة جمالية تخترق الجسد الأدبي ، وتعطيه شهادة من المقاربات التأويلية والاسقاطات الفنية. إن هذا التماهي في المكان قد يقودنا إلى ما يُسمى ب " برمزية المكان" ، فالتلازم بين الوعي الإنساني والمكان يجعل بينهما علاقة جدلية حتى أن كليهما ، يسهم في تشكيل هذه الثنائية على كافة المستويات. " هكذا إذا يدخل المكان حيز الإبداع متجاوزا حسيته وواقعيته ، فإنه يغدو رمزا ، متحررا من كثافته الموضوعية ، محلقا في عالم المعنى ، ترصده الرؤيا في اللغة،بعد أن كانت ترصده الرؤية في الواقع" .[4] إن هذه الرمزية قد ترتبط بأيدلوجيات أو ميثولوجيات أوطابوهات في اللاوعي الإنساني ، لذلك تعتبر رمزية المكان – من وجهة نظري – أرقى وأسمى مستويات اندماج الإنسان بالمكان . إلا أن هذا الرمز المكاني قد يتدرج في مستويات حسب الاتي :

1-"الرمز الذي يبدأ من المكان الواقعي ليرتقي به إلى عالم المعنى.

---

[1] – التحزل : من حزل :وهو الارتفاع ، وفي السياق التحزل عن أمكنة الواقع : يعني الارتفاع والتغير . من المنجد في اللغة والأعلام ، ص131 .

[2] – المناصرة ، عز الدين :شهادة في شعرية الأمكنة ، *مجلة التبيين الجاحظية* ، تصدر عن الجمعية الثقافية الجاحظية ، الجزائر، مج3 ، ع 372، ص94.

[3] – صالح ، صلاح : *قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر* ،ط1،دار الشرقيات– القاهرة ، ، 1997، ص17–18.

[4] – كريم ، حسن داخل: *المكان رمزا في قصائد أدونيس* ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، بحث اكاديمي ، تحت إشراف الدكتور حسن عبد عودة ، 2009.

2-الرمز الذي يتشكل بموازاة المكان الواقعي ، خالقا من اللغة وما فيها ، مكانه الخاص.

3-الرمز الذي يعبّر بالدوال المكانية عن بعض الدلالات المجردة غير المكانية مسبغا عليها طابعا مكانيا تؤسسه الرؤيا الإبداعية." [1] إن التقسيمات السابقة – في تقديري- قد أعطت للمكان الفني خصوصية أكثر وتفردا إبداعيا ؛ لأنها قد اختزلت كل عصارة المكان الفني لتقدمه لنا في مستويات رمزية وهي قمة الإبداع الفني.إن الرمز حسب المستويات السابقة يبدأ من المكان الواقعي ثم يتخذ له موقفا قويا ، ليتشكل بموزاة المكان الواقعي خالقا مكانا خاصا له ، ثم يرتقي في معارج الإبداع الفني ليكون له مكانه الخاص بين تلك الدلالات.

وخلاصة القول في هذا الجانب: إن الرمز المكاني هو أعلى درجات التأويل والمقاربة والسمو النفسي مع الموجودات التي تشكل المُعطى الأساسي للتفكير الابداعي عند الانسان.

جماليات المكان :

يُعد المكان حركة ثقافية لها قوانينها المعرفية والفنية ، يفصح الأديب عن وجوده وفعله، من خلال إمكانية قدرته على التفاعل الحيّ بين العناصر الفنية.وعليه؛ يفهم أن المكان هو تجذر الإنسان فيما حوله ، ثم تمظهر هذا التجذر إبداعا فنيا ؛ ولذلك برز تركيب أو اصطلاح ثنائي يسمى بجماليات المكان ". إن أبرز تساؤل يطرحه قارئ النص الأدبي هو : ما السرّ الذي يحمله هذا النص الأدبي ليجعلني أستمتع به؟ لماذا يجمع الكلّ على فنية وجمالية هذا النص في النفس؟إن المتمعن في هذه الأسئلة يرى أنها ترتبط بشكل أو بآخر في مبحث الجماليات ، سواء أكانت ظاهرة أم مستترة ؛ لأن الجمال مطلب إنساني نبيل في نفس كل إنسان يحيا على هذه الأرض. لكن أين يكمن الجمال ضمن المكان؟ لو أجلنا النظر لوجدنا أن الجمال يشمل كل موجودات الأرض بأحيائها وجماداتها ، بمشاعرها ، بمحسوساتها ، بمعنوياتها. " إن اهتمام الإنسان بالجمال وشغفه بمظاهره قديمان قدم الإنسان نفسه؛ لأن الإحساس الفطري عند الإنسان لا يحتاج إلى تعليم وفلسفة وقوانين ." [2] ،ويقول " إتيان سوريو" : الحاجة الجمالية هي أرسخ الحاجات التي تميز الكائن البشري" [3]،وبناء على ما سبق أرى أن الجمال حاجة فطرية غريزية يتسم بها الإنسان البشري ، وهذا الإحساس الفطري لا يحتاج إلى تعليم أو قواعد ، إنه مثل الهواء والماء والجنس والتناسل والتكاثر.

---

[1] – كريم ، حسن داخل: *المكان رمزا في قصائد أدونيس* ، ص55.

[2] – محمود ، حواس : الجمال الحاجة العليا للبشرية ، *مجلة الأسبوع الأدبي* ، اتحاد كتاب العرب– دمشق ، العدد 1314، 2012، ص6 . نقلا عن (مفهوم الجمال في فلسفة أفلاطون) أحمد محمود ، *مجلة المعرفة السورية* ، أكتوبر 1991.

[3] – سوريو ، إتيان : *الجمالية عبر العصور* ، ط2 ، ترجمة ميشال عاصي ، منشورات عويدات ، لبنان، 1982م ، ص315.

وبالتالي فالجمال هو القيمة الحقيقية للنص ، على أن هذا الجمال في النص الأدبي لا يتأتى بمفرده وإنما هو كل متكامل ، تتضافر فيه عوامل تشكل النص الدبي ، وكل عنصر يضفي مسحة جمالية على الآخر لينتج لنا النص في كامل جمالياته. وقبل الولوج في جماليات المكان لا بد أن نضع النقاط على ملامح المفهوم العام (للجمال) .

جاء في لسان العرب :الجمال : مصدر الجميل ، والفعل جَمُل والجمال هو الحسن والبهاء"في قوله تعالى: " فاصفح الصفح الجميل" [1] وفي قول الرسول (محمد صلى الله عليه وسلم) :" إن الله جميل يحب الجمال " أي : حسن الأفعال كامل الأوصاف " [2]

يتضح مما سبق ، أن الجمال على نوعين :

1-جمال مادي محسوس ملموس في ماديات الحياة ومحسوساتها.

2-جمال معنوي روحي لا يتم إدراكه إلا بالراحة النفسية.

لكن ماذا يعني مصطلح الجماليات في الأدب ؟

بالرجوع إلى " معجم المصطلحات الأدبية " وجدت أن " الجمالية" " نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية للنتاج الأدبي وترمي النزعة الجمالية إلى الاهتمام بالمقاييس الجمالية بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية انطلاقا من مقولة الفن للفن." [3]

في تقديري ،إن الجمالية بذلك المفهوم تسعى لاختزال جميع عناصر العمل الأدبي في جماليته ، والجمالية نسبية تتغير من زمن إلى زمن تبعا لتغير الظروف ةالأجيال والإبداعات ، ومقياس الحكم على الجمالية هو إحساس الناس بها.

من الجمالية إلى " الاستيطيقا" :

برز مفهوم " الجمالية" في العصر الحديث للدلالة على تخصص من تخصصات العلوم الإنسانية والتي تتناول البحث في " الجمال " وما يتصل به من الناحية الوجودية ، ومن كونه تجربة فنية تحمل تمظهرات الحياة الإنسانية بكل ألوانها،"ومصطلح "الجمالية" أو "علم الجمال" ترجمة

---

[1] – القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم ، سورة النحل ، الآية 6.

[2] – خرفي ، محمد الصالح :*جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر* ، (أطروحة دكتوراة) جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، بإشراف أ.د يحي الشيخ صالح ، 2005-2006 ، نقلا عن الزمخشري : أساس البلاغة، معجم في اللغة والبلاغة " مكتبة لبنان ،ط1، 1996، ص63.

[3] – علوش ، سعيد : *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة* ، ط1، دار الكتاب اللبناني ، 1985، ص62.

لكلمة "استطيقا"، وهي كلمة ولدت في رحم الفلسفة الغربية من الناحية الاصطلاحية في القرن الثامن عشر الميلادي."[1]،فقد كان الفيلسوف باومجارتن(1714-1762) أول من سك هذا اللفظ، ثم انتقل استعماله إلى سائر الثقافات والعلوم الإنسانية كالأدب والفن،فالجمالية" إذن؛ علم يبحث في معنى "الجمال" من حيث مفهومه وماهيته ومقاييسه ومقاصده.

مما سبق يتضح أن علم الجمال علم قديم،قدم أرسطو وأفلاطون، وهذا يدل على ارتباطه بالجانب الفلسفي ، ثم استقل كعلم في بداية النهضة الأوروبية.

من علم الجمال انبثقت كل الجماليات التي تعنى بالفنون جميعها " فالجمالية هي البحث العقلي في قضايا الفن على اختلافها..." [2] ،وفي تقديري أن إدراك الإنسان لهذه الجماليات لابد أن يكون مستندا على ركائز فلسفية ومعرفية وابستمولوجية للحياة والكون؛ حتى تتم عملية الإحساس بقيمة هذا الجمال. إذن الجمالية هي العلم الذي يهتم بالبحث في الجمال ، مكوناته، سبل إدراكه ، وما يتولد عنه من مسائل أخرى حتى نصل لتكوين رؤية خاصة للفن، تكشف عن حقيقة تلك النصوص وأثرها على الفرد ذاته وعلى الجماعة بأكملها. إن ما سبق سيقودنا طواعية إلى الحديث عن تاريخ علم الجمال ؛ للوقوف نظريا على تأصيل المكان ضمن علم الجمال وسبل إدراكه في مقاربة هيرمونيطيقية لعلاقة المكان بالجمال.

تاريخ علم الجمال :

لقي موضوع الجمال ومازال عناية كبيرة ، بدءا من اليونانين والإغريق ، والحضارات القديمة كالحضارة البابلية والفرعونية ووادي الرافدين ، تمظهر الجمال في العصور البائدة في شكلين:

[1] – سانتيانا، جورج : *الإحساس بالجمال ، تخطيط النظرية في علم الجمال* ، ط1، ترجمة محمد مصطفى بدوي ،المركز القومي للترجمة– القاهرة ، 2011، ص41.

[2] – لالو ، شارل: *مبادئ علم الجمال "الاستطيقا"* ، ط1، ترجمة : مصطفى ماهر،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010، ص21.

1-جمالي حسي في الموجودات والماديات والتي انعكست على جدران المعابد والكهوف والمغارات عبر تلك الرموز الهيروغليفية على سبيل المثال.

2-جمالي روحي ميتافيزيقي، يرتبط بالآلهة والاحتفالات الدينية العامة.

" ولقد تجسد علم الجمال عند الاغريق واليونان في صورة الآلهة وصناعة التماثيل وتشييد المعابد ، التي من أهمها معبد أثينا المعروف بالأكروبول، أما الرومان فكان نموذجهم هو النموذج الإغريقي،وفي العصور الوسطى تشكلت جمالية مسيحية تمثلت في فن العمارة وخاصة في بناء الكاتدرائيات وتنسيق جدرانها" [1] ،وحول ما سبق ، لاحظت أن الجمال عند الأوروبين القدماء- بوجه عام – لم يخرج عن سلطة الدين والمعبد على خلاف الجمال الشرقي الذي كان قد تمظهر في الروح والمادة معا ، في حين أن الأوروبيين ربطوا الجمال بقيم روحية تتعلق بالدين والحق والخير.

أما في العالم الإسلامي فنجد ملامح الجمال تتشكل في إطارين:

1- الإطار الديني الذي يؤسس لقيم جمالية ترتبط بماديات ومعنويات الحياة معا.
2- الإطار المادي البحت والذي نجده في أشكال القباب والمساجد.

وفي تقديري إن هذه الرؤى الفكرية حول الجمال قد انعكست بشكل كبير على الأدب بكافة فنونه ، فوجدت الجمال في الشعر والجمال في النثر، اللذين أفرزا هذا الإرث من الأجناس والأنواع الأدبية المتنوعة من مقامات إلى زجل إلى فنون ادبية لعبت بالكلمة والخيال أيما لعب.

أخلص إلى أن الجمال – بصفة خاصة- والفن- بصفة عامة-، ما هما إلا طريقة من طرائق التعبير عن حالة وعي الإنسان بقيمة الأشياء التي تحيط به ،عبر تجارب إنسانية روحية ومادية معا، تهدف إلى تشكل الموجودات بطريقة إنزياحية كاملة في الحياة، بقي أن أضيف إلى أن " الجمالية" تختلف من آن إلى آخر، ومن أديب إلى أخيه تبعا لتشكل آلياته في الحياة الثقافية والمعطيات البيئية لكن أصر على رأيي أن الجمال في جوهره واحد، فمثلا " الجمال عند الأديب توفيق الحكيم(ت1987) وحدة لاتتجزأ، قوامها الجسم والروح معا، كالضوء في الكوكب والعطر في الزهرة" [2].

وهوعند الشاعرالجزائري حسين زيدان (ت2007) تقرب إلى الله وثورة مستمرة وفي ذلك يقول :

"فليس الجمال بساتين
أو ساحة من زهور...
وليس الجمال حنين الفراشة
للانعتاق

[1] – خرفي ، محمد الصالح :*جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر* ، ص50.
[2] – الداية ، فايز : *جماليات الأسلوب* ، ط2، دار الفكر –سوريا ، 1996، ص9.

وليس الجمال حسانا
على شعرهن نقيم المواويل
الجمال الجمال...
شهيق
إلى زفرة الله
إن الجمال عيون تناديك
ياخير جيل
إلى أن تثور" [1]

مما سبق يتضح لي رؤية توفيق الحكيم في أنها تشكلت في قالب روحي مادي معا يهدف إلى السمو بالنفس الإنسانية بينما أجده عند"حسين زيدان" أنه قد اقتصر على الجانب الروحي وحسب.

وفي تقديري أن الجمال الروحي هو الأسبق للإحساس من الجمال المادي،لأن النفس الإنسانية إذا استشعرت الجمال في داخلها فإن ذلك سينعكس على المحيط الخارجي وصدق إيليا أبو ماضي(ت1957)

عندما قال : "أيهذا الشاكي وما بك داء — كيف تغدو اذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفس — تتوقى قبل الرحيل الرحيل
وترى الشوك في الورود وتعمى — أن ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل — من يظن الحياة عبئاً ثقيلاً
والذي نفسه بغير جمال — لا يرى في الوجود شيئاً جميلا
أيها ذا الشاكي وما بك داء — كن جميلا تر الوجود جميلا"[2]

إن تشكل الجماليات الأدبية بؤرة أساسية في التفاعل النصيّ بين الأديب والمتلقي ، حيث يندرج تحت هذا المصطلح ، مصطلحات أخرى منها على سبيل المثال وليس الحصر : الفنية والأدبية والشعرية إلا أنها كلها تندرج تحت مظلة الجمالية، حتى وإن كانت الشعرية تختص بالشعر والنثر على حدّ سواء. ؛ لذا من شروط النص الأدبي أيًا كان لكي يجد مكانا ووقعا في نفوس القراء والمستمعين أن يتوفر على القيم الجمالية والشعرية. ومما يذكر أن الجماليات الأدبية وما يندرج تحتها من فنيّات وشعريات وأدبيات ، قد لاقت كل عناية من النقاد الغربيين والعرب على حدّسواء. ولست في معرض الحديث عن الجهود هذه ، لكن يكفي أن أشير إلى بعض من الجهود الغربية في الشعرية مثل جهود كل من تزفيتان تودودروف (1939-) و رومان جاكبسون(1896-1982) ، وعند

[1] – خرفي ، محمد الصالح :*جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر* ،ص79.
[2] –ماضي ، إيليا : *الأعمال الشعرية الكاملة* ،ط2، دار العودة – بيروت، 1985، ص55.

العرب كمال أبو ديب و أدونيس وغيرهما . أيًا كانت المؤلفات والإبداعات النقدية والمقاربت الأدبية فإنها تهدف إلى الكشف عما هوداخل في النص؛ لإيجاد حوار متبادل نستطيع عبره إخراج المعاني والمفردات من سياقها اللغوي والمعجمي إلى سياقات شعورية تشكل إنزياحا فكريا وروحيا معا؛ ممايؤسس بدوره لرؤية شعرية أدبية جمالية تسعى للفرادةعبر وسائل هيرومونيطيقية يسقطها القارئ والسامع على النص؛ مما ينتج عنه تأثر المتلقي بكل تلك القيم الفنية ، والتي قد تؤدي إلى خلق أجناس أدبية لم نعهدها أبدا؛ فما قصيدة النثر والقصيدة الومضة وغيرها ، ما هي إلا إحساس بالجمال الفني الأدبي وتحرر وانعتاق وتوسع للاحساس الأدبي.

بين شعرية المكان وجماليات المكان:

شاع في دراسة النصوص الإبداعية مفهومان ، "شعرية المكان" و"جماليات المكان"، وينظر البعض إليهما على أنهما مترادفان لدراسة أدبية واحدة ، بينما يختلف كل واحد عن الاخر وإن كانا تحت مظلة الإحساس الفنيّ والإبداعيّ.

في شعرية المكان كتب الأخضربركة قائلا:" ينتقل العالم من الفضاء اللامتناهي (الخارج) إلى الفضاء المتناهي(الداخل)والذي هو النص ؛ إنتقالا أساسه الإنزياح والتحويل؛ زلذا فإن بنية المكان الشعري، هي نموذج لبنية مكان العالم من جهة، وهي في – الآن ذاته- شيء يشير إلى ما يتجاوز العالم الفيزيائي من جهة أخرى" .[1] ينظر الأخضر بركة إلى شعرية المكان على أنها نوع من الإنزياح والتحويل على اعتبار أن بنية المكان الشعري نموذج لبنية مكان العالم، من خلال اللغة والصور المكانية والتي تخرج عن المألوف والمعتاد ، وتتجاوز مستوى مابعد النص الذي لاينطوي فقط على محتوى مكاني بل يمتد التجاوز ليصل لأبعاد خلقية وقيمية وسياسية وثقافية شتى.

إن هذه المقاربة البنيوية لشعرية المكان تجعلني في – تقديري الخاص- أن أنظر إلى المكان الشعري من خلال دائرة الوجود النصي الذي يتحرك فيه. ويركز عزالدين المناصرة على مسألة المعاناة شرطا لشعرية المكان" [2].

في تقديري ، إن المقولة السابقة ل عز الدين المناصرة تنطوي على شرط أساسي لشعرية المكان وهي المعاناة ، بمعنى : إن حدوث وتكوّن وتشكل شعرية المكان مرهون بمعاناة الشاعر . لكن يتبدى سؤال في ذهني وهو: مابالنا إذا تبدت شعرية المكان ولكن دون المعاناة؟؟

---

[1] – بركة ، الأخضر: *الريف في الشعر العربي الحديث(قراءة في شعرية المكان)*، ط1،دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2002،ص18.

[2] – المناصرة ، عز الدين : شهادة في شعرية الأمكنة ، ، *مجلة التبيين الجاحظية* ص94.

من وجهة نظري تُعتبر المعاناة شرطا مهما لحدوث شعرية المكان ولكنه مُلزما لشعرية المكان، بمعنى أنه يمكن أن تتحقق هذه الشعرية نتيجة تجارب سعيدة وحزينة.
خلصت في الأوراق السابقة لشعرية المكان برصد بعض الملامح الأساسية لشعرية المكان ويتبقى لنا جماليات المكان والذي بصدد مقاربته الآن من خلال ماهو آت.

شاع في دراسة النصوص الإبداعية مفهوم جماليات المكان " لأداء معنيين أحدهما ثابت والآخر متحول ، أما المعنى الثابت فنجده في وصف موضوع من المواضيع بأنه جمالي للدلالة على أنه غير موظف في سياق عملي غايته الإفادة والنفع ، وهنا يترادف الجمالي مع الممتع أو الجميل".[1]
لقد انتشر مصطلح "جماليات المكان" بكثرة في الآونة الأخيرة ، ولم يقتصر على جنس أدبي بنوعه بل شمل الشعر والنثر معا.
"والمتتبع فكريا ونقديا لما سبق يضع أسس جماليات المكان في معنيين:

1-ثبوت وصف الموضوع والذي بدوره يتأسس على مذهب "الفن للفن".

2-تحول المعنى الذي يؤسس لمفهوم الجمالية على أنه فرع من فروع علم الجمال العام.".[2]

وبناء على ماسبق-المعنى المتحول للجماليات- فإني أرى أنه يهدف إلى استخلاص القيم الجمالية بدون قواعد وأسس فنية ، وبالتالي يصبح المتحول هنا من وجهة نظري ، محاولة لصياغة نظرية معرفية مجردة. وبالنسبة لدراستي فإنها ستجمع بين الثابت والمتحول الجمالي وذلك لعدة أسباب:

1-إن المعنى الثابت وإن كان يحمل الدلالة الضيقة للجمالية، إلا أنه يرتكز إلى أسس وثوابت معرفية ، والدراسة تحتاجها أحيانا في مقارباتها الفنية.
2-والمعنى المتحول هو الأساس الذي تقوم عليه دراستي لأن الانزياح أساس فيها.
إنني أهدف لدراسة جمالية تنظر إلى الأدب بوصفه حركة إنسانية لها مرتكزاتها النفسية والاجتماعية والنفسية ، سأعمل على تحويل المكان من مدرك حسيّ إلى مدرك نفسي ، يتمظهر في قصائد شعرية تحمل دلالات إيحائية وإنزياحات شعورية؛ لذا تبدو الجمالية من – وجهة نظري- غاية كل تجديد ومطلب أساسي في الإبداع الأدبي ، ولاسيما لكل من يبحث عن التميز والفرادة، هذا التميز لايكون إلا باستغلال تقنات الكتابة الجمالية والفنية المحملة بشبكة من الدلالات والمقاربات الأدبية. وفي تقديري ، إن بحثي المتواضع" جماليات المكان في المتن الشعري عند تميم البرغوثي" سيكون إضافة جديدة لتلك الجماليات المكانية من خلال عدة محاور وأهداف:

---

[1] – المحادين ، د.عبدالحميد: *جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية* ، ط1، المؤسسةالعربية للدراسات والنشر ، الأردن،عمان، 2001،ص23.
[2] – المرجع نفسه ، ص34.

1-توظيف المكان شعريا.

2-إبراز العناصر الجمالية على المستوى المكاني.

3-الكشف عن تجليات المكان عن طريق الخبرة الجمالية للوصول إلى المتعة الجمالية.

4-إيضاح مدى ما وصلت إليه الجمالية من خلال تماهي الإنسان في المكان.

" إن النص الذي لا يحمل قيمة جمالية مهما حمل من أفكار لاقيمة له ؛ لأنه عند ذاك يكون قد ابتعد عن عالم الأدب ، وأصبح خطابا كباقي الخطابات المسيسة والمؤدلجة".[1]

في تقديري ، ستبقى القراءة الجمالية النقدية هي الهدف الأسمى للدب ، لأنها مرآة تعكس العلاقة بين المبدع وبين مكانه وبيئته.

[1] -إسماعيل، عز الدين: *الأسس الجمالية في النقد العربي"عرض وتفسير ومقارنة"* ،ط1،دارالفكر العربي، القاهرة ،1994، ص299.

الفصل الثاني

التمظهر الإجرائي للمكان

أولا: أنواع المكان

بالرجوع إلى الفصل السابق وبعد مقاربة المكان من نواحيه كافة ، الفنية والفلسفية والجمالية ،وفي حدود علمي وجدت أن "غاستون باشلار"ركز في كتابه على الجانب النفسي للمكان؛ وذلك لتماهي الفرد فيه بينما وجدت الناقد السوفياتي"يوري لوتمان"يعطي للمكان بعدا آخرمرتبطا بالناحية الفنية على اعتبارأن العمل الفني ماهو إلا نتاج لهذا المكان الذي نشأ فيه وترعرع بين موجوداته.

هناك من الباحثين من قسّم المكان على ثلاثة أنواع : (الطباعي ، الجغرافي ، والدلالي) وسأبين هذا التقسيم في حديثي عن أنواع المكان).

1-الفضاء الطباعي:

يتفاعل الفضاء الطباعي داخل النص مع خارجه تفاعلا مطردا يمتد تأثيره إلى القارئ والسامع ؛إذ يأخذ العمل الأدبي سواء كان نثرا أوشعرا حركته ورسالته وهدفه من خيوط أدبية ونقدية تتصل مع بعضها اتصالا معقدا متشابكا بدءا من البنية اللغوية والصورة الفنية والإيقاعات بمختلفها:داخلية وخارجية،والرسومات الفنية وتشكيلات الخطوط المستعملة والهوامش وغيرها من تقنات فنية تشكل البياض والسواد التي يستغلها ويستثمرها الأديب أو الناشر لأجل تبليغ رسالة فنية أو أدبية، والتي تشكل جماليات وفنيات الخطاب الأدبي بأنواعه ؛وبالتالي تصبح التجربة الأدبية الفنية مرتبطة بالتقنية العالية .

يشير محمدبنيس إلى الفضاء الطباعي بقوله أن:".... الكتابة ليست تنظيما للأدلةعلى أسطرأفقية ومتوازية وحسب،إنها قبل كل شيء توزيع لبياض وسوادعلى مسند وهو في عموم الحالات الورقةالبيضاء"[1]وبناء على ماسبق يتضح لي أن الفضاء الطباعي الذي أشارإليه "محمدبنيس"هو الصفحة الورقية التي تشمل النص. في تقديري أن الفضاء الطباعي لايأخذ مساحة من التفكيرعند الروائيين لأن الرواية نثرية لاتتأثربهذا المكان المعني،بينما يشكل الفضاء الطباعي-منعطفا مهما عند الشعراء ؛وذلك لاختلاف أنواع الشعر على تلك الصفحة البيضاء، من عمودي إلى تفعيلة إلى نثري ،إلى ومضة.. ؛ وذلك لأن "المتغيرات الإيقاعية التي عرفتها القصيدة العربية انعكست آليا على اشتغالها الفضائي المعتاد."[2] .فالفضاء الطباعي هنا هو "المكان النصيَ" ؛ إلا أن

---

[1]-بنيس،محمد:*الشعرالعربي الحديث بنياته وإبدالاتها*،ط1 ،دارتوبقال للنشر،الدار البيضاء -المغرب،2001،ص111.

[2]-داغر،شربل:*الشعريةالعربية الحديثة (تحليل نصي)*،ط1،دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب،1988،ص15.

هناك من يرى أن "المكان النصيّ" ينطلق من "المتخيل الذاتي بأبعاده المعرفية والنفسية والثقافية"[1].

قد يوسم الفضاء الطباعي بإسم آخر وهذا مانجده في قول حوريةالظل "...فضاءالكتابةهو الحيز الذي تشغله اللغة الكتابيةعلى الصفحات،وهومكان محدد يدرك من قبل القارئ".[2]،وضمن رأي"حوريةالظل"في وسم المكان الطباعي بالفضاء؛فإن هذا يحيلنا إلى قضية الجزءوالكل، وفي حدود اطلاعي أجد أن المكان جزءوالفضاءكل ،وتماهي الجزء في الكل يجعل من الطباعية المكانية تميل نحو الفضاءالمترامي الأبعادعلى الصفحة الورقية .

نخلص إلى أن الفضاء الطباعي، أو النصيّ، أومايُسمى بالفضاء النصيّ،كلهاتدخل ضمن كل ماله علاقة بالنص وطريقةعرضه على الصفحات البيضاء،بدءا من حجم الكلمة المكتوبة مرورا بالورق ونوعيته ومختلف درجات التقنية المستخدمة في الكتابة،انتهاء إلى حجم الكتاب وغلافيه الأمامي والخلفي، وإن كانت تلك الطباعية تختلف في رؤية منظريها من ناقد لآخر، فهناك من قارب الطباعية من ناحية:

-ورقيةبحتةكما تبدت عند محمد بنيس.

-نفسية كما تبدت عند"شربل داغر".

-الدمج بين الطباعية والمتخيل.

-التمييز بين المكان الطباعي والفضاءعلى اعتبارأن المكان جزء من الكل.

أيًّا كان تنظير المكان الطباعي إلا أنني أرى الفضاء الطباعي أو النصي-وإن كان يختص بكافة التقنات الفنيةوالورقيةفي الإخراج- إلاأنه لابد من عنصر التخيل الذي لايمكن أن يفرض نفسه بقوة على تلك البياضات والأحبار والتقنات الفنية ،فلولاه لماحدثت تلك الألفة النفسية بين الكتاب وبين قارئه من أول وهلة.

2-المكان الجغرافي:

أثبت المكان منذ قديم الزمان دوره الفعّال في رسم حياة البشر وتواصلهم مع بعضهم ،وذلك بترسيخ كياناتهم وتثبيت رؤاهم،عبر إدراكهم لموجودات الحياة لتصل لدرجة الالتحام بذواتهم ؛ ولذلك أرى أن العمل الأدبي هو في الحقيقة نتاج مكان تماهى فيه الأديب مع موجوداته

---

[1]-نشوان،حسين:قراءة المقال معرفيا، مقالة نقدية *ضمن جريدة الرأي الأردنية* ،2012/12/21 على صفحة الويب *.http://www.alrai.com/article/558310.html*

[2]-الظل،حورية:*الفضاءفي الروايةالعربيةالجديدة*،ط1،دارنينوى للنشر والتوزيع-سوريا،2011،ص28.

لدرجة إفراز نسخ أخرى من هذا الأديب تتمثل في الشعر والنثر ،وبالتالي يمثل المكان دعامة من دعامات البناء الفني للعمل الأدبي ؛لأنه يساعد على التفكير والتركيز والإدراك العقلي للأشياء، وتكفي الإشارة هنا إلى أن المكان الذي يحدث فيه التماهي السابق ينبثق عنه أماكن أخرى في متخيل القارئ والأديب نفسه وبالتالي يقودنا هذا إلى المكان الجغرافي ومقاربات النقاد فيه كما سيأتي لاحقا ، وسأحاول هنا الوقوف على المكان الجغرافي ومقارباته النقدية المختلفة .

بالرجوع إلى الفصل السابق بدا خلط في تعريفات المكان ،هذا الخلط يظهر بين ثلاثة مصطلحات (الحيز، الفضاء، والمكان نفسه)،إلاأن هناك من اعتنى بالمكان الجغرافي على وجه التحديد عناية هامة ومن هؤلاء:- عبدالملك مرتاض: أثار فكرة الحيز أوالفضاء في كتابه "ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكايةجمال بغداد" "فلقد درس الحيز من عدة مستويات هي الحيز الجغرافي والحيز شبيه بالجغرافي.."[1].

جولياكريستيفيا(1941-):تحدثت عن مفهوم الفضاء وأنواعه وذكرت أن من أنواع تلك الفضاءات ، الفضاء الجغرافي وهو"الذي يتحرك فيه الأبطال ، أويفترض أنهم يتحركون.."[2]

-تيسيرعبدالجبارالألوسي "جعل المكان الجغرافي عبارة عن ثنائيات تترابط فيما بينهابعلاقات متداخلة في بُنى فنية مثل:ممتد،منته-قريب،بعيد-بعيد،منفتح وغيرها يقول الألوسي:"وبناء على هذا الرسم المكاني تتولد قابلية الحركة ودافعيتها"[3]

-فلاديميربروب (1895-1972) :قسم بروب المكان إلى ثلاثة أقسام،أما القسم الذي يندرج تحت المكان الجغرافي فلقد اندرج تحت نوعين :"المكان الوقتي أو العرضي وهو الذي يتبلور فيه الاختبارالترشيحي وهومؤهل للمكان المركزي ، والمكان المركزي وهو المكان الذي يحصل فيه الاختبارالرئيسي أو الانجاز"[4] وفي تقديري تتضح مقاربات النقاد للمكان الجغرافي عبر عدة زوايا هي :

-دمج المكان الجغرافي ضمن الحيز، مع تقسيم الأول لعدة مستويات كما وردعند"مرتاض".

-الربط بين المكان الجغرافي والفضاء دون تقسيم دقيق كما برزعند "كريستيفيا".

---

[1]-أبوهيف،عبدالله:جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، *مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية* ،المجلد 27،العدد(1) 2005.

[2]- لحمداني،حميد:*بنية النص السردي*،ط1، نقلا عن جوليا كريستيفيا ، علم النص ،1976،ص186.

[3]-الألوسي،عبد الجبار:المكان، دلالته و دوره السردي قراءة في رواية إبراهيم الكوني: البئر نموذجاً ،مقالة نقدية ضمن الويب *http://www.somerian-slates.com/AR3.htm*

[4]- بن عمارة،منصورية:*المكان في الشعر المغربي القديم*،(رسالة ماجستير)،كليةالآداب واللغات ،جامعةأبي بكر بلقايد،تلمسان،تحت إشراف :أ.د.محمد مرتاض.2010،ص9.

-ربط المكان الجغرافي بالثنائيات الواقعية الموجودة بالفعل وهذا وجدته عند" الألوسي".

-تقسيم المكان الجغرافي إلىمستويين إثنين كل واحد يفضي للآخر.، كما اتضح عند" بروب".

وفي حدود اطلاعي ،أرى أن المكان الجغرافي- مع اختلاف أوتقارب كل الاراء السابقة- إنماهو المكان الذي تدورفيه الأحداث والوقائع،أوقد يكون المكان الذي يتأثر به الشاعر فتحدث عملية من الانسجام العاطفي والوجداني بينهما فيتحول هذا الانسجام إلى موضوع تخيل وتخييل، وهو غالبا"مايحدد جغرافيا من طرف الكاتب"[1]. إلاأنني أرى أن المكان الجغرافي –وإن كان يمكن تحديده من طرف الكاتب- إلا أن هذا التحديد يعد محدودا إذا حدث لدى القارئ اختراقات عاطفية وتخيلية،فقد يأخذ هذا المكان صورا شتى في ذهن القارئ أو السامع ، تنأى بهما عن المكان المحدد أصلا من قبل الكاتب ؛وهو بذلك يكتسب داخل النص صورا وملامح نفسية واجتماعية وتاريخية وأسطورية أحيانا،"حتى إننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه ، أومايرتبط به"[2] ،ومن هنا تأتي أهمية النص المكتوب في مدى قدرة الشاعر على إبداع وخلق مثل تلك الأجواء والسياقات التي يتخيلها القارئ والسامع ؛لأن الثراء الفني لايتوقف فيما هومكتوب على الورق بقدر ماحدث من إنزياح شعوري ونفسي لهذا النص،وانعكس هذا الانزياح على المتلقي.

لقد أشار"غاستون باشلار"إلى ماسبق في قوله :"إن الأمكنة ليست البنيان الظاهري، وإنما نواياتها الخفية التي لا تنتهي بتدمير الشكل الظاهري".[3] وفي السياق نفسه أجد أن "ياسين النصير"يشير إلى ما سبق بقوله:"....الأمر لايتعلق بوصف المنازل ومظاهرهاالرائعةوأسباب الرخاء فيها،فلاشيء من ذلك يدخل في شعرية المكان ،ولكن ينبغي تجاوز قضايا الوصف تلك،من أجل الوصول إلى السمات الأولى التي تكشف الارتباط بالمنزل وتشكل النواة الحقيقية لشعريته"[4].

إلى هنا أصل إلى ختام القول في المكان الجغرافي الذي يتحول من مجرد موقع جغرافي إلى إنتماء وجداني ،وذلك بفضل الانزياحات النفسية التي تراكمت داخل النص وانعكس أثرها على كل من القارئ والسامع معا.

---

[1]-كحلوش،فتيحة:*بلاغة المكان*، ط1،دار الانتشار العربي ، بيروت-لبنان ، 2008.ص23.

[2]-الجيار،مدحت:جماليات المكان في المسرح-صلاح عبد الصبور-،مقالة ضمن *موقع الجامعة الأمريكية* بالقاهرةقسم الأدب المقارن ، العدد السادس

*http://repository.yu.edu.jo/handle/123456789/540785?show=full*1986

[3]-باشلار ، غاستون: *جماليات المكان* ، ص78.

[4]-النصير ، ياسين:البنية المكانية في القصيدة الحديثة ، مقالة ضمن *مجلة الآداب البيروتية*، العدد1-3،عام 1986، ص211.

3-فضاء الدلالة:

أشرت فيما سبق إلى أن المكان جزء والفضاء هو الكل ؛ذلك أن المكان يتعدد في العمل الأدبي، وفي تعدديته هذه يتجزأ إلى أمكنة أخرى واقعية وقد تكون تخيلية ، ومجموع هذه الأمكنة يمكن أن يُطلق عليها من الوجهة المنطقية اسم" الفضاء" ؛لأن الفضاء أشمل وأوسع من الدلالة الثابتة للمكان، وبالتالي – من وجهة نظري- الفضاء هو السياق الحقيقي للأمكنة أو بعبارة أخرى الأماكن هي"جزر في الفضاء....أكوان صغرى منفصلة"[1]،وبهذا يكون الفضاء أوسع من المكان وأشمل وكلاهما متداخلان ،إذ يصعب الفصل بينهما فلاانفصال للمكان عن الفضاء ومثله لاانفصال للفضاء عن المكان "فالفضاء بحاجة على الدوام للمكان"[2]،ويتسع الفضاء ليشمل العلاقات المكانية والعلاقات بين مكونات العمل الفني من شخوص وأحداث ومجريات خلال العمل الأدبي " فالفضاء ليس فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية،ولكن أيضا أحد العناصرالفاعلة في تلك المغامرة نفسها"[3].

في اعتقادي أن للمكان سلطة ،تدور في ثلاثية يحكم الأديب ،هذا الثالوث يتمثل في الماضي والحاضر والمستقبل ، وفي ظل هذا الثالوث يمارس الأديب طاقته الفنية عبر مستويي الحضور والتخيل، وبالتالي يأتي دور المتلقي الذي يتضح في التفاعل والتجدد، عندها يمكن القول:بأن أثر السلطة بدا واضحا بما يخدم شكل العمل الفني ومضمونه."فالمكان خارج دالته الجغرافية هو دالة ثقافيةلها قوانينها المعرفية ،يفصح عن وجوده وفعله وإمكانية قدرته على ممارسة فعل الفهم والمعرفة"[4] ، في ضوء ماسبق اتضح لي أن الأمكنة سواء أكانت قديمة أم حديثة لم تبق على حالتها الأصلية لولا فعل حركة التغيير الإنساني المادية والمعنوية معا ؛ ولذا"فقد أضفت على هذه الأمكنة مقامات حلمية،والحلم هو إلغاء لشرطيّ الزمان والمكان وطقسيهما، في الحلم تختلط الأزمنة وتلغى المسافات ويتحقق المستحيل ، ويتيسر العسير"[5].

إن هذا الحلم هو الذي أحال المكان من مكان جغرافي واقعي إلى فضاء واسع ليس له حدّ،له بؤرة ارتكاز تتمثل في المبدع نفسه، ولكن مداه يتعدى المبدع إلى متخيل المتلقي." إذ أصبح المكان

---

[1]-*Georges POULET, L'espaceproustien, Ed Gallimard, Paris 1963, p. 51.* نقلا عن أوريدةعبود،المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية،،(رسالة ماجستير)،كليةالآداب واللغات ، الجزائر،ص31.

[2]-بحمي،حسين:*شعرية الفضاء السردي*،ط1،المركز الثقافي العربي ،بيروت-لبنان،2000،ص42.

[3]-بحراوي،حسن:*بنية الشكل الروائي*، ط2، المركز الثقافي العربي- المغرب، 2009 م، ص28.

[4]-الرحاوي، فارس عبدالله:ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية،معهد إعداد المعلمين،نينوى، العراق،*مجلة أبحاث كلية التربية*، المجلد11،العدد2.

[5]-الصائغ، عبدالإله:*الخطاب الشعري الحداثوي والصورةالفنية*،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء-المغرب،1999،ص60.

"هو الفضاء الأمثل الذي تنهل منه عملية الإبداع لدى الشاعر تصوراتها وشعورها وذلك عبر عملية التجادل بينه وبين الذات"[1] .

"وإذا كان الإنسان –بشكل عام- في رباط عميق مع المكان ،فلاشك في أن الشاعرفي ارتباطه بالمكان سيكون أكثر عمقا وإدراكا لمعطياته التي يمنحها ديناميكية التفاعل ويضفي عليها صورا جمالية"[2]. لذا أجد أن الفضاء أكبر من المكان لأن أمكنة العمل الأدبي تتكون وفق مستويات ووجهات نظر متعددة الجوانب ،تأتي عبر العلاقة التي خلقتها البنى الفنية داخل العمل الأدبي."فالفضاء هو امتداد للقوى الفاعلة ،دلالاته من دلالاتها، وديناميته من دينامياتها"[3].

إن النفس البشرية لاتكتمل ذاتها في حدود نفسها ، وإنما تنبسط وتنفتح خارج هذه الأطر كلها لتصطبغ بصبغة المكان الذي تعيشه وبقيمة هذا المكان التاريخية والحضارية وموروثاته الثقافية وتراكماته الإيحائية والدلالية في بناء فني يصعب التكهن ببداياته ونهايته الإنزياحية .

في ضوء ما سبق يبرز "الفضاء الدلالي" والذي أرى أنه إنزياح شعوري وجداني لحروف مرسومة تركت أثرها في نفس المتلقي ؛ ذلك أن " الأمكنة الموظفة في نص من النصوص الشعرية تتجاوز دائما واقعيتها بمجرد تحولها إلى جسد لغوي"[4] ؛ إذ لامكان خارج فعل المخيلة[5].

إن المكان الذي يتلقى فنية الأديب ليس هو المكان الحقيقي للعمل الأدبي كافة ؛ذلك أن الأديب يتجاوز بمخيلته كل الأماكن المحتملة وهذه الأماكن يتجاوزها بدوره المتلقي بفعل الدلالات الإيحائية والشعوريةالتي تطرحها المقاربات فيما بعد..فالدلالة في النص الأدبي تتجاوز " الصورة الحرفية"[6] .

وفي اعتقادي أن هذا التجاوز للمكان الواقعي يحيلنا إلى أن المخيلة قد تحذف أحيانا وتضيف أحايين أخرى بمعنى أن المكان الحقيقي قد تغيب ملامحه في خضم الخيال المشترك بين المبدع والمتلقي معا،فهذا الغياب لم ينشأ من فراغ ؛ وإنما بفعل الانزياحات الخطابية في العمل

---

[1] –عقاق،قادة:*دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر*،ص279.

[2] – صلاح،عبد الله زيد:جماليات المكان في شعر حسن الشرفي، مقالة منشورة في *مجلة غيمان* ،*مجلة يمنية*،العدد الثامن ،صيف2009،

والرابط:*http://www.ghaiman.net/derasat/issue_08/jamalyat_almakan.htm*

[3] –حسين،خالدحسين:*شعرية المكان في الرواية الجديدة* مؤسسة اليمامة–الرياض،ط1 ، ص9.

[4] –كحلوش،فتيحة:*بلاغة المكان*، ص25.

[5] – الطرابلسي ،محمد الهادي:*بحوث في النص الأدبي* ،ط1، الدار العربية للكتاب–تونس،1988،ص22.

[6] – الغدامي ،عبد الله:*الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)* ،ط3، دار سعاد الصباح–الكويت ،1993، ص 269.

الأدبي، إذ يعمل المبدع على إخراج الكلمات من قواميسها اللغوية المتداولة إلى فضاء واسع تسبح فيه ومن ثم إلى متخيل أوسع لدى المتلقي عبر فك رموز الشفرة الفنية التي أسس لها المبدع ، وهذا بدوره يؤدي إلى فضاء الدلالة الذي ينشأ في النص من ترابط وانسجام " البنية الصوتية والبنية المعجمية والبنية التركيبية"[1]،"ولكن ليس معنى هذا أن هناك نقطة معينة في النص يلتقي فيها جميع القراء، بل إن هناك فضاءً واسعا للقراءات"[2]،يجعل ما سبق من النص الأدبي - عبر أماكنه وفضاءاته المتعددة- مجالا واسعا للإضافة والتعزيز والمقاربة الفنية وفق عملية "هيرمونيطيقية" تتم بين كل من المبدع والنص والمتلقي ، ومع كل قراءة جديدة نجد مقاربة مختلفة للنص المقروء ؛ وهنا تبرز قيمة التفرّد في تمظهر كافة أشكال الدلالات الروحية والمعنويةوالشعورية على الورق الأبيض،يقول عبدالله الغذامي في هذا المجال :"... فالبيت الشعري يحمل لألف قارئ من قرائه ألف معنى أي أنه بيت بلا معنى محدد ، والقارئ فقط هو الذي يفسره حسبما تمليه عليه نفسه ، وهذا حق للقارئ مثلما هو مهارة للكاتب"[3].

إلى هنا أصل إلى ختام هذا الجزء وفق قناعة بأن النصوص تظل تحتفظ بطاقات مذهلة من العطاء والمقاربة بغض النظر عن قدمها أو حداثتها ، فقد يكون النص قديما لكن يتم مقاربته من مكان حديث وبالتالي تتشكل لدى المبدع والمتلقي رؤى مختلفة تماما عن الزمان والمكان الذي كتب فيه النص الأصلي،فيمكن القول بأن الفضاء الدلالي هو بمثابة الأخيلة الفنية المتجددة دوما وأبدا.

ثانيا :دلالات المكان

يشكل المكان الرحم الذي يتشكل فيه العمل الأدبي،ليتحول هذا التشكّل وفق علاقات ديناميكية متسارعة بين كل من المبدع والنص والمتلقي إلى ثراء شعوري ووجداني مترامي الأطراف الفنية والأدبية.إلا أن هذا التمظهر الفني والأدبي يحمل في ثناياه كثيرا من الدلالات التي ترتبط بصورة أو بأخرى بالمكان لدرجة التماهي في موجوداته، فمجرد ذكر اسم المكان ؛فإن ذلك يستدعي في ذهن المتلقي المخزون الثقافي المترسخ لديه فيما يحمله هذا المكان من دلالة تاريخية أو نفسية أو واقعية أو دينية وغيرها الكثير.والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن :هل تعتبر هذه الدلالات ،دلالات ثابتة أم متغيرة؟ وإذا كانت متغيرة،ماهو حجم التغير الذي يمكن أن تتحرك ضمنه ؟

---

[1]-بنيس،محمد:*الشعرالعربي الحديث بنياته وإبدالاتها* ،ص112.

[2]-كحلوش،فتيحة:*بلاغةالمكان*،ص25.

[3]-الغدامي،عبدالله:*الخطيئةوالتكفير (من البنيويةإلى التشريحية)*،ص269.

إن الإجابة عن السؤالين السابقين تجعلني أستحضر علم العلامات السيموطيقا ، "وليس علم اللسان "علم اللغة" إلا جزءا من هذا العلم العام"[1]، أي أن علم اللسان جزء من علم السيموطيقا وبالتالي يعد المكان علامة تحمل زخما كبيرا من الدلالات الثقافية،والمعرفية .وبما أن العلامة تتميز بعدة ميزات منها المرونة ؛ فهذا يحيلنا إلى اختلاف المدلول الذي تشير إليه تلك العلامة وبالتالي فإن تلك المرونة قد تنتقل إلى دلالات المكان التي تتغير من زمان إلى آخر حسب الأشخاص والبيئات التي يحيون فيها ؛ بل حسب الموروثات والتراكمات الثقافية في هذا المجتمع أو ذاك.كما تجدر الإشارة إلى أن هذا التغير المرن في الدلالة يلزم كل كاتب بخصوصية تختلف عن الآخر وفق تلك الدلالات التي تشكل فيها عمله الفنيّ.

إن المكان بما يحتويه "يمتلئ بمئات بل بآلاف الأشياء ويزخر بها العالم الخارجي وتمثل قوة هائلة من العناصر يتفاعل معها الإنسان"[2]، " فيبدو وكأنه يتجه إلى مختلف الأماكن دون صعوبة ، ويتحرك نحو أزمنة أخرى وعلى مختلف مستويات الحلم والذاكرة"[3] ، وفي ضوء ماسبق يتضح لي أن دلالات المكان مطاطية في ارتباطها بالنص، والقراءة والمقاربة الفنية هي الكفيلة بالكشف عن هذه الدلالة أو تلك ؛إذ لاتتوقف تلك الدلالات عند حدود بعينها ؛ بل تمتد للإفصاح عن مكنونات شعورية وعقلية تسابق خيال المبدع نفسه.

1-الدلالة الدينية:

تعتبر الدلالة الدينية من أهم الدلالات التي ترتبط بالمكان ،ولاسيما وأن الدين يشكّل مرتكزا أساسيا في ثقافات الشعوب، فـ"انفتاح المكان على المقدّس، يتجه إلى البحث في علاقة التجربة الشعرية بالنص المقدّس ،باعتباره أساسا دينيا استلهم علاقة المكان بأحد المكونات الثقافية الأساسية"[4].

يحيلنا ما سبق إلى ارتباط المقدس بالعلاقة الروحية التي يضفيها الشاعر على أمكنته مستلهما بذلك كافة النصوص الأدبية الدينية التي تمظهرت في أكثر من شكل، وأكثرها شيوعا في الكتب السماوية الثلاث: التوراة،والإنجيل،والقرآن وفي الوقت نفسه يستفيدمما ورد فيها من قصص تجعله ينشد الفردوس المفقود الذي يحاول استذكاره متنيا عبر ذكر تلك النماذج أو استحضارها

---

[1]-البليهد،حمد:*جماليات المكان في الرواية السعودية*،ص163.

[2]- قاسم،سيزا: *بناء الرواية*،ص14.

[3]-باشلار،غاستون:*جماليات المكان* ،ص72.

[4]- مجناح،جمال:*دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر*،بحث مقدم لنيل درجةدكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث،كليةالآداب والعلوم الإنسانيةقسم اللغةالعربيةوآدابها،جامعةالحاج لخضرباتنة،بإشراف:أ.دالعربي دحو ،2008،ص402.

مثل:قصة يوسف عليه السلام،التي تحاكي بما يجري له من تخلي الإخوة عن بعضهم وغيرها من القصص الحياتية التي تجد لها مدلولا في القصص الديني. فقد اتجهت الرؤى الشعرية نحو النص أو الرمز الديني، في مستواها الدلالي نحو تأملات في عالم بديل أو كون شعري يتجاوز الواقع ويحاول أن يؤسس فردوسه"[1].يتضح مماسبق أن الرمز الديني يسهم في تشكيل الرؤى الشعرية التي تتجاوز الواقع إلى المتخيّل وتحاول أن تسعى للتأسيس الجديد المبني على عملية هيرمونيطيقية نستشرف فيها روح التفرد والتميز.

إن بناء المكان في النص الأدبي على هذه التصورات من استحضار للقيم الدينية والروحانية والرموز على اختلاف أنواعها تساهم في توطيد علاقة الإنسان بمكانه عبر تفاعل الذات مع موجوداتها المادية والمعنوية معا.

2-الدلالة التاريخية:

يتمثل تفرد الأديب بعمله الفني عبر إعادة قراءة الماضي وتاريخه وفق رؤية الواقع الحالي والتي تنسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة" فيكون هذا التداخل بين اللغوي والتاريخي ؛لإضافة نصية جديدة وحقيقية"[2].إن الاضافة النصية الجديدة هي التي تتجاوز الحاضر والماضي لترسم ملامح المستقبل، عندها تبرز،مفارقة حقيقية بين الماضي والحاضر،والمستقبل لتؤسس لرؤى شعرية تملك تفردا وتميزا جديدا لاينفصل عن تاريخه ؛بل هو يؤسس لمرحلة تاريخيةجديدة. فنغدو" كأننا أمام زمنين تاريخيين:

-زمن تاريخي يمثل تجارب البشرية على خط الزمن الطبيعي.

-زمن تاريخي يتجسد عبر المقابل الخارجي لعالم متخيل تصنعه مخيلة الروائي.[3].

وبناء على ماسبق تأخذ التجارب البشرية مسارين مختلفين ، مسار يتعلق فيما كان ومساريتعلق فيما سيكون،ولكن الأخيرة تستند إلى الماضي ولكن في صورة جديدة، وكأن المبدع يستقي عمله من تاريخ مضى ليسترشد عبره على فترة قادمة،ترتسم ملامحها في مخيلته،وتكتمل الصورة في مخيلة المتلقي.ومما يدخل في الدلالة التاريخية،رصد الأديب في نصه لبعض من المعالم والأحداث التي تشكّل بصمة في ارتباطه بهذا المكان أوذاك، مثل أسماء بعض المدن أو المعارك

[1]- مجناح ، جمال: *دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر*،ص402.

[2]-خرفي،صالح:*جماليات المكان في الشعر الجزائري*،ص169.

[3]-البليهد،حمد:*جماليات المكان في الرواية السعودية*،ص177.

أوالأحداث العِظام."وليس معنى هذا أن الشاعر يقحم التاريخ في المكان أو المكان في التاريخ قسريا،دون مبرر فنيّ او مسوغ موضوعي ؛بل إن كل مكان يحمل تاريخا"[1].

وفي هذه القضية يشير إدوارد سعيد(ت 1935):"إلى استثارة الماضي وتوظيفه في تأويلات الحاضر،باعتباره حالات ليست مشابهة تماما للحاضر وإنما هو موروث يسهم بشكل ما، في فهم إشكالية الحاضر"[2].وأجد أن التجارب التاريخية مثلت إلهاما للتأملات الشعرية في المكان ؛وذلك لأجل إعادة تشكيل العلاقة بالمكان،علاقة تقوم على التأسيس وليست النمطية، ومن ثم تتحول كافة الموروثات التاريخية إلى باعث ،تستمد منه الذات قوة الانتماء، ويتحول صوت المبدع إلى كشّاف للمتلقي لإعادة تقييم الأنا وفق كافة المعطيات والمستويات المطروحة.

3-الدلالة الواقعية:

تتراءى مختلف الدلالات في النص الأدبي،إذ تقوم كل منها بدور إبداعي،بإخراج العمل على أكمل وجه ممكن .والملفت للنظر أن المبدع لايكون منتبها لتلك الدلالات أثناء إبداعه،لكن الموقف النقدي للمتلقي فيما بعد هو الذي يرسم ملامح تلك الدلالات ويوضح بدورها بدقة. ومن تلك الدلالات التي لاتخفى عن الجميع "الدلالة الواقعية"،مع الأخذ بالحسبان أن المكان الواقعي يختلف عن المكان الفنيّ المتشكل في مخيلة المبدع والمتلقي.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن:هل يلزم المكان الواقعي حركة السكون وعدم التجدد؟ وإن كان هناك تجدد،ماهو حجم التجدد بحيث لايطغى على المكان الفنيّ؟

من وجهة نظري أن المكان الواقعي متجدد ولكن هذا التجدد لايصل لدرجة تغير وتجدد المكان المتخيَل، وذلك حسب قول هيرقليطس (نحو 540- 480 ق.م) :" أنت لاتنزل إلى النهر مرتين لأن هناك أبدا مياها تجري" لأن " المكان داخل النص لابد أن يكون متغيرا بتغير السياق الذي يدورفيه"[3]،لكن يجب الإشارة إلى أن هذا المكان الواقع يخضع لسلطة الأيديولوجيا التي ترعرعت فيه، والتي يستلهم منها المبدع خطة مبدئية لعمله الفنيّ ،فهو يتشرب الأمكنة التي تحيط به ويعيد خلقها في النص، وتتضح ملامح الدلالة الواقعية أكثر عبر رصد كافة معالم المكان بكل محتوياته ومستوياته بدقة متناهية ؛ لأن كل موصوف سيحمل دلالة معينة في متخيل المتلقي فيما بعد.

---

[1]-زايد،عبدالصمد:*المكان في الرواية العربية"الصورةوالدلالة"*،ط1،دارمحمدللنشر-تونس،2003،ص133.

[2]-سعيد،إدوارد:*الثقافة والامبريالية*،ط2،ترجمة (كمال أبوديب) دار الآداب ،بيروت،1988،ص75.

[3]-حمادي، صبري مسلم: دلالة البعدين المكاني والزماني،مقالة نقدية ضمن موقع "اليمني الأمريكي ،نت" السبت/2 فبراير/201والرابط : *http://www.yemeniamerican.com/show.php?yid=192*

ثالثا :أبعاد المكان

1-البعد النفسي والاجتماعي:

لايمكن اعتبار المكان مجرد حيز أو فضاء ،أو خلاء يمارس فيه حياته فحسب وإنما هو" مكان ثقافي، أي أن الإنسان يحوّل معطيات الواقع المحسوس وينظمها لا عبر توظيفها المادي المعيشي وحسب ؛بل عبر إدخالها في نظام اللغة...التي تحمل الأشياء في الوقت ذاته دلالات إيجابية أوسلبية"[1]. والمتتبع الحقيقي لعلاقة الإنسان بالمكان تبين أنه تكون في مكان معلوم،ثم ولد في مكان يشكل بداية علاقة حقيقية بالمكان،لترتسم معالم شخصيته تحت مؤثرات مكانية فهو،"ابن البيئة بأحداثها وتاريخها وهمومها...يتأثر بالحاضر والماضي حسب قربه أو بعده عنهما.."[2]

ففي ضوء ماسبق سيصبح المكان الفاعل الحقيقي لتمظهر الأحداث التي يصنعها خيال المبدع،والتي تشكلت بفعل رؤى وأيدلوجيات وطبقات شعورية ذات مستويات متعددة.أو لنقل : "إنه بشكل أو بآخر يعبّر عن مقومات خاصة مرتبطة بالهوية والكينونة والوجود"[3] ؛ ولذلك وجدت أن علاقة الشعر العربي بالمكان علاقة قديمة وأصيلة ؛إنها علاقة وجود وحياة متجذرة في وجدان الشاعر "وإذا كان منبع الشعر هو الوجدان،فإن أقوى البواعث وأحقها الداعية إلى قول الشعر (هو الوجدان والنفس)"[4] .فإذا كان المكان حاضرا في الذاكرة الملهمة بكل مافيه من أحداث ومواقف وذكريات ؛فإنه قد يتحوّل بذلك إلى "جزء من الثقافة التي يتعاطاها القوم ؛ يثير ذكره في أذهانهم أمورا لاتنفصل عما خبروه عنه أو سمعوه، مما أصبح ملامسا لقوى الاحساس والمشاعر عندهم ،وهوتاريخ متصل،تتناقله الأجيال وتتمثله وتعيد صياغته على نحو من استلهامالتراث المتجدد في روح المجتمع،تجدد سطوره غرائز الانتماء للأماكن،وللقوم الذي سكنوها...هذا الانتماء الذي يشترك فيه المخلصون اشتراكهم في الماء والهواء إلى الحدّ الذي يصبح معه أحد مقومات حياتهم على المستوى المعنوي بخاصة"[5].

إن ماسبق يفسر الارتباط الإنساني الحميم بين الشاعر والمكان عبر تذكره للأحداث التي جرت فيه وحنينه لتلك الذكريات بكل مافيها من مشاعر فيّاضة. فالمكان الذي نقضي فيه كل

---

[1] –قاسم،سيزا، وآخرون: *جماليات المكان* ،ص64.

[2] –خرفي ،محمد صالح: *جماليات المكان في الشعر الجزائري*،ص111

[3] – عبود،أوريدة:*المكان في القصّةالقصيرةالجزائريةالثورية*،ص23.

[4] –نبوي ، أحمد سيد :جماليات المكان عند ابن خفاجة الأندلسي،مقالة ضمن *مجلة فكر وإبداع* –السعودية ، ص3.

[5] –المنصوري ،جريدي:شاعرية المكان ،ط1،دار العلم للطباعة والنشر–السعودية،1992ص11.

حياتنا منذ ولادتنا وحتى مماتنا،حين تتم استعادته فإنه يكشف لنا"لا عن وجوده الواقعي ؛بل عن بعده العاطفي الذي اندس في موجوداتنا الشعورية والجمالية ، ومن هنا تصبح صورته ذات طبيعة شعرية"[1] .

إن هذه الذاكرة التي تستوطن دواخلنا هي على حدّ قول باشلار :"بروز متوثب ومفاجئ على سطح النفس"[2] ؛ ولذلك فإننا عندما نستعيد المكان فإننا نستعيده وفق تأملات نفسية وانفعالية ارتبطت به عبر شبكة علائقية من الهواجس النفسية والشعورية معا،لكن عندما يكون المبدع مبدعا ؛ فإن حالة الإبداع هذه لاتأتي إلا بعد تماهيه مع موجودات مكانه المادية والمعنوية ،"فالمكان هو منطلق الشاعر ومنتهاه ، في شكل دائري ولولبي ،تتفرع عنه بعض التيمات ،لكنها تتداخل جميعا لتشكيل النص الشعري المكاني"[3] .

من هنا كانت عملية إنتاج النص تستلزم إبراز الدلالات النفسية والاجتماعية التي أثرت فيه ،لتتم عملية المقاربة وفق آليات فنية وشعورية تؤدي إلى الفرادة والتميّز ، وهذا ما نادى به أدونيس الذي أصر على أنه " لاتصح قراءة العمل الشعري بما هو خارج عنه ولابمجرد نصيته المحضة،فقراؤته بعناصر من خارجه إلغاء له،وقراءة بذاته وحده إلغاء لتاريخيته أولإجتماعيته، فليس العمل الشعري مجرد انعكاس نفسي ذاتي،كما أنه ليس مجرد انعكاس واقعي اجتماعي، إنه قبل كل شيء مركب إبداعي يصدر عن مركب إنساني."[4]

مماسبق يتضح أن العمل الشعري ماهو إلا مركب من عوامل إبداعية خارجية وداخلية صدرت عن إنسان مارست الحياة كلها دورا كبيرا في تشكيله المادي والمعنوي ليتحوّل لكائن مكوّن من بُنى شتى ؛لينعكس ذلك بدوره على مكانه فيكون هذا المركب الإبداعي.

والسؤال الذي يتبادر للذهن:هل يتغير مستوى العمل الأدبي لدى المبدع حسب تغيره المكاني، بمعنى هل تؤثر أماكن أخرى لدى الأديب في فنية وشعورية أدبه؟

---

[1] –حداد ،علي:جماليات المكان *عبر ذاكرة الطفولة (قراءة في الانبهار والدهشة ل"زيد مطيع دماج")*ط1، اليمن ،2009،ص3.

[2] –باشلار ، غاستون :*جماليات المكان* ، ص39.

[3] – خرفي ،محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري،ص112.

[4] –إسبر ، علي أحمدك *كلام البدايات* ،ط1، دار الآداب–بيروت ،1989 ،ص28.

في تقديري إن الانتقال المكاني يفرض انتقالا شعوريا ووجدانيا وبالتالي تبرز " المغايرة الحياتية والشكلية والنفسية"[1] ؛ لذلك قد ترتبط مشاعر الإنسان ووجدانيته مع بعض الأماكن بعلاقات إيجابية فيكون التشكل الفنيّ مخالفا لتلك الأماكن التي يكون مجرد ذكرها له مؤشرا مؤلما في حياته.فالشاعر يملك رؤية خاصة للمكان الذي كتب عنه وبالتالي قد تتعدد تلك الرؤى بمدى اندماج الشاعر في هذا المكان أو ذاك، وعليه أرى أن المتلقي يلعب دورا كبيرا في شعرية النص الأدبي وفق نفسيته واجتماعيته (الشخصية)وبالتالي يأخذ النص الأدبي منحى آخر عندما تتم مقاربة هذا العمل من المتلقي ، وكأن النصّ أصبح في مثلث هيرمونيطيقي يقع بين المبدع والوسط الذي ظهر فيه والدلالات التي تتبع كل واحد على حده ، إذ تتم مقاربته وفق شفرات نفسية واجتماعية خاصة. يتضح من العرض السابق أن علاقة الشاعر بالمكان ليست مجرد علاقة عابرة ،تربطه بجماعة معينة من الناس، إنما هي علاقة جدلية تتحد فيها الأنا مع الموجود المادي والروحي لتتحول هذه العلاقة إلى كل واحد لاانفصال بينهما " لأن المكان إذا خلا من الناس يغدو خارطة فارغة لاتبعث على الحياة والتجدد"[2] ، وبناء على جدلية تلك العلاقة بين الشاعر وبين المكان فإنه قد يصالح أماكن وقد يناصب العداء في مواقف أخرى لأماكن أخرى، ناهيك عن ما يشحن المكان من عواطف وانفعالات تصاحب تلك العلاقة.

ومما يتصل بهذا الجانب أن المكان قد يكون واقعا جميلا، وقد يكون سجنا مقيتا ؛لأن"الاحساس بالمكان إحساس له أصالته فهو هوية تاريخية ووطنية ونفسية"[3] ، ولذلك أجد أن الواقع الأيديولوجي للمبدع ومحيطه المكوَن من الموروثات الثقافية والتراكمات البيئية تفرض سيطرتها وبقوة على هوية العمل الأدبي نتيجة الضغط النفسي. فكلما مارست تلك الضغوط سطوتها ،كلما كان العطاء أكثر تفردا وتميزا، هذا العطاء يترك آثارا نفسية واضحة غير مرئية في موجودات المكان،بمعنى أن موجودات المكان المادية تصبح مع مرور الوقت وكأنها مرتكزات أساسية في الإبداع الفنيّ ؛ لأنها تحمل دلالات إيحائية وروحانية وشعورية ،كان لها الأثر الأكبر في هذا العمل الفنيّ،فالشارع والسجن والجبل والمقهى كلها أماكن تحمل واقعا اجتماعيا،أسهم بشكل أو بآخر في

---

[1] – خرفي ،محمد صالح: *جماليات المكان في الشعر الجزائري*،ص121.

[2] –اليحيى ،فرحان:دلالة المكان في رواية قناديل الليالي المعتمة ،مقالة في جريدة *الأسبوع الأدبي* ،تصدر عن اتحاد كتاب العرب–دمشق، العدد926.

[3] –أبو بشير، بسام علي:جماليات المكان في رواية باب الساحة لسحر خليفة، *مجلة الجامعة الاسلامية* ،جامعة الأقصى – غزة– فلسطين.المجلد 15،العدد الثاني، ص267

ترك بصمات في مخيلة الأديب، الأمر الذي أدى إلى تكوين هالة من التراكمات النفسية لدى الأديب تجاه ذلك المكان أو ذاك .

وبناء على ماسبق فإن المكان لايكتسب دلالاته النفسية والاجتماعية إلا عندما يصبح مجالا للقوى الفاعلة بصراعاتها ورغباتها وأحداثها ،بخيرها وشرها ، ومن ثَمَ يصبح هذا العمل الفنيّ، بمثابة المفتاح الذي يفصح عن عقلية هذا المجتمع أو ذاك وطريقة تفكيره.ولذلك "يرى بعض الباحثين أن المكان له أثر كبير في تحديد الطبائع النفسية والجسدية لساكنيه، وأي خلل يعتري تلك العلاقة التبادلية بين الانسان وسياقه أو ظرفه المكاني فإن يظهر في الجانب النفسي والاجتماعي"[1].وفي حدود اطلاعي، يتمظهر البعد النفسي جليا في أماكن أهمها المسجد الذي يرتبط بالدلالة الدينية، إذ الرحابة النفسية الروحية، وقد يأخذ المسجد شكل الرمز بدلالته المكثفة عبر الإيماء إليه بوصفه مصدرا للأمن والطمأنينة،أما المكان الآخر الذي يرتبط بأبعاد نفسية " الصحراء" في اتساعها واحتوائها على المتناقضات والثنائيات من أمن وخوف، أمل ويأس ،غموض ووضوح، حياة وموت.

إن الصحراء بوحشتها قد تومئ إلى فضاء نفسي يميل إلى الحزن والوحدة، ولذلك وجدت أن الشاعر العربي القديم كان يميل إلى أنسنة المكان ؛حتى يزيل معالم تلك الوحشة النفسية.يضاف إلى ذلك البحر الذي يحمل شفرات نفسية عالية مثل الإيحاء بالرهبة والضياع والإقدام والإحجام وغيرها من الأماكن التي لاتعد ولا تحصى ، ولقد كان ذكري لتلك الأماكن على سبيل الذكر وليس الحصر، ومما تجدر الإشارة إليه أن البعد النفسي يأخذنا إلى ظاهرة التكرار في النصوص الشعرية، والتكرار يحمل دلالات نفسية تتعلق بالشاعر ونفسه وما يخالجها من عشق وحنين إلى المكان، كما أن الشاعر حينما يكرر ألفاظا بعينها، قد تكون أسماء أو أماكن أو ماشابه ذلك لدلالة نفسية شعورية، فيكون التكرار "بؤرة تلك الدلالة النفسية الشعورية أو قد يكون مركز ثقلها"[2].

وأخيرا، - وفي ضوء ماسبق- مازال المكان بيئة خفية تتموضع فيها مدركات المبدع الحسية والمعنوية لتمظهرات الحياة على الأرض ومن ثَمَ تشكل مركبات إبداعية ذات نسيج متفرد في إبداعه، تكمن قيمة هذا المركب الابداعي عبر حركة هيرمونيطيقية تمنح للمكان هوية نفسية وإجتماعية.

---

[1] – البليهد،حمد:*جماليات المكان في الرواية السعودية*،ص98.

[2] – صلاح ،عبدالله زيد: *جماليات المكان في شعر حسن الشرفي* ، نقلا عن : التناص والتلقي د.ماجد الجعافرة ص105،نقلا عن أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء ،شفيع السيد ، مجلة إبداع، العدد 6 ، السنة 2 ، يونيو 1984، ص66.

2-البعد السياسي الوطني :

شكل الطلل بعدا أساسيا في مخيلة الأديب ولكن مع مرور العصور وتغير الأزمان وتنوع الثقافات برزت أمكنة أخرى بديلة،فكان شعر الأوطان والحنين إلى الديار من أغلب الأبعاد التي شكلت منعطفا أساسيا في متخيل الشعراء. وبالرجوع إلى القديم لم يكن المكان الوطن متمظهرا بوضوح،كون العربي متنقلا وفي حالة من الحل والترحال،إلا أن المتتبع لدلالات الوطن في الشعر العربي يرى أن تلك الدلالات "متعددة،وهذا التعدد ناتج عن اختلاف التوجهات الفكرية والرؤى السياسية للشعراء"[1].

ومن وجهة نظري، إن أي إنتاج فعلي للنص الأدبي في الوقت الحالي ماهو إلا نتيجة طبيعية لأيدلوجيا معاشةوذات فاعلية، وبالتالي فإن هذه النصوص تتنوع بتنوع توجهات أدبائها الأيديولوجية،وقد يكون للشاعر أكثر من وطن، وذلك تبعا لسجله الأيديولوجي "فلا عجب أن وطن الشاعر لاحدود له،يرسم تضاريسه بلغته الشفافة ويعانق فيه روح الحياة..."[2].

إن تعدد الأوطان يأخذنا إلى إعادة صورة العربي القديم ولكن برؤية ومظهر جديدين،وكأننا نعيد صياغة الأزمان ولكن وفق أيدلوجيات يتماهى فيها المبدع ؛لتفرز لنا نصوصا مؤدلجة برؤى أصحابها.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الأوطان لاتتنوع بحسب ؛ بل هي على مستويات بدءا من وطنه الصغيرالذي نشأ فيه، انتهاء بالوطن الكبير الذي يختزن وطنه الأصلي. هذا التنوع الكميّ والنوعيّ، أفرز تنوعا نفسيا تجاه الوطن مصبوغا بتنوع أيديولوجي، يتمظهر في تشكل نصوص مختلفة التوجهات السياسية،وقد يشير البعد الوطني والسياسي لحالة من الضياع واليتم والتيه، خاصة إذا كان الأديب من أولئك الذين عاشوا تجربة المنفى، الداخلي والخارجي معا، لدرجة تصل إلى التوحد مع الوطن في المخيلة والذاكرة ، حتى " يغدو الشاعر هو الوطن ، والوطن هو الشاعر"[3].

الملاحظُ أن جميع الشعراء يشتركون في البعد الوطني والسياسي، إلا أنه يبدو متفاوتا بحسب حجم المعاناة وأثرها على الأديب، وبالتالي انعكاس أثره على الحجم الابداعي المقدم ؛ إذ تراوحت الأعمال من القصائد القصيرة إلى مطولات شعرية ،ومما تجدر الإشارة إليه أن البعد الوطني والسياسي قد يتجلى في" النهوض مع أحداث الأمة من هزائم وانتصارات ورفض للاستعمار

---

[1] – خرفي ،محمد صالح : *جماليات المكان في الشعر الجزائري*،ص130.

[2] – المرجع نفسه ،ص131.

[3] – نفسه ،ص139.

والذل والهوان"[1]،ومما يدخل في البعد السياسي، الأدب السياسي االساخر والذي "أصبح يمثل للبعض أسلوبا تعبيريا ولغة رفض مختزلة في العقل الباطن للإنسان العربي"[2] ؛ لأن هذا الأدب يكشف عن مدى الاحباط واليأس النفسي الذي يعاني منه المثقف العربي فضلا عن السلبية التي يحيا فيها.

لقد أصبح الأدب السياسي الساخر متنفسا للمقهورين والمقموعين ومكمَمي الأفواه جراء ما تقوم بهبعض الحكومات المستبدة. ولقد صدق الماغوط(ت 2006) حينما سئل ذات مرة عن ماهية السخرية فأجاب :"إن السخرية هي ذروة الألم"[3].لقد أسهمت الكتابة الساخرة في تعرية ورقة التوت عن الحكام المستبدين، وكسر حاجز الخوف لدى الشعوب المقموعة،ومما يعد إفرازا للبعد السياسي وتأثر المكان به ظهور ما اصطلح عليه بـ (أدب السجون) والمعتقلات، إذ شكل القمع داخل عتمة السجون تمظهر أدب يفضح الواقع المخزي ويصور بشاعة وفظاعة الألم النفسي والقهر الروحي، وليس أصدق من ذلك،إلا بروز طائفة من أدباء السجون أمثال مفدي زكريا،أمل دنقل،مظفر النواب وغيرهم الكثير.

رابعا : مستويات المكان

يشكل الفضاء المكاني بكافة أقطابه مرتكزا لدلالات الحدث الفاعل والقوى الفنية الملهمة ؛ وذلك عبر نسيج من الفضاءات المتولّدة والمنفتحة على مقاربات دلالية تكشف عن تناقضات الواقع ورؤى متفردة،تعمل على الارتقاء بالمتخيل للعمل الأدبي وتحقيق ديناميته وديمومته وفرادته على كافة الأصعدة.من هنا أجد أن المبدع قد يشكّل نصه في فضاءات كثيرة،كل واحد منها يفضي للآخر ،بدءا من فضاء ماقبل الحدث انتقالا إلى فضاء الحدث نفسه لتبدأانطلاقة جديدة لمابعد الحدث، وصولا إلى إعادة تشكيله مرة أخرى في مخيلة المتلقي بطريقة ترمي لمقاربات هيرمونيطيقة أخرى،ونظرا لقوة الجذب بين المكان وناسه فلقد نشأت علاقة قوية بينهما يمكن أن أطلق عليها "أنسنة المكان"إذ ترتبط هوية المكان بناسه فيؤثر فيهم ويتأثرون به لأن "هوية المكان من هوية

---

[1] – الرشيدي ، بدر نايف: صورة *المكان الفنية في شعر أحمد السقاف* ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ،بإشراف ، عبد الرؤوف زهدي 2011، ص64.

[2] –درويش، كفاح ، الأدب السياسي الساخر،مقالة ضمن *صحيفة القدس العربي*،2011/12/12
http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=today\23qpt897.htm&arc=data\2011\12\12-23\23qpt897.htm

[3] – درويش، كفاح ، الأدب السياسي الساخر.

الناس"[1]،وفي ضوء ماسبق،اتضح لي تعدد مستويات المكان وأنواعه وتقسيماته، في الدراسات الأدبية والنقديةحسب ما هو آت:

-"هناك من يصنفه بحسب السلطة التي يخضع لها وهذا نجده في تقسيم "مول و رومير"

(عندي): هو المكان الذي أمارس فيه سلطتي، ويكون بالنسبة لي مكانًا حميمًا وأليفًا، إنّه المكان الخاص.

(عند الآخرين): هو مكان يشبه الأوّل ولكنّه يختلف عنه من حيث أنّني لابد أن أعترف بهذه السلطة.

(الأماكن العامة): هذه الأماكن ليست ملكًا لأحد معين، ولكنّها ملك للسلطة العامة "الدولة" النابعة من الجماعة، ففي كلّ هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته، وينظم فيها السلوك، فالفرد ليس حرًّا، ولكنه عنده أحد يتحكم فيه.

(المكان اللامتناهي): وهو المكان الذي لا يخضع لسلطة أحد، ويكون-بصفة عامة- خاليًا من الناس."[2]

"-وهناك من يقاربه من جانب الأصل وهذا يتضح في تقسيم "بروب" عبر دراسته إلى ثلاثة أطر مكانية:

-المكان الأصل: وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة والأنس.

-المكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي وهو مكان عرضي ووقتي.

-المكان الذي يقع فيه الإنجاز أو الاختبار الرئيسي."[3]

-"وهناك من يستوعب المكان على أساس النمط المكاني ، كما فعل "غالب هلسا" في تقسيمه الاتي:

-المكان المجازي: سمي بهذا الاسم لأنّه افتراضي وليس حقيقيًا، وهو بمثابة مكان تجري فيه الأحداث ومكمل لها، وقد يكون هذا المكان وصفًا لحالة تمر بها إحدى الشخصيات الروائية، مثل الفقر والغنى والتباهي...، ولهذا تكون صفات مثل هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنيًا، ولكننا لا نعيشه.

---

[1] –الوافي ، نجيب:*مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية (من التأسيس إلى التجنيس)* ،ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،1987،ص570.

[2] – شلاش ، غيداء: *المكان والمصطلحات المقاربة له* ، ص20 .

[3] – المرزوقي،سمير، جميل شاكر: *مدخل إلى نظرية القصة*، د ط، د ت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الدار التونسية للنشر، ص63/62.

-المكان الهندسي: المكان هنا يشير إلى أبعاد هندسية بعيدة عن معايشة الإنسان وذاته، عبر وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد، وكلما زدنا في إتقان المكان الهندسي، كلما حرمنا القارئ من استعمال خياله.

-المكان تجربة معاشة: يعد هذا المكان من أكثر الأماكن تأثيرًا في حياة الإنسان، ويبقى مخلدًا ومحفورًا في ذاكرته فهو الذي يشكل دون أي مكان آخر ذاتيته، ويقول غالب هلسا بأنّه مكان عاشه مؤلف الرواية وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال.

-المكان المعادي: يتضح معنى هذا المكان من عنوانه، فهو الذي تتمحور حوله الأماكن الآتية (السجن، الطبيعة الخيالية من البشر، مكان الغربة، المنفى وما شابه ذلك)"[1]

-"وهناك من قسمها بناء على مبدأ التقاطب كما فعل "حسن بحراوي" وهذا يتضح فيما يأتي:

-أماكن الإقامة الاختيارية: فضاء البيوت: البت الراقي/ البيت الشعبي، البيت المضاء/ البيت المظلم

-أماكن الإقامة الجبرية: فضاء السجن: فضاء الزنزانة."[2]

"-أما "شاكرالنابلسي" فقام بدراسة مهمة للمكان استنبط عبرها مجموعة من الأمكنة، تتجاوز الثلاثين نوعا وتعبّر هذه الأنواع عن جهود الباحث الذي فتح المجال أمام الروائي العربي في إدراج أمكنة روائية على حسب اختياره في هذا النوع أو ذاك وهذا يدل على أهميّة المكان مكونا أساسيا في العمل الروائي وهي على النحو الآتي:

1". المكان الإنبائي أو الافتتاحي: هو المكان الذي يقوم بتقديم الأمكنة التي تليه مباشرة.

2. المكان الصوتي: وهو المكان الذي تبرز جمالياته عبر الصوت.

3. المكان الحنيني: وهو المكان الذي يذكرنا بالماضي أكثر مما يذكرنا بنفسه.

4. المكان الثالث: وهو المكان الذي يأتي مزيجًا من المكان الحاضر ومكان الذكرى.

5. المكان المقارن: وهو المكان الذي يقدم فيه الروائي مكانين في لوحة واحدة، لكي يقارن بين خصائص وجماليات كلّ منهما.

---

[1] – لحمداني، حميد: *بنية النص السردي*، ص61.

[2] –بحراوي ،حسن :*بنية الشكل الروائي*، ص 41.

6.المكان الرمزي: وهو المكان الذي يرمز به الروائي لمكان آخر.

7. المكان النفسي: وهو المكان المصوّر عبر خلجات النفس، وتجلياتها، وما يحيط بها من أحداث ووقائع، أي عبر الحالة النفسية التي يكون فيها الروائي، وشخصيات روائية.

8. المكان القاصر أو المكان المتعدي غير اللاّزم بذاته: وهو المكان الذي لا يقوم بنفسه، وإنّما بمساعدة مكان آخر أقوى منه.

9. المكان العالة: وهو المكان الذي لا يقوم بأي دور في الرواية لا يأتي على ذكره الروائي إلاّ بالاسم فقط، لكي يستمع القارئ بلذة تخليه أو تذكره."[1]

10. "المكان الرحمي: وهو المكان الذي يشبه رحم الأمّ، والذي يبعث على الدفء والحماية، والطمأنينة في أيام الطفولة.

11. المكان الحلولي: وهو المكان الذي يحل فيه جسد، أو تحل فيه روح، و يمكن ان نطلق عليه المكان المسكون، كما يطلق عليه العامة.

12 المكان الفوتوغرافي: وهو المكان الذي يصوّر تصويرًا ضوئيًا، خالصًا، كما هو على أرض الواقع، دون تدخل من الروائي، ودون أن يكتسب بحالة نفسية من حالات الروائي المختلفة، وهو مكان من الأمكنة العاطلة عن العمل، والتي تشكو من بطالة فنية في العمل الروائي.

13. المكان التكميلي: وهو المكان الذي يأتي في الرواية عادة كجزء من معمارية مكان آخر عام، أو حركة عامة، لها أثرها ودورها في بناء أحداث الرواية، ومثل هذا المكان يمكن حذفه إذا كان غير ملتحم التحامًا تامًا بالمكان العام، والحدث العام للرواية.

14. المكان المسماري: وهو المكان الذي يأتي كذكرٍ فقط، في جملة قصيرة، لا تتعدى كلمات ثلاث، ويأتي ذكره لكي يصل بين مكانين، فكأنّه مسمار الذي يربط بين جزئين.

15- المكان الشامل: وهو المكان الذي يحتوي على الأزمنة الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقبل في اللحظة النصية الروائية الواحدة.

---

[1] – النابلسي ، شاكر:*جماليات المكان في الرواية العربية*،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت–لبنان 1994،ص 15–21.

16- المكان البرقي: وهو المكان الذي يأتي في الرواية كإشارة عابرة خاطفة، دون أن يذكر اسمه، أو موقعه، أو رسمه.

17- المكان المنتج: وهو المكان الذي يشبه النباتات التي تأخذ غذائها من المواد الأولية في الطبيعة، ثم تنتجها على شكل ثمار وأزهار، كذلك المكان المنتج، وهذا النوع من الأمكنة من أرقى أنواع الأمكنة، وجمالياتها من أفضل جماليات الأمكنة.

18- المكان الموحي: وهو المكان الذي يقدم جمالياته عبر أعمال بسيطة، يقوم بها الإنسان، مع إغفال اسم المكان الجزئي الذي تم فيه الفعل الإنساني.[1]

19- "المكان الممتلئ: هو المكان الذي يقدم جمالياته عبر البيئة ، التي تحيط به، والإنسان الذي يتحرك فيه، وتكون المساحة النصية المخصصة له، بمثابة قطعة قماش التي تستعمل للرسم ممتلئة بالأشكال والحركة، لا فراغ فيها، ولا مساحات بيضاء فيها.

20- المكان الأنسي: وهو المكان الذي تختفي فيه الأعمدة، والأقواس والمخارج والمداخل، والحجرات والرخام، والبلاط والسيراميك، والأثاث الفخم، ويبقى فيه حضور الإنسان وفعله، وغالبًا ما يعلق هذا المكان في الذاكرة علقًا كبيرًا.

21- المكان المركب: وهو المكان الذي يحتوي نفسه، ويحتوي مكانًا آخر في داخله غالبًا ما يكون لوحة، أو عدّة لوحات معلقة في الحجرة، يأخذ وصفها حيزًا نصيًا كبيرًا، ربما أكبر من حيز وصف الحجرة نفسها.

22- المكان المطلق: وهو المكان الذي يحتوي المكان نفسه، وحضورًا واضحًا للمرأة، كما يحوي مكانًا آخر غالبًا ما يكون لوحةً، أو قناعًا، أو مجموعة من التماثيل، وأهم ما في هذا المكان أن يكون خاليًا من الكلام والفعل.

23- المكان الذهني: وهو المكان الذي تتم رسم جمالياته بواسطة إشارات ذهنية –لا يقصد بها الزينة- وليس بواسطة التصوير الحقيقي، كأن تبدو الأطراف مثلاً ضخمة طويلة وتوضع فيه – واسطة الحلم- مظاهر غير حقيقية من الطبيعة، في مكان لا يحتمل ذلك.

[1] – النابلسي ، شاكر:*جماليات المكان في الرواية العربية*، ص17.

24- المكان المحطة: وهو المكان الذي يستعمله الروائي كنقطة انطلاق فقط، نحو مكان آخر غالبًا ما يكون مكانًا قابعًا، في قبو الذاكرة، كما يستعمله كمكان للقاء في الوقت نفسه.

25- المكان الفاتح للشهية: ويمكن أن يُجمع، ويطلق على جمعه أمكنة المقبلات وهو المكان الذي يثير في الإنسان الشهوات: شهوة الأكل، أو الشرب، أو الجنس.

26- المكان المغلف: وهو المكان الذي يكون مغلقًا كما تغلف الحلوى بالورق الشفاف "السيلوفان"، لا يلامسه الفنان، ولا يفركه بين أصابعه، ولا يلعب به، ولكنه يراه عبر هذا التغليف مجرد رؤية، فيبدو جميلاً، وهكذا تكون للمكان صورتان في آن واحد، صورته فيما لو اختبره المرء، وصورته عبر ورق التغليف الشفاف."[1]

27- "المكان التخطيطي: وهو المكان الذي يقوم الروائي بتحديد شكله تحديدًا دقيقًا، وإبراز حوافه بشكل واضح.

28- المكان البوليفوني: وهو اصطلاح ابتدعه "يوري لوتمان" في كتابه (بناء النص الفني)، ويعني به المكان نفسه، الذي نجد أجزاء منه مبعثرة في العمل الفني الواحد، وبطرق مختلفة باختلاف الشخصيات والأحداث .

29-" المكان المتجمر: وهو المكان الشبيه بالجمرة، والذي يبقى متوهجًا دائمًا بالذاكرة توهج الجمرة تحت طبقة "السَكَنْ" أو الرماد الخفيفة، التي تغلف المكان، بفعل الزمن والمسافة التي يقطعها المكان، عبر الزمن وتحولاته، من أيام الطفولة إلى لحظة الاسترجاع."[2].

وضمن كل هذه الأنواع التي تطرقت إليها، اخترت ثنائية المكان المغلق والمفتوح ؛ إذ تعتبر ثنائية الانفتاح والانغلاق من أهم الثنائيات على الاطلاق ،ولعلني أجدها هي الأساس والمرتكز الحقيقي لكافة مستويات المكان الأخرى .ويمكن إرجاع هذه الثنائية "الانفتاح والانغلاق" إلى "باشلار" يقول:"فالمنزل والعالم الخارجي لايمكن أن يكونا فقط مكانين متجاورين ولكنهما يحملان الواقع وعلى صعيد الخيال "أحلام يقظة متعارضة"[3] ، وبناء على ماسبق يتضح لي أن القضية ليست قضية طبوغرافية، وإنما هي قضية هيرمونيطيقة مع المكان سواء كان مغلقا أو منفتحا،

[1] – النابلسي ، شاكر،*جماليات المكان في الرواية العربية*،ص22.
[2] – النابلسي ، شاكر،*جماليات المكان في الرواية العربية*،ص23.
[3] –باشلار ، غاستون:*جماليات المكان*،ص55.

لأن"الكلام يحمل هونفسه جدل المنفتح والمنغلق"[1] ، وبالتالي يكتسب النص الإبداعي سمة انفتاحية بغض النظر عن انفتاحه أو انغلاقه وذلك لأنه يخضع لماقاربات شتى، عندها يصبح غير الممكن ممكنا والعكس صحيح.إن التشكّل الحقيقي للمكان لايتم إلا من تضافر كافة الدلالات والأنواع والمستويات التي ينفتح عليها وهذا لايتمظهر إلا عبر العلاقة الجدلية والتبادلية بينه وبين الانسان من ناحية وبينه وبين مقاربات المتلقي من ناحية أخرى ؛ "ذلك أن الكلمة تنغلق إذا ما أخذناها في معناها القاموسي المحدد ،بينما تنفتح بالتعبير الشعري الذي يجدد معانيها باستمرار بل يكثفها حتى نجد أنفسنا أمام قراءات عديدة"[2].

إن ثنائية المنغلق والمفتوح تؤكد على علاقة متداخلة فيما بينهما ،فالمغلق لايشكل دائما مساحة ترتبط بالحزن والألم كما أن المنفتح ليس دائما حيزا للراحة والأمان، فهناك حركة ديناميكية دائمة بينهما سأتناولها بشيء من التفصيل في الصفحات المقبلة.

في ضوء اطلاعي السابق على الانفتاح والانغلاق في المكان وقفت على تلك التقسيمات حول المستويين المذكورين :

"-المكان المفتوح:

أ-الأمكنة الثقافية:فضاء المدن.

ب-الأمكنة العامة:فضاء الشوارع والحدائق.

-المكان المغلق :

أ-أمكنة الإقامة الاختيارية:فضاء البيوت بغرفها ، فضاء المقاهي وغيرها.

ب-أمكنة الإقامة الإجبارية:مثل فضاء السجن ومايتبعه."[3]

وفي ضوء ماسبق سأتناول المكان المفتوح والمكان المغلق في السطور التالية علني أقف على مفصليات نقدية تكون بمثابة إضاءات مركزة في هذا الجانب .

---

[1] – باشلار ، غاستون:*جماليات المكان* ،ص 199.

[2] – كحلوش ، فتيحة: *بلاغة المكان*،ص192.

[3] – آبادي ،محبوبة محمدي: *جماليات المكان في قصص سعيد حورانية* ،الهيئة العامة السورية للكتاب– دمشق، 2011،ص45.

1-المكان المفتوح :

يحملنا الحديث عن الأماكن المفتوحة للحديث عن أماكن شاسعة ،ليست لها هوية محددة،تنفتح على المجهول،قد يكون لديها بداية في مخيلة المبدع ولكن ليس لها نهاية في مخيلة المتلقي"لأن الأمكنة المفتوحة تحاول عادة البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية ، ومدى تفاعلها مع المكان "[1].

إن فضاء هذه الأمكنة يكشف عن صراعات قائمة بين هذه الأمكنة بوصفها عناصر فنية وبين الإنسان المتماهي فيها، فمنها ما يحقق السعادة والألفة الواحدة والمودة ، ومنها ما يحمل الموت والفشل.ومن أشهر الأماكن المفتوحة المدينة بفضائها الواسع،اللامتناهي من الأحلام والآمال والتي لايقيدها حكم أو تقليد ولاتؤمن إلا بالحرية والانطلاق خارج السرب بعيدا عن كل القوانين والطقوس والتقاليد المفروضة، ومما يدخل ضمن المدينة "الشارع" لأنه من "العناصر البيئية الأكثر اتقادا ضمن الأماكن العامة المفتوحة"[2] وهو " مسار وشريان للمدينة ، وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل والنهار وأشغالهما وتجلياتهما ،فهو المسار والمصب في آن واحد"[3]. فضلا عن ذلك البحر بامتداده الشاسع وانفتاحه المجهول، وغيرها الكثير.ومما يجدر ذكره انفتاح الأماكن المفتوحة على أماكن مفتوحة أخرى أكثر شاعرية مما يولد منها دلالات مختلفة" لأن تنوع الأمكنة يستدعي تنوعا في الأحداث وبالتالي في الدلالات."[4]. المكان المفتوح هو"حيز مكاني خارجي لاتحده حدود ضيقة، يشكّل فضاء رحبا وغالبا مايكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق."[5] ،هذا التعريف يقودني إلى التساؤل الآتي:مامدى العثور على المكان المفتوح على الصعيد الخيالي ؟

في تقديري إن العثور على المكان المفتوح ليس بالأمرالهيّن ولاسيما إذا كان هذا المكان يرتبط في ماهية وفلسفة الحرية، إذ يمثل الضغط النفسي والقهر المعنوي أحيانا فرصة كبيرة في تشكيل مكان مفتوح في مخيلة الأديب بكل مافيه من عناصر فنية ورؤيوية ومكملات سمعية وبصرية ولونية، يضاف إلى ذلك كافة الذكريات التي يتذكرها الأديب والتي كانت تمثل له مرحلة ما في حياته

---

[1] –عبيدي ،مهدي :*جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه* ،ص96.

[2] – حسين،فهد: *المكان في الرواية البحرينية* ،ط 1،فراديس للنشر والتوزيع ،البحرين، 2003،ص132.

[3] – النابلسي، شاكر: *جماليات المكان في الرواية العربية* ،ص65.

[4] – بحراوي ، حسن :*بنية الشكل الروائي*، ص 90.

[5] –عبود ، أوريدة: *المكان في القصة القصيرة الجزائرية* ،ص30.

الشخصية فيتم استرجاعها ضمن فضاء مخيلته عبر أعمال أدبية تتمظهر في أماكن مفتوحة ؛ كالحدائق والمراعي والبساتين وغيرها.. إن الذاكرة قد تكون صعبة وقد تكون حميمية تشعرنا بالمحبة والألفة ؛ فالحاضر ينبثق عنه صور للمكان المفتوح الذي يقبع في أحضان الماضي في شكل أحلام تجعل من الماضي نفسه مادة خصبة للمستقبل الذي يتمظهر في مخيلة الأديب،حتى إن بعض الأماكن التي قد تكون منغلقة،يرفض الأديب أن تكون منغلقة ومحاصرة فيحولها إلى مكان مفتوح وذلك عبر فضاءات تتوالد في خياله الفنيّ."إننا إذ نتذكّر بلا انقطاع،إنما نخلط الزمان غير المجدي وغير الفعّال (الحاضر) بالزمان الذي أفاد وأعطى، ولا تكون جدلية السعادة والتعاسة مستحوذة إلى هذا الحدّ، إلا عندما تكون متوافقة مع الجدلية الزمنية "[1]، "وهذا يعني أن الحاضر ينجزّ الماضي من حيث إن الحاضر فراغ، يقتضي ملؤه بمادة هي من إنتاج تجارب سابقة، لكنه ملء يخضع لعملية إنتقاء وتحويل يقتضيها حس المواجهة الأنطولوجية مع الزمن"[2].

مما سبق يتضح لي أن المكان المفتوح يفضي إلى ثلاث مسلمات في ديناميكة مستمرة على النحو الآتي:

-تموجات شعورية ووجدانية في علاقة جدلية مستمرة.

-تشكيل محاور بين الفضاء المكاني والرؤى النفسية.

-تمظهرات المكان المفتوح على مستويين (الأديب والمتلقي).

2-المكان المغلق :

إذا كانت الأماكن المفتوحة ترتبط بالشاسع والرحب،وتتحدد بعدم وضوح الهوية فيها فإن المكان المغلق،يمثل الحيز الذي يحوي حدودا مكانية ويكون أضيق بكثير من المفتوح " فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة ؛لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة ؛لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة"[3]،ولا يقتصر الانغلاق على الأماكن ولكنه أحيانا يتعدى إلى التصرفات في الخيال، كون الانغلاق المكاني المادي قد يؤدي إلى انغلاق في جميع المستويات وخاصة إذا كان يتعلق به وبمجتمعه وأمته، والتي تنشأ من سلطة الحكومات المستبدة، فيتحول

[1] – باشلار ،غاستون: *جدلية الزمن* ،ترجمة: خليل أحمد خليل، ط3 ،ديوان الطبوعات الجزائرية ،1992 ،ص47.

[2] – بركة ،الأخضر: *الريف في الشعر العربي الحديث ، قراءة في شعرية المكان* ،ص55.

[3] – قاسم ،سيزا وآخرون :*جماليات المكان* ، ص63.

هذا المكان إلى رؤى تتمثل في رغبة عدوانية مؤلمة لشخصه أولا ولمحيطه ثانيا."إن الحديث عن الأمكنة المغلقة هو الحديث عن أماكن محددة بمساحات معينة كالغرف والبيوت والقصور ...فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية أو كالسجون فهو المكان الإجباري المؤقت ، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان ، أو قد تكون مصدرا للخوف"[1] .

وفي ضوء ماسبق تتعدد صور المكان المنغلق بدءا من البيت،انتقالا إلى أماكن مفتوحة قد تكون منغلقة نفسيا له.ومما يجدر بالذكر أن المكان المغلق والضيق يبعث على السأم والملل،ولاسيما إذا فُرض عليه قسرا. ومن أكثر الأماكن انغلاقا مكانيا ونفسيا السجون ؛ إذ تثير العتمة قهرا قسريا"والظلام عنصر يدسه المبدعون في أعمالهم الأدبية على اختلافها للتعمية على القارئ وتهيئة الجو الملائم لسلوك الشخصيات"[2].

يتضح مما سبق أن المكان المغلق هو المكان الذي يعيش فيه الانسان ويبقى فيه فترات طويلة سواء كان بإرادته أو بإدارة الآخرين، ولكن في هذا العيش تبرز الصراعات الدائمة بين الإنسان ومكانه حتى يتحول هذا الصراع إلى ألفة، وقد يبقى الصراع قائما لتزداد العزلة النفسية أكثر، وخلاصة مقاربتي للمكان المغلق تمكن في أن المكان المغلق هو الشق الثاني للمكان المبدع والتي تتمظهر في نصوص أدبية تحمل زخما من الدلالات الإيحائية والشعورية، وكأن المبدع يحاول من عتمته الانطلاق إلى التأسيس والفرادة والتميز.ولذلك يرى بعضهم أن المكان المغلق " يتعالق بأمور عدة منها :

- ✓ -مدى التوافق بين البنى المكانية وبين المبدع نفسه.
- ✓ -التناغم بين البنى المكانية والبنى النفسية.
- ✓ -التضاد بين الوعي واللاوعي ."[3]

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا: هل يمكن أن يتحول المكان المغلق إلى مفتوح؟ وماقيمة هذا التحول؟ وكيف يمكن لهذا التحول أن يتشكل في مخيلة المبدع والمتلقي معا؟

---

[1] – عبيدي ،مهدي : *جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه* ،ص43.

[2] –مرتاض ، عبدالملك : *القصة الجزائرية المعاصرة*،ط4، دار الغرب للنشر والتوزيع– الجزائر، ،2007،ص112.

[3] – عتيق ، عمر : اشراقات أسلوبية في مجموعة (حلوى الماء) لانتصارعباس ، *مجلة أفكار* – وزارة الثقافة الأردنية – العدد244.

إن الاجابة عن الأسئلة السابقة يستلزم منا استنطاق المكان ومعرفة دلالاته المتعلقة ببنية المجتمع،فقد يتحول المكان المغلق إلى مفتوح في مخيلة المبدع والمتلقي بناء على هوية المتلقي ونوعية التلقي والرؤى التي يتمظهر فيها العمل الأدبي. وقد يتعدد الانغلاق من دائم إلى شبه دائم، وشبه الدائم قد يتحول إلى دائم بفعل المتغيرات التي تحدث والتي يتأثر بها المبدع بشكل أو بآخر.

الفصل الثالث

تجليات المكان

(البعد والدلالة)

أولا : تميم البرغوثي .. شاعرا وإنسانا

ولد تميم البرغوتي بالقاهرة عام 1977 من أب فلسطيني وأم مصرية ، فأبوه "مريد البرغوثي الشاعر الفلسطيني المعروف ، وأمه رضوى عاشور الروائية المصرية المشهورة.ترجع أصول "تميم البرغوثي" إلى قرية دير غسانة في فلسطين المحتلة عام 1948، كتب كل أنواع الشعر ، وأطلق لنفسه العنان فجاءت نفسا أدبية خارقة للعادة ،فالقصيدة لم تكن لديه إجهاد نفسي بقدر ما كانت عصير ألم ومعاناة، يحياه "تميم" كما يحياه ملايين الفلسطينيين الذين يعيشون حالة التشظي النفسي والمكاني.

يقول عن نفسه :"لايجوز لي الكلام عن نفسى في هذا المقام، ولكن يجوز لي الكلام عن زمنى، فقد ولدت في عام 1977، في العام الذى قرّر فيه بطل الحرب المصري أن يكون بطل السلام ويعترف للغزاة الإسرائيليين بحقهم في بلادي، وحين كان يخطب أنور السادات فى الكنيسيت الإسرائيلي فى القدس ويرحب عملياً بسفير إسرائيل في القاهرة، كان رجال أمنه يطلبون من أبى الفلسطيني مغادرتها إلى منفى سيمتد سبعة عشر عاماً، وحين كان عمرى عاماً واحداً اجتاحت إسرائيل لبنان، واجتاحته مرة أخرى وارتكبت مذبحة صبرا وشاتيلا في حق الفلسطينيين عام 1982حين كنت في الخامسة. وفى عام 1991 حين كنت في الرابعة عشرة حارب الأمريكيون العراق للمرة الأولى وقتلوا مائة وخمسة وثمانين ألف نفس من العراقيين، وفرضوا عليهم حصاراً استمر اثنى عشر عاماً، ربما كان أطول حصار شامل في التاريخ، مات بسببه أكثر من مليون نفس، أكثر من نصفهم من الأطفال حسب تقديرات منظمة الأمم المتحدة للطفولة. فلما انقضت أعوام الحصار الاثنا عشر، اجتاحت الولايات المتحدة العراق عام 2003 ما كلف العراقيين حرباً أهلية وموت مليون نفس آخرين، وبينما كان الرئيس المصري محمد حسنى مبارك يرحب بحاملات الطائرات الأمريكية المارة من قناة السويس، كان رجال أمنه يخبرونني أنى غير مرحب بي في القاهرة. كانت إسرائيل قد أعادت اجتياح الضفة الغربية لنهر الأردن قبلها بعام، ورام الله، بلد أبى، اجتيحت وحوصر فيها بعض أهلي، لكن لم يكن شيء يشبه ما جرى في العراق. ثم دخل حسنى مبارك في حلف عسكري مع إسرائيل ضد شعب نصفُه من الأطفال في غزة عام 2008، وحاصرهم ليقتلهم الغزاة، وبعد ثلاث سنوات-وكنت لا أزال فى منفاى-كان شعبه يحاصر قصره، وبعد سقوطه بسنة وتسعة أشهر انتصر شعب الأطفال في غزة على غزاتهم"[1]

[1] –نقلا عن الويب والرابط : *http://www.sharabati.org/vb/showthread.php?t=19*

حصل تميم البرغوتي على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام 2004، عمل أستاذاً مساعداً للعلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومحاضراً بجامعة برلين الحرة، كما عمل بقسم الشؤون السياسية بالأمانة العامة للأمم المتحدة بنيو يورك، وبعثة الأمم المتحدة بالسودان، وباحثاً في العلوم السياسية بمعهد برلين للدراسات المتقدمة ، وهو حالياً أستاذ مساعد زائر للعلوم السياسية في جامعة جورجتاون بواشنطن، له كتابان في العلوم السياسية: الأول باللغة العربية بعنوان الوطنية الأليفة: الوفد وبناء الدولة الوطنية في ظل الاستعمار صدر عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، عام 2007، والثاني بالإنجليزية (The Umma and the Dawla: the Nation state and the Arab Middle East) :عن مفهومي الأمة والدولة في العالم العربي صدر عن دار بلوتو للنشر بلندن، عام 2008."[1]

- ميجنا، عن بيت الشعر الفلسطيني برام الله عام 1999 وهو ديوان منشور باللهجة الفلسطينية.
- المنظر، عن دار الشروق بالقاهرة عام 2002 وهو ديوان منشور باللهجة المصرية.
-قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف، عن دار الشروق بالقاهرة عام 2005 وهو ديوان منشور باللهجةالمصرية.
- مقام عراق، عن دار أطلس للنشر بالقاهرة عام 2005 وهو ديوان منشور بالعربية الفصحى
- في القدس، عن دار الشروق بالقاهرة عام 2009 وهو ديوان منشور بالعربية الفصحى.

ازدادت شهرته إثر اشتراكه في برنامج أمير الشعراء الذي أذيع على تلفزيون أبو ظبي منذ سنوات، عرف بحضور القدس الدائم في شعره وانتصاره لقضية شعبه، ومن قصائده التي اشتهرت بشكل واسع قصيدة في القدس فضلا عن عدد من القصائد الأخرى منها:قفي ساعة،أمر طبيعي ،الجليل،جداتنا،ستون عاما ما بكم من خجل . والمتتبع لأشعاره يجد أنه لا يكتب لفئة معينة أو لجماعة فهو على حد قوله " يكتب الشعر لأي إنسان يفهم اللغة العربية سواء في شكلها الفصيح أو في شكلهاالعامي "[2] "لقدكانت قصيدة "في القدس "هي الأوفر حظا من حيث الاهتمام على الصعيد النقدي والأدبي والانتشار الجماهيري الواسع وهي التي ضمنت لتميم هذه المنزلة بين غيره من

[1] – شرتح ،عصام : تميم البرغوثي :ميزات الأسلوب الشعري.دراسة نصية في المحفزات الجمالية ومختارات شعرية،ط1، دار صفحات للدراسات والنشر –دمشق ، 2012،ص 6.

[2] – حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيد" والرابط: *https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw*

الشعراء وهذه الحظوة لدى جمهوره العربي، وقد كان لهذه القصيدة مع تميم قصة، فقد كتبها قبل مشاركته ببرنامج أمير الشعراء الذي عرض على قناة أبو ظبي الفضائية والذي كان منبرا ألقى عبره القصيدة، وقد كتبها بعدما فشل في الوصول إلى المسجد الأقصى لصلاة الجمعةإذ كان سنه أقل من 35 سنة وكانت سلطات الاحتلال الإسرائيلي تمنع ذلك لدواع أمنية فكتب هذه القصيدة متأثرا بذلك ونشرتها إحدى الصحف وظلت مغمورة ولم يُعنَ بها أحد إلى أن طفت على السطح بعد إلقائهافي ذلك البرنامج."[1]إنه "شاعر راهن، تطبّع بطاقة هائلة من طباع الأرض التي استنبتت جيله من رحمها... كما استنبتت الأجيال التي قبله، وعاش للكتابة للأرض،الوطن، ذاك الاسم المتداول للأبد في ذاكرة عشّاقه الموجعين... والذين يغنونهبما ملكوا من رهافة الأحاسيس، ودفق الوجدان، وسحر بيان لغةٍ لا شبيه لها في لغات... الأرض..."[2].

في ضوء ما سبق يتضح مدى المكانة الشعرية التي صنعها "تميم البرغوثي" بكلماته ومشاعره العربية والإسلامية ،استطاع عبر أشعاره أن يعبر بلسانه عن أوضاع أمته الفكرية والنفسية فهو ترجمان حال الأمة العربية في الألفية الثالثة ، كتب ببراعة الأمل والحلم ، ورسم بريشته الضياع والتشظي ، ونفث عبر حروفه كافة أحاسيس البشرية ، ليشعر بها ويتحدث بها كل من يدب على هذه الأرض ،نطق بكلمات يفهمها القاصي والداني ، رجل الشارع ورجل الجامعة ،فالجميع يفهم كيف (يطير الحمام في القدس ليعلن دولته بين رصاصتين)، كل عربي من مشرق الأمة إلى مغربها يفهم تماما ماذا يعني أن يكون (الصبحُ حُرٌّ خارجَ العَتَبَاتِ لَكِنْ.. إن أرادَ دخولَها فَعَلَيهِ أن يَرْضَى بحُكْمِ نوافذِ الرَّحمنْ)! وليس العرب فحسب ؛" بل إن الأمة الاسلامية من أقصاها إلى أقصاها تفهم تماما ماذا يعني أن ينحني الهلال في السماء ويزداد تكوّرا على نفسه (مثل الجنين.. تطورت ما بينه وبين الأهلة فوق المآذن والقباب في الأرض علاقة الأب بالبنين)"[3].

كتب تميم البرغوثي لكل شيء وفي كل شيء ، كتب للأرض والوطن والجدة ، للقمر للشمس ، للحياة ، للهم ،للأمل ، فكما يحمل الدكتوراه يحمل الهم العربي والاسلامي فهو القائل :

---

[1] – نقلا عن الويب والرابط: *http://www.sharabati.org/vb/showthread.php?t=19*

[2] –حامد ،محمود، ذاكرة الشعر. ذاكرة الوطن .. الشاعر تميم البرغوثي ، مقالة نقدية ضمن *مجلة تابعة لمؤسسة القدس للثقافة والتراث* 2012/9/23 *http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=4020*

[3] –السباعي ،نوال، أمير الشعراء تميم البرغوثي ، مقالة نقدية ضمن *مجلة مداد القلم الالكترونية* ، والرابط : *http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?name=News&file=article&sid=532*

"كفوا لسان المراثي إنها ترفُ عن سائر الموت إن الموت يختلفُ
يامن تصيحون يا ويلي ويالهفي والــله.. لم يأت بعد الويـل واللهــف"[1]

تحدث عن التاريخ.. تاريخنا كما أعرفه أنا وأنت **وكل** رجل وامرأة. وكأنه لسان الأمة الناطق بحالها الذي لا يختلف عليه اثنان ؛ ولذا تتحد فيه آراء الجميع دون استثناء عندما نسمعهم يقولون : إنه قال ماكنت أريد قوله !!نعم هو ناطق ، ولكنه ناطق غير رسمي لأن " الرسمي هو شيء فوقي مرتبط بالدولة والقانون ، ومعظم دولنا أنشأها غزاة ، وهي كانت قوى قامعة ، لكن تعبير الإنسان عن ذاته وعن نفسه هو تعبير عن مكونات هذه الذات، والجماعة دائما من مكونات ذات الفرد."[2]؛ لذلك أعدّ تميما" لسان الأمة العربية وترجمان حالها ،حتى وإن حاول بعض أدبائنا إخفاء رؤوسهم فإنهم لن يستطيعوا؛ لأن التعبير عن هذه الفردية والذاتية وفصلها عن روح الجماعة هو تأصيل لذاتية الجماعة وانعكاس لها ،فارتباط الشعر بالجماعة مثل ارتباط الكلام بالجماعة كلاهما من منبع واحد وهو الأحداث الجارية، وفي مصب واحد وهو الحال المزري الذي نحياه ،ولذلك كتب تميم على لسان الهلال قائلا:

"أنا الاحتمال..
أنا الليل حين يخالف فطرته ويضيء
أنا الاحتمال الضئيل
أقول لكم: إن شمسا ماتزال هنا في زوايا السماء..
ووجهي عليها الدليل"[3]

ومهمااشتد الظلام ،يبقى الصبح طيفا يداعب مخيلة تميم فهو القائل :

"يا أمة في الغار ماحتم علينا أن نحب ظلامه

إني رأيت الصبح يلبس زي أطفال المدارس حاملا أقلامه

ويدور مابين الشوارع ، باحثا عن شاعر يلقي إليه كلامه

---

[1] –البرغوثي،تميم: *مقام عراق* ،قصيدة كفوا المراثي، ط1 ،أطلس للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2005، ص9.
[2] – حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيد"
والرابط:*https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw*
[3] – البرغوثي،تميم: *مقام عراق* ، ص16.

ليذيعه للكون في أفق تلون بالنداوة واللهب

يا أمتي ياظبية في الغار قومي وانظري

الصبح تلميذ لأشعار العرب"[1]

إنه يحمل رسالة وأمانة يريد أن يبلغها ولا يخشى فيها لومة لائم:

"يا أمتي أنا لست أعمى عن كسور في الغزالة،

إنها عرجاء، أدري

إنها،عشواء،أدري

إن فيها كل أوجاع الزمان وإنها

مطرودة مجلودة من كل مملوك ومالك

أدري ولكن لاأرى في كل هذا أي عذر لاعتزالك

ياأمنا لاتفزعي من سطوة السلطان ، أية سطوة؟،

ماشئت ولي واعزلي، لا يوجد السلطان إلا في خيالك".[2]

لقد استطاع "مريد ورضوى"زرع استشعار هذا الهم في ابنهما ،فكان هما عربيا إسلاميا ليس له إلا هوية واحدة الإنسان العربي المسلم بالرغم من تكوينه المصري الفلسطيني ، وإن أي أحد يشفق على ابن الثلاثين ربيعا أو ما نيف ذلك على تحمله كل هذه المسؤولية ، لكنه بذلك استحق بجدارة أن يكون صاحب الكلمة الصادقة الشابة ،فهو يمثل شريحة ترزح تحت القمع السياسي دون انتماء سياسي أو توجه ديني أو اتجاه فكري ، "تميم البرغوثي" لسان حال الشباب العربي الذي قُدر له أن يعيش في منطقة تحتضن كل الصراعات الفكرية والسياسية والاقتصادية في العالم.

وفي لقاء شعري أجراه الأستاذ "زاهي وهبة " ضمن برنامج ثقافي حواري على قناة الميادين أقر "تميم" بأن "الشعر كان له قضاء وقدرا ، فلقد وُلد في سياق يقوم على اللغة والقوة ، فلقد تعلق بوالده في فترات قصيرة خلال الاجازات- كون والده مبعدا – فكان يستمع إلى كلامه الشعري ، وكأنه كلام من نوع آخر ،ولاسيما وأنه كان طفلا متعلقا بأفلام الكرتون المدبلجة باللغة العربية الفصحى فأصبح لديه ارتباطان :ارتباط اللغة بالقوة لأن والده يتحدث بها، وارتباط بحالة تغيير كانت تنتابه لأن هناك من يتحكم به. وعندما كبر أدرك مدى الارتباط بين اللغة والقوة ، ولذلك فالوالد علمه تقنية قول الشعر وأوزانه ، والوالدة جذرت انتمائه الفلسطيني خوفا من ضياع هويته الفلسطينية

[1] – البرغوثي،تميم: *في القدس* ، ط1 ،دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2009، ص60.

[2] – البرغوثي،تميم: *في القدس* ، ص61.

لأنه كان يعيش في مصر"[1].وفي اعتقادي أن عملية التشكل التي خضع إليها "تميم "ضمن اللغة والقوة وترسيخ الثوابت الوطنية ، جعلت منه لسانا ناطقا بكافة آلام الأمة العربية والإسلامية .

" إنه ينتمي إلى الأمة وحسب، ينطق باسمها يحمل همّها ولايبكي حالها لأنه مشغول بالغناء للصبح الذي يراه قريبا، إنه مشغول بأن يدلّها على طريق الخلاص، أن تتحرك، أن تهتز ،أن تتزلزل أن تقوم... إنه أمر طبيعي أن تقوم أمة من مواتها ولو مرة كل خمسين عاما!!. "[2]ففي كل قصيدة كتبها "البرغوثي" كان يصرُّ على تعميق إحساس الناس بإنسانيتهم بقدرتهم على الفعل بالفجر المناط قدومه بعيونهم وأيديهم:

"الله أكبر تحت القصف تندفع وكلما ضاق عنها الأفق يتسع
إن القنابل تهوي وهي ترتفع نبوءة أسمعتكم لو لكم سمع
لا جن يحضر إلا سوف ينصرف
عني خذوها وقولوا قال بشار لاتدعوا العجز ما في العجز أعذار
تعمد المرء للنسيان تذكار وبعض من حزنوا في حزنهم عار
والعار في الناس بالإخفاء ينكشف
لاتدعوا العجز فالأعمى له بصر والريح مجتاحة يجتاحها الشجر
كمت تكسره فالريح تنكسر لا يعذر الموت من يأتيه يعتذر
وقوة السيف فاعلم، أصلها رهف
كفوا لسان المراثي إنها ترف"[3]

"لكن تميم البرغوثي لايستحق التربع على عروش القلوب بسبب لغته وأفكاره وإلقائه وحمله هموم الأمة فحسب، لكنه تميز بشيء خاص تفرد به من بين الشعراء جميعا، وهو هذا الجمع المذهل بين الإلمام الكامل بهموم الأمة وملابسات واقعها الحزين وبين حقن هذه الأمة دون هوادة وبدأبملفت للنظر بحقن الإنعاش والأمل، ورفدها بمعاني العنفوان والقدرة على الوقوف على قدميها من جديد....."[4].

---

[1] –حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيد"
والرابط:https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw

[2] – السباعي ،نوال، أمير الشعراء تميم البرغوثي ، والرابط:
http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?name=News&file=article&sid=532

[3] – البرغوثي،تميم:*مقام عراق* ، ص 33-34.

[4] – السباعي ،نوال، أمير الشعراء تميم البرغوثي. نقلا عن وصلة الويب :
http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?name=News&file=article&sid=532

هذا هو تميم البرغوثي شاب لاينتمي لأي حزب سياسي، ولا يدعمه أي توجه فكري،إنه يسير بإنسانيته ويستشعر في دواخله الحق والواجب معا ،يستخدم الكلمة سلاحا والأمل شعارا من أجل أن ينهض بهذه الأمة من كبوتها فهو القائل :

"حيي المآذن تحت القصف تنتصب حتى الطيور التي من حولها عرب
تطمئن الأهل يجتاحها اللهب أنا بخير فلا خوف ولا رهب
ما زلت أقصف لكن لست أنقصف"[1]

ولأنه فلسطينيّ فإن القدس تربعت على رأس القضايا التي حملها على عاتقه ، وهو في حمله هذا تناسى كل الفرق الفلسطينية المتناحرة من أجل السلطة ،إذ جعل همه الأول والأخير وشغله الشاغل "القدس" وفي ذلك يقول:

" في القدس صلينا على الأسفلت
في القدسِ من في القدس إلا أنت
وتلفت التاريخ لي مبتسما
أظننت حقا أن عينك سوف تخطئهم ، وتبصر غيرهم
هاهم أمامك ، متن نص أنت حاشية عليه وهامش
أحسبت أن زيارة ستزيح عن وجه المدينة يابني
حجاب واقعها السميك لكي ترى فيها هواك
في القدس كل فتى سواك
وهي الغزالة في المدى، حكم الزمان ببينها
كازلت تركض إثرها مذ ودعتك بعينها
رفقا بنفسك ساعة إني أراك وهنت
في القدس من في القدس إلا أنت
فالمدينة دهرها دهران
دهر أجنبي مطمئن لا يغير خطوه وكأنه يمشي خلال النوم
وهناك دهر ، كامن متلثم يمشي بلا صوت حذار القوم"[2].

من القدس حلق بنا تميم ليتجاوز زماننا ويعود بنا إلى الوراء عبر خطوط الزمن الذي مضى والذي سيأتي في رحلة بين النكوص واستشراف مستقبل سياسي جديد فهو القائل :

"في القدس تنتظم القبور، كأنهن سطور تاريخ المدينة والكتاب ترابها

[1] – البرغوثي،تميم: *مقام عراق* ، ص 26.
[2] – البرغوثي،تميم: *في القدس* ،ص8-9.

الكل مروا من هنا

فالقدس تقبل من أتاها كافرا أو مؤمنا

أمرر بها واقرأ شواهدها بكل لغات أهل الأرض

فيها الزنج والإفرنج والقفجاق والصقلاب والبشناق

والتاتار والأتراك ، أهل الله والهلاك، والفقراء والملاك، والفجار والنساك،

فيها كل من وطئ الثرى

كانوا الهوامش في الكتاب فأصبحوا نص المدينة قبلنا

يا كاتب التاريخ ماذا جد فاستثنيتنا" [1]

هذا هو تميم البرغوثي صوت الألم العربي ، ؛ولذا سيكون محور دراستي وبحثي ؛ لأنه –من وجهة نظري - شاعر أخذ على عاتقه بأن الشعر رسالة وقضية وأنه ليس كلاما فحسب بل هو "أفضل أنواع الكلام وأجملها" [2] وكيف لايكون ذلك وهو مؤمن بأنه لايزال للشاعر ذاك الوهج وتلك السطوة ، بدليل أن الناس مازالوا قادرين على كتابة الشعر بكافة الصور " بأرجلهم عبر التظاهر، بتحمّل إطلاق الرصاص عليهم ، بتحمّل الجروح والإعاقة ، إنهم قادرون على التمييز بين الشعر الجيد والرديء" [3].

تجلي البعد والدلالة المكانية

أن تكتب الشعر فهذه ميزة ، لكن أن يحمل الشعر المكتوب معظم الدلالات التي يمكن أن تتمظهر عبر بعض الرؤى والثقافات فهذه درجة من درجات الابداع .وتميم البرغوثي صورة من هذا الابداع ،فبلمحات فنية سريعة ، يمكننا الوقوف على أن شعره لاينحصر في دلالة معينة بقدر ماهو قابض على كافة الدلالات ،اجتماعية ونفسية وسياسية .. لدرجة ، أنه جعل من أمكنته الأرض والوطن والإنسان مدخلا شاملا لقضاياه وموضوعاته ، ورمزا مكثفا لأبعاده وصوره،وبما أن الظواهر المكانية التي ترتبط بالشعر لا تنفصل عن مخزونها المعرفي وتراكماتها الثقافية على المستويين الفردي والجمعي ؛ فإنها بهذا الشكل تجذِر لفضاء شعري يقوم على مختلف الدلالات

---

[1] – البرغوثي،تميم: *في القدس* ،ص11.

[2] – حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيد"

والرابط:https:// *www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw*

[3] – حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيد"

والرابط:*https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw*

والأبعاد . وإذا ما اعتبرنا أن الأمكنة بُنى فنية لها خصائصها الاجتماعية والثقافية والمعرفية والتراثية فإنها ستتمظهر في النص الأدبي محملة بتلك الأبعاد والدلالات ، والتي تسعى جاهدة إلى تأسيس لمشاعر ترتبط من بعيد وقريب بهذا المكان أو غيره ؛ لذا وجدت أن هذه الدلالات والأبعاد تفرز بدورها دلالات أخرى تعيد تشكيل الماضي ولكن بصورة حداثية جديدة.

إن تمظهر هذه الدلالات والأبعاد إنما هو دليل على مواقف جمالية وأيديولوجية ، تهيمن على النص الأدبي وتجعل منه ظاهرة أدبية تتشبث به بشكل أو بآخر. ولذلك "فإن مسألةعلاقةالمكان بأبعاده الثقافية والقومية تبدو قضية عادية في ضوء المناقشات الفكرية والسياسية والعلمية بصفة عامة،لكنها حينما تتحول إلى نص شعري وإنتاج إبداعي يقوم على المزاوجة بين الخيال والواقع فإن المسألةتصبح أكثر تعقيداعندالبحث في أبعادها الدلالية وتأويلاتها الجمالية والمعرفية"[1] .

وبناء على ما سبق أرى أن عملية التداخل بين الشعري والواقعي تصبح واقعا أدبيا ملموسا تصعب معه تحديد هوية كل واحد منهما على حده هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النص الشعري الذي تم إبداعه في ظروف أيديولوجية واجتماعية وثقافية تجعله يقترب تماما من واقع الأحداث التي شكلت مرتكزا أساسيا لإنتاجه. ، مثل الثورات العربية والهجوم العدواني على بعض الدول العربية من الدول الاستعمارية الكبرى.

في ضوء ما سبق وجدت أن القصيدة عند تميم البرغوثيترحل وتسافر في رحلات مكوكية معرفية ثقافية تارة ، وسياسية ودينية تارة أخرى ، ترحل أيضا من الماضي إلى الحاضر ، ثم إلى المستقبل .. كله من أجل الوطن ، بغض النظر عن كون هذا الوطن هو الوطن الأم ، أم الوطن الأكبر ؛ لأن الوطن عند "تميم" هو المثير لجوهر الانفعال الشعري .

من هنا أصبحت ذاكرة المكان وفق هذه الدلالات والأبعاد ممارسة وجودية حرة تسعى لترسيخ هوية الإنسان بوطنه لأن "العلاقة بين الإنسان والمكان من هذاالمنحى،تظهربوصفها علاقةجدليةبين المكان والحرية،وتصبح الحريةفي هذاالمضمارهي مجموع الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أوعقبات،أي بقوى ناتجة عن الوسط الخارجي لايقدر على قهرها أو تجاوزها "[2]؛ وبناء على ذلك تتضح لنا جدلية الانتماء للمكان بين الأنا والاخر مع تشكل كافة التقاطعات التي أشرت إليها سابقا والتي هيأت لترسيخ تلك الجدلية ، وكان نتيجة هذه الجدلية نصوصا شعرية إبداعية جعلت من الأمكنة الواقعية بأبعادها ودلالاتها التاريخية والدينية والسياسية وغيرها ، جعلت منها علامات مرجعية في النص تأخذه إلى نصوص مفتوحة على

[1] – مجنح ، جمال: *دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970* ، ص319.

[2] – قاسم،سيز:*القارئ والنص*،ص45.

كل العوالم الممكنة في خيال المتلقي؛ولذلك سأستجلي تلك الأبعاد والدلالات عند"تميم البرغوثي" في الصفحات القادمة ؛لأرسخ الوجود الإنساني بكافة أشكاله وتمظهراته،حتى وإن كان النص الشعري عند"تميم"يتميز بالكثافة ؛لكنه يفرز معطيات دلالية وشعورية تجعلنا نبحر في هذا المكان بشتى الطرق والوسائل الفنية ومن تلك الدلالات والأبعاد :

- ✓ **البعد النفسي والاجتماعي.**
- ✓ **البعد الوطني والسياسي .**
- ✓ **البعد التاريخي والديني .**

ولمقاربة وقراءة تلك الأبعاد قمت برصد وتتبع ببيبلوغرافيا تقريبية لأبعاد المكان ودلالاته عند تميم في ديوانيه بالفصحى " في القدس ، مقام عراق" وفق مقاربة تأويلية ذاتية للقصائد الموجودة في الديوانين ، فقد تزيد إحدى الدلالات عن الأخرى وقد تنقص بشيء بسيط، لكن يبقى أن هناك ارتفاعا واضحا لتجلي إحدى الدلالات عن الأخرى وهذا ما سأبينه عبر الصفحات القادمة ، ثم قدمت مقارنة بالرسم بين هذه الدلالات ، والتي وجدت أن بعضها يتداخل مع البعض الآخر حتى وإن بدا أنها منفصلة، وأخيرا قدمت نتيجة كافة المقارنات وتمظهراتهاته الدلالات .

ثانيا : البعد النفسي والاجتماعي

الحقيقة إن الاستقراء الأولي لدلالة المكان نفسيا واجتماعيا عندتميم البرغوثي عبر البيبيغلورافيا التي سأقدمها لاحقا ، يتضح أنها أكثر الدلالات حضورا ، بل إنها المتصدرة كافة الدلالات؛ وهذا يرجع من وجهة نظري إلى ارتباط الإنسان بالمكان نفسيا واجتماعيا أولا ، ثم بعد ذلك تتشكل ملامح أخرى من الارتباط بفعل الموروثات والواقع الذي نعيشه في المرحلة اللاحقة. إن استنطاق النص المكاني لا يأتي من فراغ ؛ بل لابد له من عملية تتماهى فيها النفس الإنسانية مع الموجودات حيها وجمادها و معا، هذا التماهي يخلق حالة من التفاعل الحيَ الذي ينتج شعرا مكانيا مفعما بالدلالات المتمظهرة بين الهنا والهناك. ؛ ولذا كانت مقاربة تلك الدلالات مهمة جدا لاستنطاق النصوص الشعرية ؛لأنها تبرز العلاقة الجدلية القائمة بين الذات المنتجة للنص وبين سلطة المكان على هذه الذات.

تبين القائمة الآتية مدى تجلي الدلالة النفسية والاجتماعية عند تميم البرغوثي:

الرقم	عنوان القصيدة	الشطر الشعري / الصفحة
-1	في القدس	مررنا على دار الحبيب ص7
		إذا مابدت من جانب الدرب ص7
		متى تبصر القدس العريقة ص7
		في القدس بائع خضرة من جورجياص7
		..... مع امرأة تبيع الفجل في الساحات ص8
		في القدس أسوار من الريحان ص8 في القدس يزداد الهلال تقوسا ص9
		والقدس تعرف نفسها .. 9
		وفي القدس السماء تفرقت في الناس تحمينا ونحميها...ص9
		وفي القدس أعمدة الرخام الداكنات ...ص10
		في القدس تنتظم القبور ...ص11
-2	في الجليل	سلام على زين القرى والحواضر ص13
		يمر بنا اسم المرج مرج ابن عامر ص13
		وهو أرض شمال فلسطين ص13
		أعني شمال جنين تماما ص14
		جنوبي لبنان رأسا ص 14
		جنوبي غرب دمشق مباشرة ص 14
		وسط الشام كالطفل في المهد ص14
		وفي وسط الشام تغدو السيوف ص14
		وفي وسط الشام لفظ الجلالة ياسيدي ص15
		وفي وسط الشام طير تفوق في حرفة الهزء ص15
		إن الجليل له ألف معنى ص16
		وفلسطين أجمعها في الجليل ..ص16
		جليل هو الشيخ في الصورة الأبدية ...17
		إن أرضا يسير على مائها أهلها ... ص17
		هو الوشم في اليد يحبط كل محاولة للتناسي...ص17
		وجليل هو الصوت يمتد بالردة ... ص17
		كأن الجليل عروض من الشعر... ص18
		كأن الجليل هو الشعر في النثر محتجب ...ص18
-3	أنا لي سماء كالسماء	أنا لي سماء كالسماء ...ص21 (تكررت 15 مرة)
		وأسعى في بلاد الله ص21

		هذي سمائي في يدي ... ص21 (تكررت 10مرة)
		فيها الطيور تطير دوما للوراء شوقا إلى الأرض ...ص21
		والمدى عشق يزيد ..ص22
		تمسي السماء علي درعا واقيا...ص22
-4	ياهيبة العرش الخلي من الملوك	هو العرش الخلي من الملوك.... ص29
		أهلي الشوارع والصور...ص29
		فأعانك الرحمن ياطفلا برحم الغيب....ص30
		إن انتظار الناس في بلدي ...ص31
		ماأحسن العرش الخلي... ص34
-5	حديث الكساء	.....كيد طفل يحاول نقل البحر بأصابعه إلى دلوه ص39
		أنت أكرم مافي مخيمنا من خيام ص42
		فليقم فيك مستوصف ...ص42
		ياكساء النبي ، وبرج الحمام..ص42
		اتسع للسهول... اتسع للجبال...ص42
-6	الموت فينا والفزع فيهم	جبالهم في الأيدي مفرقة ص46
		كأنهم من غيومها انهمروا ص47
-7	لاشيء جذريا	لن يحي التلاميذ أعلام بلادهم في طوابيرالمدارس..ص50
		والكل مشتاق لليابسة...ص52
-8	تقول الحمامة للعنكبوت	...أن ندخل الغار أهلي وأهلك..ص54
		فالغار أوسع من كل شيء...ص54
		هو القدر الدائري الذي كان قبلي وقبلك...ص54
		وقمت أنسق عشا فسيحا...ص55
		يا أخية ضيفاك ما فعلا ، أولم يصلا للمدينة ...ص55
		تقول الحمامة لما رأت روح حارسة الغار فاضت ..ص56
		وقد أصبح الغار بعدها طللا ص56
-9	أمر طبيعي	إني رأيت الصبح يلبس ويدور مابين الشوارع ... ص60
-10	القهوة	كنت ترمين البذور على الجبال ...ص65
-11	خط على القبرالمؤقت	جموع كل من فيها وحيد ووحشتها تزيد إذا تزيد وكل فوقه غيم بخيل وكل تحته أرض تميد ص 67

		وللقبر المؤقت ألف معنى يضيق بها على السعة النشيد ص67
		تتنكر له المدن ذات الفنادق والحانات ص70
		الرمل رمل كريم .. ص71
		دهشة متوقعة دائما .و كبيت الرعب في مدينة الملاهي ص71
		وانتم أيها الباكون بعدي في القاعة ص73
		.... سيجعل كل القبور مؤقتة فخذوه ص75
		... وحقك لستُ بدار لماذا نحبك ص75
-12	أمير المؤمنين	وحدي في البيت.. ص77
		كنت ما أزال أحاول وصف الديار ... ص77
		خط الأفق متعرج من حطام المباني ...ص77
		وخيل تملأ البيت وتفيض على الشوارع ص78
		وتخوض عدة أميال في البحر...ص78
		ويذكر الغيم أنه مطر وتذكر الأرض أنها وطن ص79
		وهوى سقف إسرائيل ... ص80
		دخلوا إلى الملاجئ ص 80
		كالتراب تحت البساط ... ص80
		أصل الإنسان تراب... ولكن فرعه السماء ص 80
-13	سفينة نوح	حمام البروج يصلي عليك 83
		يصلي عليك هواء البلاد ص84
		ثم يعود شبابا إذا عبرت نسمة في الطريق 84
		نسمة من رجال مقاتلة في الخلا والمضيق 84
		مياه البحار تصلي عليك ص85
		تصلي عليك زهور المروج ص85
		فضحكاتهم في البيوت سوى ضحكة من مكان بعيد ص86
		أمة من ظباء.. أمة في الركام.. أمة في السماء... ص88
-14	الأمر	الخيل تركض في الشوارع ص91 (تكرار 3مرات)
		لهبا توحش في البيوت ... ص92
-15	ابن مريم	لايوجد
-16	حصافة	جلست لترضع طفلها تحت السماء .. ص 95
		من حولها جثث على الصحراء .. 95
		من حولها جثث بأبواب البيوت .. ص95

		... وأن القبر لا ينسى ويحفظ ثأره .. ص96
-17	قفي ساعة	يطوال انتظار المرء إقبال عيشه فيدبر حتى ينزل القبر نازله ص97
		ويحملني كالنسر يحمل صيده ويعلو به فوق السحاب يطاوله ص 97
		ولكن قتلى في بلادي كريمة ستبقيه مفقود الجواب يحاوله ص 98
		ترى الطفل من تحت الجدار مناديا 98
		وقتلى على شط العراق كأنهم نقوش ص98
-18	قبلي مابين عينينا اعتذارا ياسماء	قبلي مابين عينينا اعتذارا ياسماء ص99
		حنة الريح إلى أوطانها ... ص100
		وحياء الشمس من مشرقها ...ص100
		ويظل الجسم جسما فوق أكتاف المحبين ثقيلا ... ص100
		لن يكون القبر إلا حفرة ، طينا وماء .. ص101
		قبلي مابين عينيا اعتذارا ياسماء ص102
		غير أنا في بطون الأُسد بتنا ... ص103
		يخرجنا من ظلمة القبر بهالات الضياء ..ص 103
-19	تخميس على قدر أهل العزم	أقول لدار دهرها لايُسالم ... ص111
		غدت مهرة تصحو البلاد إذا صحت ...ص 113
		أتذكر دارا أنت أعطيتها اسمها..ص 114
		..... وفي جبهة الصحراء للذل ميسم ... ص114
		وفي الصدر سوق من مصائب جمة... ص115
		... تقطع سير النهر حتى تأسنا ..ص115
		... ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... ص116
		وأهلي نخل الله مدَ عروقه ... ص118
-20	غزل	لايوجد
-21	رجز USA	ياغربة المغترب عن داره ... ص123
		حديقة جمالها كالقطب ..ص 123
		كأنني عن الرياض أجنبي .. ص124
		بل صحرائي صحراء الكتب .. ص124
		ونحن أهل جبل معشوشب ... ص124
		حديقة من مأكل ومشرب ... ص124
		تركب فوق وحشها المركب ... ص125
		مركَب من ألف ألف مركب ... ص125

		والبحر تحته كثير الغضب ... ص 125
-22	أيها الناس	أيها الناس أنتم الأمـــراء بكم الأرض والسماء سواء ... ص127
		وخطاهم في الأرض تسطر شعرا هذبته السراء والضراء ... ص127
-23	معين الدمع	معين الدمع لن يبقى معينا فمن أي المصائب تدمعينا ص 129
		لو أن الدهر يعرف حق قوم لقبل منهم اليد والجبينا ص 129
		ونحمله على هام الرزايا لدهر نشتهيه ويشتهينا ص 129
-24	شكر	محبتكم أيها الأهل طير يحط على كتفي ص131
		فقد علم الله كم طار حتى أتاني ، وكم في الطريق نجا من هلاك ص 131
		ألست ترانا نقاتل حين نخط قلوب المحبين فوق الجدر ص 132
		بلادي فلسطين ص133
25	مقام عراق	أيها القارب المتأرجح ذات اليمين ص10
		شمالك معتلة واليمين ص10
		أيها القارب المتأرجح تمحو وتكتب كيف تميل مصائرنا ص10
		تحولها من زئير الصحاري إلى رسمة في ثياب المدارس ص10
		أنا بذرة في حقول الليالي ص20
		هل رأيت علبة الأسبرين وحدها تماما في مركز الأورام ؟ ص25
		هل رأيت الشيب في مفارق السعف ص25
		ياشمس كوني لنفس المرء مطهرها ياشمس ولتجعلينا بعض داراتك ص28
		عميان نعمل في سوق الحديد ونجلوه ص28
		يسألني عن مكان البيت مبصركم ص30
مقام عراق		أنا من يحفظ في كفيه جدران المكان ص31
		أصبحت من طول جسي جانبيها ... ص 31
		طرق بغداد وخط الله في كفي سيان ... ص 31
		وأنا من تسكن الأسرار في إعلانه ... ص32
		الله أكبر تحت القصف تندفع وكلما ضاق عنها الأفق يتسع ص33
		مثل غزال له فوق السماء مروج كان معتقلا ... ص36
		ياوشم صحرائنا تحت الخمار بدا ... ص36
		يا نخلنا ، أمة بين الملاجئ تحت الأرض ساجدة ، ولا صلاة لها ، ص36
		هل رأيتم غابة نخل تهاجر عتبا على أهلها .. ص40

	عنزة تتعثر بين الخرائب ص45
	عشبة في الخراب توثقه ص 47
	.... فخلوا الطريق لها ص47
	تجوز من المتحف الوطني إلى المكتبة .. ص54
	كأن الزخارف في جانبيه منزلة كالكلام ... ص54
	كأنه الهلال فوق القبة ص56
	ناديت بغداد وأهل بغداد ص58
	ياأهل بغداد يا أهل المروءات ص61
	لا في الأراضي ولا فوق السماوات ... ص61
	يريد الرحيل لكل الجهات ص62
	على ظهره كل ميراثه ص62
	أيدري كثيب الرمل إن كان أصله صبي أريب أم فقيه معمم ص63
	فقالت له الكثبان وهي بليغة ... 63
	... تحمل أيها الطلل المحيل ص64
	فكل البيد من نفس الرمال ... ص64
	تساوى في الأسى يمن وشام ص64
	أتطلب تحت صومعة ملاذا ... ص64
	وتتبعك الرياح بكل وادي... ص64
	وتتبعك الحزاضر والبوادي ... ص64
	فلا تلجأ لصومعة بقفزة. فكل الأرض بغداد وبصرة ص65
	.... في الشارع في السجن في قبة تحت الحصار ... ص66
مقام عراق	أهل العراق فلا عزت أعاديكم ... ص67
	تحمل ركب الصبح حتى أضله ص70
	هواكم سار مع دمي بالعراق ... ص71
	مأتم في البلاد سرادقه الليل ... ص76
	ينظرون إلى الأرض دوما ص78
	أبحث عن قبر من نبكي فلا أجد ... ص79

وفق رؤيتي وبالتقريب يمكننا أن نقرأ فيما سبق حضور وتجلي المكان في دلالاته الاجتماعية والنفسية وبتشكلات مادية ومعنوية عند تميم البرغوثي فيما هو آت :

-الحنين والشوق :إن قراءة قصائد البرغوثي توحي بالدلالة النفسية والاجتماعية والتي تبدو جلية في الحنين والشوق لكل شيء، ولعل ديوان "في القدس" أفضل دليل على هذا، ففيه تتجلى كافة أشكال الحنين والشوق والارتباط . يقول تميم:

"مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي وسورها

فقلت لنفسي ربما هي نعمة فماذا ترى في القدس حين تزورها

ترى كل ما لا تستطيع احتماله إذا مابدت من جانب الدرب دورها"[1]

تحمل الأبيات السابقة مشاعر الحب والشوق والحنين المتجذرة في نفس تميم للقدس ومن فيها فهي بالنسبة له دار الأحباء ، الأحباء الذين فقدهم في يوم من الأيام ولم يستطع أبدا أن يصل إليهم لموانع كثيرة صنعها المعتدي ، وهو لم يدخلها لكنه مرَ بها فرأى كل مالايمكن تصوره فماذا لو دخلها فعلا وسكن بها !!!! .

لم يتوقف تميم عند هذا الحدّ بل ارتقى بمكانه من مجرد فضاء مادي إلى فضاء إنساني ينبض بالحركة ، فقيمة المكان ترتبط بمدى مايبعثه الإنسان فيه من عناصر الحياة وبما يمنحه المبدع من إكسير الحياة لهذه الأمكنة وهذا مانجده جليا في قول تميم :

"في القدس ، بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته يفكر في قضاء إجازة أو في طلاء البيت

وسياح من الإفرنج شقر لايرون القدس إطلاقا

تراهم يأخذون لبعضهم صورا

مع امرأة تبيع الفجل في الساحات طول اليوم ..

في القدس أسوار من الريحان ..."[2]

في الأسطر السابقة تتقاطع الزوايا الأربع مع بعضها، لتشكل لنا تلك المنظومة النصية الرائعة ، تتقاطع الأنا والمكان والنحن مع رائحة الارتباط النفسي والاجتماعي معا ، ولذلك بدت القدس وكأنها كائن حي ينبض بكل ملامح الحياة عبر الوصف الدقيق لملامح الحياة البسيطة في

---

[1] –البرغوثي ،تميم:*في القدس*،ص7.

[2] –البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 7،8.

الشارع المقدسي . ولم يتوقف الحد عند ذلك ؛ ولا يتوقف هذا النبض الحياتي عند حدود قدسه العظيمة بل يتجاوزها لبلاد أخرى تتغلغل في نفسه مثلما تتغلغل العروق في الخلايا فهو القائل :

"أنا من يحفظ في كفيه جدران المكان

أصبحت من طول جسِي جانبيها

طرق بغداد وخطُ الله في كفيَ سيان "[1]

بل وجدت أن المكان عند :تميم يربط بين الجماعة المتشتتة في رباط نفسي يجعل قاصيها قريب من دانيها وهذا ما نقف عنده في قوله :

"سلام على زين القرى والحواضر ومن هاجروا منها ومن لم يهاجر

يمر بنا اسم المرج مرج ابن عامر فنطرب لاسم المرج ، مرج ابن عامر"[2]

يتضح مما سبق دور المكان في إعادة الذاكرة الجماعية وتحريك المكنونات الداخلية اتجاهها ، والأمر لايتوقف هنا وحسب، بل يتعدها إلى أبعد من ذلك؛ فالمكان هو الأب والأخ والصديق والأهل، فهناك علاقة خفية نفسية تربط بين "تميم " ومكانه بدت ملا محها في أكثر من مكان فهو القائل:

"في القدس يزداد الهلال تقوسا مثل الجنين
حدبا على أشباهه فوق القباب
تطورت مابينهم عبر السنين علاقة الأب بالبنين"[3]

إنها علاقة الأنفاس المختلطة ببعضها ، إنها العلاقة الوطيدة ذات الأوشاج الرحيمة بين هذا وذاك ، بين "تميم" ومكانه ، ولذلك تحَدَب الهلال على صغر الأهلة المرتكزة فوق القباب وكأنه والدهم وهم الأبناء ، يحميهم ويخاف عليهم ، علاقة لم تكم آنية بل هي قديمة بقدم أنفاس أهلها. لم يكتف "تميم " بذلك فلقد تجاوز بمكانه البر والبحر ، السماء والأرض في علاقة وطيدة تماهت فيها النفس الإنسانية مع كل موجودات الحياة ، هذا التماهي تعدى حدود الوطن الصغير إلى الوطن الأكبر لنجده يتجسد مع ثغور أخرى تجاوز وطنه الغالي فهو القائل :

"وهو أرض شمال فلسطين

---

[1] – البرغوثي ،تميم:*مقام عراق*، ص 31.

[2] – البرغوثي ،تميم:*في القدس* ،ص 13.

[3] – المصدر نفسه ،ص 9.

أعني شمال جنين تماما

جنوبي لبنان رأسا

جنوبي غرب دمشق مباشرة

وسط الشام كالطفل في المهد،"[1]

تجاوز تميم بجليله حدود فلسطين ، ليغرّب ويشرّق وينعطف جنوبا ، وكأن وطنه نقطة ارتكاز حقيقية لكافة البلدان ؛ وهذا يصور الوشائج الحقيقية التي تربط بين وطنه الصغير وبين بقية الأوطان ، وتتضح مكانة الوطن الكبير المنغرس في ثنايا روحه في قوله :

"أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء

أحملها على رأسي وأسعى في بلاد الله من حيَ لحيَ

هذي سمائي في يديَ"[2]

وهو القائل :

"أيدري كثيب الرمل إن كان أصله صبي أريب أم فقيه معمم

أتدري عروق النخل أي كريمة من الناس تُسقى حين تسقى وتطعم

تحمل أيها الشيخ الجليل تحمل أيها الطلل المحيل"[3]

وفي ذلك إشارة إلى أن حنينه وحبه لوطنه الأكبر، إذ شمل حتى الهواء الخارجي والسماء التي تعلوه ، بالبر والبحر المتجاوز حدود الوطن، حتى الأطلال القديمة لاتزال تحمل بصمة كبيرة في داخله من الحب والشوق- ،ولذلك كان آخر ما سجله في ديوانه "في القدس" كلمات شكرٍ ذكر فيها :

"محبتكم أيها الأهل طير يحط على كتفي ، هكذا كالهدية من لامكان

يباركني ، وأراقب نفسي لكي لايخاف ، أريد له أن يظل هناك

فقد علم الله كم طار حتى أتاني ، وكم في الطريق نجا من هلاك

---

[1] – البرغوثي ،تميم:*في القدس* ،ص 13-14.

[2] – المصدر نفسه ، ص 21.

[3] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ،ص 63.

ألست ترانا نقاتل حين نخط قلوب المحبين فوق الجدر"[1]

إنه عبر الأسطر السابقة يطير بقلبه من ثغر إلى ثغر ومن بلد إلى بلد ولكنه أخيرا يهبط ويحط في بلده فهو القائل :

"بلادي فلسطين"[2]

وكما حمل المكان عند تميم البرغوثي الحبَ والارتباطَ والوثاقَ المقدس صوّر ملامح أخرى ترسم تشكل الدلالة النفسية والاجتماعية ولكن بصورة أخرى وهي:

-**صورةالغربة**: تشكل الغربة دافعا قويا للكتابة الشعرية عند تميم لأنها الحقيقة التي يعيشها هو وأبناء شعبه ،والتي تتحد مع القهر النفسي والألم الداخلي فهو القائل :

"يا غربتي ياغربة المغترب

عن داره أو غربة المقترب

من نفسه التي تظل تختبي

يريغها كذا بدون سبب"[3]

تبدو ملامح الغربة في الأسطر السابقة على صعيدين ، غربة خارجية وغربة داخلية متجذرة في نفسه الإنسانية تستند إليها كافة أنواع التغريب الأخرى،وكأنه يوثق للغربة الداخلية التي يعيشها مع الغربة الحقيقية الواقعية ببراهين من واقع مؤلم يعيشه ويتنفسه ويجذر لحالة التشظي التي يحياها،هذه الغربة لاتتوقف عند حدود نفسه لذاتها، بل تتعداها لتصور ذلك المكان الذي يتنفس قهرا وألما وعناء، وهي حال الشعب الفلسطيني بعد نكبة ال 1948،وهي عرض لواقع المخيمات المزري، وحال البؤس الذي يحيط بكل من سكنها فهو القائل :

"ياكساء النبي استمع

ياعليَ المقام

---

[1] – البرغوثي،تميم: *في القدس* ،ص 131- 132.

[2] – المصدر نفسه،ص 133.

[3] – نفسه، ص 123.

أنت أكرم مافي مخيمنا من خيام

فليقم فيك مستوصف، إن تيسر،يأوي إليه ضعاف الأنام"[1]

فهو يضمن حالة البؤس بأمنية إقامة مستوصف ولكنه قرَنَ هذه المنية ب – إن تيسر – وفي ذلك دلالة على مدى البؤس وتردي حالة أهل المخيمات . والأمر لا يتوقف على وصف حال ساكني المخيمات ، بل يتعداه إلى أكثر من ذلك إلى البؤس الذي يعم ثغور الوطن الأكبر وكأننا في حلقات مكانية يتداخل فيها الصغير مع الكبير ويتماهى فيها الداخل مع الخارج فهو القائل في وصف مأساة لبنان:

"في انقطاع الكهرباء
تحت القصف
وحدي في البيت
كنت ما أزال أحاول وصف الديار
خط الأفق متعرج من حطام المباني
ديار ببيروت وأخرى ببغداد عيي بهاالناعي عيي بها الشادي
وهوى سقف إسرائيل
دخلوا إلى الملاجئ
كالتراب تحت البساط"[2]

تحمل الأسطر السابقة زخما غير طبيعي من صور الحجم والألم والمعاناة لأولئك المشردين في مختلف بقاع هذا الوطن المترامي الأطراف ، المحطم نفسيا وجسديا ، حتى أنه من كثرة هذه المصائب جعل لها "تميم" سوقا ضخما تتلون وتتنوع فيها هذه المصائب الجمة وفي ذلك يقول :

"وفي الصدر سوق من مصائب جمة تجمع فيه كل لسن وأمة"[3]

أو كما نجده في وصف العراق وما آلت إليه بعد الغزو الأمريكي لها ، حتى أن مركز الأورام خلا إلا من حبة الأسبرين وفي ذلك يقول تميم:

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس*، ص 42.
[2] – المصدر نفسه، ص 77–80.
[3] – نفسه، ص 115.

"أرى العراق طويل الليل

في أي كف أو جبين رأيتنا ياجدُّ

وأيُّ شيء رأيت؟

هل رأيت علبة الأسبرين وحدها تماما في مركز الأورام؟"[1]

لقد استطاع "تميم" أن يجعل المتلقي يتنفس معه الألم والقهر النفسي الذي يعيشه ضمن مكانه الخاص والعام معا ، حتى الشوارع والصور باتت جزءا من جيناته المقهورة المعذبة :

"[2]أهلي الشوارع والصور

ومظاهرات في الدخان

أهلي المهان إذا صبر"

يتحد - فيما سبق -الفرد مع الجماعة وتتداخل الجماعة بجماداتها مع أحيائها ولكل خصوصيته ولكنها تنقش لوحة من البؤس والألم العربي الإنساني على حد سواء ؛ والتي تنتهي إما بالموت أو بمظاهر القبور التي أصبحت سمة من سمات المجتمع العربي على وجه الخصوص ولذلك تقودنا الدلالة النفسية والاجتماعية إلى تجلٍ من نوع آخر وهو:

-**رائحة الموت التي تزكم الأنوف والقبور** التي أصبحت سكنا تحت الأرض أكثر من فوقها ، فهو القائل:

"في ذات يوم حارق ،جلست لترضع طفلها تحت السماء

وتلفتت لترى مصارع أهلها
من حولها جثث على الصحراء
من حولها جثث بأبواب البيوت"[3]
وقتلى على شط العراق كأنهم نقوش بساط دقق الرسم "[4]

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص 25.
[2] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 29.
[3] – المصدر نفسه، ص 95.
[4] – نفسه ، ص 98.

تومئ السطور الشعرية السابقة إلى حجم الموت الذي أصبح رهنا بالشعوب العربية والإسلامية فهو في كل مكان ، الصحراء ، وأبواب البيوت والشوارع ، البر والبحر على حد سواء حتى أن هذا الموت أصبح قدرا محتوما علينا فهو القائل :

"هل رأيت ذلك الإيمان العصبي عند الأمهات أن موت الأطفال قضاء وقدر ؟"[1]

أو أن الموت لايختارنا إلا نحن وهذا ما تضمنه قوله:

"أرى الموت لايرضى سوانا فريسة كأنا لعمري أهله وقبائله"[2]

لكن تميم وأهله الذين تمظهروا في صورة الشقاء والمعاناة الملفوفة بالموت المحقق لم ولن يستسلموا أبدا فهم يتخذون من الصبر شعارا لهم وفي ذلك يقول :

"صعب على الشعراء مدح الصبر في بلدي

فأهلي صابرون على الزمن كأمه"[3]

هذا الصبر يرتبط برباطة جأش وقوة فاعلة في بني شعبه وخير دليل على ذلك قوله في "أطفال غزة" :

"وكل طفل في كفه حجر ملخص فيه السهل واليفع

جبالهم في الأيدي مفرقة وأمرهم في الجبال مجتمع"[4]

إن المكان الواقعي انقلب لقوة حقيقية داخلية عند تميم تجعل من الإنسان الفلسطيني أنموذجا حيا يستلهم قوته من الله أولا ومن مناظر الطبيعة التي تحيط به ثانيا، فهاهيالجبال تمنحه القوة المادية والمعنوية ، المادية بالحجارة المفتتة في كفوف صغار غزة ، والمعنوية في الصبر والثبات والعطاء.هذا الصبر بدأ يفرز إيمانا لديهم بأن الصبح قريب جدا ،وسينتشر هذا الصبح في كافة الشوارع والميادين ولذلك قال تميم:

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص 25.

[2] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 98.

[3] – المصدر نفسه، ص 30.

[4] – نفسه، ص 45.

إني رأيت الصبح يلبس زي أطفال المدارس حاملا أقلامه

ويدور مابين الشوارع ، باحثا عن شاعر يلقي إليه كلامه

ليذيعه للكون في أفق تلون بالنداوة واللهب"[1].

إن الصبح الذي يرمي إليه تميم هي الحرية بكافة أشكالها وألوانها ، هذه الحرية خرجت من أزقة الفقراء والمعاناة وستتمظهر في شوارعهم وأفقهم لأنهم المنبع والمصب معا،والحرية التي يرمي إليها "تميم" ليست حرية أرضية بل هي بذر من السماء ينهال على أهل لبنان ولذلك يقول :

"نوار أتذكرين بحرب لبنان الأخيرة

كنت ترمين البذور على الجبال"[2]

والبذر هنا هي الحرية والنصر المتمثل في تغطية السماء اللبنانية ببذور تأكلها الطيور ومن ثم تحجب الرؤية عن طائرات العدو ، فيتحقق النصر والحرية بإذن الله .

أو كما قال في العراق :

"أنا بذرة في حقول الليالي

يبشرها بالزوال اكتمالي"[3]

إنه يبشر بزوال المستعمر الأمريكي بالبذرة العراقية الصغيرة التي ستنمو في حقول الظلم ، لكنها بذرة تبشر باجتثاث كل حقول الظلم والمعاناة . أي صبر هذا الذي خطه تميم عبر حروفه،وأي عزيمة تلك نقشها في لوحة تماهى فيها إنسان مع المكان ؟ حتى أن القبر عدّه مرحلة مؤقتة لحياة هنيئة سعيدة بانتظار المعذبين في الأرض ، فهو القائل :

"جموع كل من فيها وحيد ووحشتها تزيد إذا تزيد

وللقبر المؤقت ألف معنى يضيق بها على السعة النشيد"[4]

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 60.

[2] – المصدر نفسه، ص 95.

[3] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص20.

[4] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 67.

"أقول :

ألا أيها الناس عندي حجاب،

سيجعل كل القبور مؤقتة ، فخذوه،"[1]

إنه يدفع الشعوب بطريقة خفية إلى الاستشهاد متخذا من القبر منزلا مؤقتا فالحياة الهنيئة تنتظره في جنات الخلد ، وكأن تميم لم يكتف بالمكان فوق الأرض بل تمظهرت دلالاته في الأمكنة تحت الأرض كذلك، وهذه إشارة لشاعرية فذة استطاعت تطويع المكان بكل أشكاله ؛ بل إنه استنطق القبر نفسه، فالقبر سيثأر للمودعين فيه ، وفي ذلك يقول تميم :

"لاتقتلوه بربكم

قد تعلمون بأن أعند خلق خالقهم هم الموتى

وأن القبر لاينسى ويحفظ ثأره"[2]

لقد بلغ به المدى أن يعد القبر مكانا ترفرف فيه الحياة للموتى وكأنهم أحياء بيننا فهو القائل :

"لن يكون القبر إلا حفرة ، طينا وماء"[3]

لقد استطاع تميم أن يحرك عجلة تماهي الانسان مع مكانه وفق نقطة أساسية تجعل المتلقي يتماهى هو الآخر مع هذه الأمكنة في حركات هيرمونيطيقية للنص الشعري المنشأ.إن تميم يبحث عن شخص لايبكيه ، فلا يجد....:

"أبحث عن قبر من نبكي فلا أجد فالشهداء جميعا هاهنا وفدوا" [4]

إن هذا الانتقال الجغرافي المتنوع والذي صاحبه تنوع في الانتقال النفسي في حركة ديناميكية صعودا وهبوطا ،أملا ويأسا ؛ لهو دليل على حالة تجذر المكان في داخل الشاعر "تميم"ومن ثم تشكله وتمظهره في سطور أدبية متنوعة في القصيدة الواحدة وفي الديوان الواحد.لقد استطاع تميم أن يصل المكان الحالي بالمكان القديم ، المكان المتشكل على سطح الأرض

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 75.

[2] – المصدر نفسه ، ص96.

[3] – نفسه، ص 101.

[4] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص79.

والقابع تحتها ، المكان الحي والمكان المعنوي ، عبر كلمات ينظمها بطريقة تؤصل لتمظهر الدلالة النفسية والاجتماعية في ديوانين يغصان بها ، فلقد كان في ديوانيه ذاكرة أمة ، وتاريخ وطن انطلق من سفينة نوح ، مرورا بالمسيح وأمه، عابرا بنا التاريخ بكل منعطفاته وترهلاته الفكرية والنفسية ، وكأن تميم ابن العصر الحديث عاش أزمنة واختصرها في تلك الكلمات ، من فلسطين إلى لبنان ، إلى دمشق ، معرجا على العراق وغيرها .

ثالثا : البعد الوطني والسياسي

يجد المتتبع نقديا للشاعر تميم البرغوثي أن هناك تمظهرا آخر للدلالات والأبعاد المكانية ومن نوع مختلف تماما عن الدلالة النفسية والاجتماعية ، ألا وهي الدلالة السياسية والوطنية ،ولاسيما وأن البعد الانتمائي للمكان يعكس العلاقة الجدلية بين الأنا وبين مكانه ، وبين المكان والجماعة ،ثم العلاقة بينهم جميعا.

هذه القيمة الجمالية الانتمائية للمكان تتجلى في ارتباطه بالوطن الذي يتمسك به ويعشقه ، ويضحي من أجله ضد القوى المعادية ، وارتباطه كذلك بالوطن الأكبر ؛ لأن وطنه الأم هو جزء لايتجزأ من الوطن الأكبر .

ومن وجهة نظري فإن هذا الارتباط مرهون بقيمتين :1-قيمة الحياة . 2- قيمة تحقيق الذات . وفي ظل ذلك فإن كل حماية يحققها الوطن لأفراده تفرز تحقيقا لذواتهم بصور شتى ، وكل ترهل فكري وسياسي في الوطن الأم والوطن الأكبر يعقبه تراجع في مستوى الرضا عن الذات النفسية والأنا الفردية؛ لذلك أجد أن هناك ارتباطا كبيرا بين تلك القيم وبين أفرادها ، وبين مجتمعه وبين البعد الوطني والسياسي ؛ وبما أن الوقوف على الطلل كان أحد تمظهرات الدلالة الوطنية قديما فإن هذا التمظهر مازال باقيا ولكنه أخذ تشكلا آخر بفعل التقاطعات السياسية والفكرية والأيديولوجية ، فأصبح الوطن هو الملهم الحقيقي لرؤية الشاعر . ولقد تعددت الصيغ اللغوية المتعلقة بتيمة الوطن ، فهو الدار والبيت والبلد والأرض والموطن ، وكل صيغة لها دلالاتها وأبعادها ،ومما ساعد على تعميق هذا الانتماء للوطن عند تميم هي تلك الغربة ذات التقاطعات الفردية والجمعية التي يعيشها الشاعر فهو مغترب عن وطنه بفعل اللجوء والنزوح القسري الذي مورس ضد شعبه في عام 1948وما بعدها ، أو أنه غريب داخل وطن اللجوء ، وما يعنينا من شاعر هو أنه عاش حالة التشظي مرات عدة ،فهو لاجئ من ال1948 ثم هو مبعَد من الوطن الذي لجأ إليه-مصر- عندما نفي منها إلى الخارج .إن وطن الشاعر "تميم" لاحدود له ، رسم تضاريسه بلغته

الخاصة ، عانق فيها الكرامة على جناحي الحرية ، وأسبغ عليها أحلامه الخاصة ، متجاوزا حدود التاريخ والجغرافيا إلى آفاق الإنسانية جمعاء لدرجة أن الكون أصبح وطنه الكبير جدا .فالوطن عند تميم هو هوية وليس خريطة أو شهادة ميلاد فقط، إنه منه وفيه وله .سأقوم فيما هو لاحق بمقاربة تلك الدلالة وفق الحصر الذي سأقدمه فيمايأتي:

الرقم	عنوان القصيدة	الشطر- السطر- الشعري / الصفحة
-1	في القدس	مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي ص7
		ترى كل مالا تستطيع احتماله ص7
		في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق ص7
		في القدس متراس من الإسمنت ص8
		في القدس دب الجند منتعلين فوق الغيم ص8
		أحسبت أن زيارة..... حجاب واقعها السميكلكي ترى فيها هواك ص8
		....دهر أجنبي مطمئن لابغير خطوه ص9
		وهناك دهر كامن متلثم ص9
		كانوا كالهوامش في الكتاب فأصبحوا نص المدينة قبلنا ص11
		والقدس صارت خلفنا ص12
-2	في الجليل	..... وسط الشام كالطفل في المهد... ص14
		كأن الممالك من حوله ريش مروحة ... ص14
		... لذلك يحرره من حصار الغزاة ص14
		وتاريخنا فسحة الشمس في السجن ص15
		... وفي سائق الأجرة المتخطي الحواجز مثل الحصان ... ص16
		... بيضاء سوداء ، من عام نكبته ، في المعارض والندوات ... ص17
		جليل هو النص ينذر أعداءنا ... ص17
-3	أنا لي سماء كالسماء	والشيطان ليس كما توقعناه في قفص ص23
		.... في مصر أو في الشام ص25
		وأعيد ترتيب الخرائط ص25
		ونيل مصر ص25
-4	ياهيبة العرش الخلي من الملوك	مستقبل في ظله نمت التواريخ ... ص30
		أمل عظيم كلما في الحرب ضرج بالدما ... ص32

		ويقيم دولته علينا ... ص33
		شردنا بأطراف البلاد ... ص34
-5	حديث الكساء	صحراء العرب بمن فيها ... ص40
		أنت أكرم ما في مخيمنا من خيام ... 4
-6	الموت فينا والفزع فيهم	يسير إن ساروا في مظاهرة ص45
		أرض أعيدت ولو لثانية ص45
		يأتون من كل قرية زمرا ... ص46
-7	لاشيء جذريا	ستسقط المدن العاليات ص49
		وكأنها قبة البرلمان ص49
		ستنمو الشقوق ص49
		كبرق مضاد يسري من الأرض إلى السماء ... ص49
		نقطة العسل الكبرى التي نضيء الأفق الغربي ... ص51
		وسيندم الحلفاء على حلفهم ... 51
-8	تقول الحمامة للعنكبوت	لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة ...
		أسواقها وميادينها وقوافلها وعساكرها وصياح المنادين ... ص54
		في زمان مضى .. حل في غارنا .. عربيان وارتحلا ... 57
-9	أمر طبيعي	أرى أمة في الغار بعد محمد ... ص59
		فلن تحرس الغار ... ص59
		وجبريل يأتي الغار كل عشية ... ص59
		في بالها ليل القنابل والنجوم شهود زور في البروج ص60
		في بالها دورية فيها جنود يضحكون بلا سبب ... ص60
		وترى ظلالا للجنود في عليائه .. ص60
		ليذيعه للكون في أفق ص60
		يا أمتي ياظبية في الغار ... ص61
-10	القهوة	أتظن تركيا ستعلن عن دخول الحرب ص64
		هل يدخلون دمشق .. ص65
		هل سترد أنطاكية الإفرنج ؟... ص65
		نوار أتذكرين بحرب لبنان ... ص65
-11	خط على القبرالمؤقت	هندام مقاتل في بيروت ... ص68

		يطلق النار من زاوية الشارع ... ص68
		أضع صياح امرأة تنادي الموتى ... ص69
		سؤال الصحفي : إلى أين تذهبون ؟ ص69
		إذا وضعت أم طفلها في القدس تلقاها ملائكة وجنود ... ص69
-12	أمير المؤمنين	ديار بيروت وأخرى ببغداد ... ص77
		خط الأفق متعرج من حطام المباني .. ص77
-13	سفينة نوح	وهم علموا الحرب درس الجمال .. ص84
		وهم رقصوا من حواشي الجبال ...ص84
		وجابوا القرى .. ص84تصلي عليك زهور المروج ... ص85
		يطرق الموت أبوابهم مثل جيش احتلال ... ص85
-14	الأمر	الخيل تركض في الشوارع ... ص 91
		أوقف الشرطي سيل ص91
		وقف العدو مراقبا .... ص 91
		لهبا توحش في البيوت ،.... ص92
-15	ابن مريم	لايوجد
-16	حصافة	لايوجد
-17	قفي ساعة	وقتلى على شط العراق كأنهم... ص98
		إذا ما أضعنا شامها وعراقها ص98
-18	قبلي مابين عينيا	لايوجد
-19	تخميس على قدر أهل العزم	وغزلان جو قد شغفن براحه ص112
		ويا قلعة حاولت بالروح صونها ... ص112
		فأصبح همي يا محمد وصفه ... ص114
		كما وقف البيت العتيق لطائف ... ص115
		أمير جيوش صرت فينا مؤمرا ص117
		تحاط بأبكار الرزايا ص117
-20	غزل	لايوجد
-21	رجز USA	لايوجد
-22	أيها الناس	لايوجد

-23	معين الدمع	لايوجد
-24	شكر	بلادي فلسطين
	مقام عراق	شمالك معتلة واليمين .. ص10
		أيها القارب المتأرجح ذات اليمين وذات الشمال ص10
		تحولها من زئير الصحاري ... ص10
		أنا الليل في النور والنور في الليل ... ص20
		والكل في الجزء والجزء في الكل ... ص20
		أتاني الغزاة إلى منزلي ... ص21
		أرى العراق طويل الليل ... ص22
		يقول إن ليله طال وهو بالعراق بعيد عنها ... ص22
		ليس للبيت كبير معنى ص22
		أرى العراق طويل الليل ... ص23
		أرى العراق طويل الليل ... ص24
		أن من يملك الجنة يعش بين نارين ... ص24
		جعلت الخريطة عجوزا ... ص26
		أي عدوان على جدتك ... ص26
		على قصف الطائرات الأمريكية لبغداد ... ص27
		أنا من أذن تحت القصف فجرا ... ص32
		عنزة تتعثر بين الخرائب ص45
		أصبحنا نلملمه كل عشية ... ص48
		أما ماكان من أمر المندوب السامي ببغداد ... ص60
		هل يسمع الصوت من في مصر والشام ... ص61
		فإن رأيتم خارجا .... في الشارع أو في السجن ... ص66
		يا خاضبا ... ص66
		ستار من الكعبة ... ص67

برز المكان"في دلالاته الوطنية والسياسية عندتميم البرغوثي – في تشكلات مادية ومعنوية- وبالتقريب ووفق مقاربتي النقدية كان أبرزها :

- القدس ومكانتها عند الشاعر

-تجذر البعد العربي في شعر"تميم".

-تجلي الدور العالمي في القضايا المصيرية .

-القدس ومكانتها عند الشاعر:

تقديرا لمكانة القدس في قلب الشاعر ، فإني سأبدأ بها والتي حصدت أكبر حضور للدلالة السياسية والوطنية ، فهاهو يعلن أنها مدينة عظيمة ولكن قانون الأعداء يحجبها عنه :

"مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي وسورها
فقلت في نفسي ربما هي نعمة فماذا ترى في القدس حين تزورها"[1]

وكأنه في حديثه النفسي الداخلي يحاول أن يرضيها لعدم تمكنه من دخول القدس، خوفا عليها من الصدمة المذهلة ، الصدمة النفسية من ردة الفعل تجاه القدس والأمكنة التي تزخر بالذكريات الحزينة والمفرحة ولكنه سيدخلها فيما بعد ليرى جميع المتناقضات فيها فهو القائل بعد ذلك :

في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق[2]

في السطر السابق يشير إلى أن القدس تم اغتصابها من اليهود الذين كانوا شرذمة في البلاد ، فهذا يهودي من الحبشة وفي موقع آخر من البولون ، وفي ذلك إشارة سياسية إلى قضية فلسطين وكيفية التآمر عليها، لدرجة أنه تم عزل بعض المناطق في القدس عن أهلها الأصليين ، كما تم سن قوانين ووضع حواجز تمنع الوصول لمدينة القدس القديمة ذات الأبعاد الدينية والتاريخية بسهولة إلا من يصلون إلى عمر معين يتجاوز ال 50 سنة وفي ذلك يقول :

"في القدس متراس من الإسمنت

في القدس دبَّ الجند منتعلين فوق الغيم"[3]

نستقرئ من السطرين السابقين دلالات الوضع السياسي الذي تعاني منه مدينة القدس فهي محاطة الحواجز الإسمنتية التي لا يستطيع أحد إزالتها بسهولة، وفي تلك الحواجز إشارة للمنع والصد والحجز والإبعاد الداخلي لأهل القدس !!! وليت الأمر قد توقف عند هذا الحدّ بل إن القدس أضحت تغص بالجند المتغطرسين المتأهبين لكل من يحيد عن قوانينهم الاستبدادية فهم ينتعلون الظلم والقهر السياسي فوق سماء الحرية والأمان. كما يشير الشاعر أيضا إلى السياسة الاستعمارية في إقامة مستوطناتهم، إذ أنهم يختارون دائما أعلى المواقع على سفوح الجبال، لضمان

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 7.
[2] – المصدر نفسه ، ص 7.
[3] – نفسه، ص 8.

سيطرتهم الدائمة، ولكنه يفيض بالأمل فجأة:! فهذا واقع مميت قاتل نفسيا وجسديا ولذا وجدناه يقول:

أحسبت أن زيارة ستزيح عن وجه المدينة يابنيَّ

حجاب واقعها السميك لكي ترى فيها هواك"[1]

ويتابع تميم رسم ملامح الوضع السياسي لمدينة القدس ؛فالمدينة ليست ككل المدن العادية ، إنها تعيش زمنين مع شعبين، وأحد هذين الشعبين من لمم شعوب الأرض وفي ذلك يقول الشاعر:

"ياكاتب التاريخ مهلا،

فالمدينة دهرها دهران

دهر أجنبي مطمئن لا يغير خطوه وكأنه يمشي خلال النوم

وهناك دهر ، كامن متلثم يمشي بلا صوت حِذار القوم"[2]

يأتي تميم بتعريف جديد للزمن، هو أقرب إلى دحض الظلم الواقع وإثبات حتمية زواله. فالزمن في ظاهره مؤشر إيجابي لتمكنهم، فقد صارت لهم دولة يصعب على العقل التوصل إلى نتيجة منطقية مخالفة لاستمرار وجودهم. وأما حقيقة الأمر كما يمنطقها الشاعر، فهي أن الزمن الباطن الذي يعد وحداته في هدوء الخفي، ينتهي بزوالهم لا محالة عن أرض المقدسات وفي ذلك إشارة للشعب الفلسطيني صاحب الحق وصاحب الأرض الذي هو دائما في حالة تأهب واستعداد لاسترداد الحق المسلوب. والقدس ليست مدينة عادية فهي مدينة النكبات السياسية قديما وحديثا ولذلك يقول :

في القدس ، رغم تتابع النكبات، ريح براءة في الجوِّ، ريح طفولة ،

فترى الحمام يطير يعلن دولة في الريح بين رصاصتين"[3]

وفي ذلك إشارة إلى قضية الأمن والسلام في أرض لا تنعم بالسلام مادام اليهود فيها يقتلون السلام في البر والبحر والجو ، ولذلك أشار الشاعر إلى الحمام وهو رمز السلام بأنه يحاول إقامة مدينة السلام في الجو ، لكنه للأسف لم يسلم من رصاص المعتدي الغاشم .

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص 8.

[2] – البرغوثي ،تميم: *في القدس*،ص9.

[3] – المصدر نفسه ، ص11.

ولا تتوقف صورة القدس بمعتادها عند هذا الحد ، فالقدس مدينة الجميع ولكن التاريخ المزيف جعل أهلها الأصليين هم الطارئين عليها ، واليهود هم أصحاب الحق وفي ذلك يقول :

"فيها كل من وطئ الثرى

كانوا الهوامش في الكتاب فأصبحوا نص المدينة قبلنا"[1]

وفي مواضع أخرى يرسم لنا تميم بكلماته صورا حزينة لمدينة القدس وأهلها ،صورة النساء اللاتي يلدن ويضعن أطفالهن على الحواجز ، ومنهن من تمت بسبب نقص العناية الطبية وفي ذلك يقول:

إذا وضعت أم طفلها في القدس تلقاها ملائكة وجنود،

وغابت عنها سيارة الإسعاف ، وطاقم التمريض"[2]

وفي القدس تشم كل الروائح ، روائح عطرية تأخذك إلى غابر الزمان ، روائح نار وبارود يحاول فيها اليهود طمس الرائحة الأصلية التي لاتزال تحمل عبق التاريخ وعنوانه ولكن الشاعر يثبت بكلماته أن الروائح العطرية قادرة على إزالة كل آثار الغازات المسيلة للدموع ، وفي ذلك يقول:

في القدس رائحة تلخص بابلا والهند في دكان عطار بخان الزيت

والله رائحة لها لغة ستفهمها إذا أصغيت

وتقول لي إذ يطلقون قنابل الغاز المسيل للدموع علي:" لاتحفل بهم"

وتفوح من بعد انحسار الغاز ، وهي تقول لي : "أرأيت!"[3]

وفي ذلك إشارة لمدى الصمود والصبر والوطنية التي يتحلى بها الشعب الفلسطيني ، ومدى تفوقهم على العنجهية الاسرائيلية التي لاتعرف إلا لغة النار والرصاص والبارود ، وكأن الشاعر يشير إلى أن المقاومة من الشعب الفلسطيني تشمل الصغير والكبير ، الجماد والحي، حتى الروائح

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس*،ص11.

[2] – المصدر نفسه ،ص69.

[3] – نفسه ، ص10.

تقاوم! . لم يكتف تميم بذلك بل أشار إلى الأهوال التي عاناها الشعب الفلسطيني قديما وحديثا وذلك عبر قوله:

في القدس يرتاح التناقض ، والعجائب ليس ينكرها العباد،

كأنها قطع القماش يقلبون قديمها وجديدها ،"[1]

فلكثرة الأهوال والمصائب التي مارسها العدو تجاه أهل فلسطين ، تحولت حياتهم لعجائب وغرائب من القصص الملموسة على كافة المستويات التي سطرها التاريخ ومايزال.

وأمام هذا الوضع السياسي المزري الذي صورّه تميم فإنه لايزال يؤمن بحقه في بلاده حتى وإن دخلها في سيارة أجرة صفراء ؛ لأنه لا يملك الإقامة الدائمة، فيصور هذه المدينة بعدسته السريعة، إنه يصورمشاعر شاعر يحب وطنه دون أن يعيش هذا الوطن أو هذا الواقع المتأزم، فهو يتفاعل معه عبر الصور والمشاهد التي يراها من على شاشات التلفزة العالمية، وهذه انفعالات أقوى من تلك التي تنتاب المرء وهو في غمرة الأحداث ويحس الآلام ويعيش المهالك وأخطار المسالك،فالوطن عند تميم لا يقف عند ماض أو حاضر، بل يمتد ليشمل المستقبل، فهو المتن وهم الحاشية ولذلك ختم قصيدته "في القدس " بهذه القفلة الرائعة:

" واعلم أنه في القدس من... في القدس لكن لا أرى في القدس إلا أنت".[2]

أو كما ختم ديوانا كاملا بقوله: "بلادي فلسطين"[3] .

ولعل أحد الجوانب التي ترتبط بالدلالة السياسية والوطنية والذي أشار إليه "تميم" إشارات متعددة صريحة وضمنية هو:

-تجذر البعد العربي في شعر تميم البرغوثي:

لاينفصل تميم عن وطنه الكبير الوطن العربي ، فهو منهوإحدى جراحاته التي تنزفا ألما ولذلك وجدت أن حضور الهم العربي في تمظهرات المكان وتشكلاته سياسيا ووطنيا كان كبيرا جدا

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص11.

[2] – المصدر نفسه، ص12.

[3] – نفسه ، ص133.

ينافس حضور القدس وفلسطين وطنه الأم ، ولذلك فهو يأمل في حاكم عادل يعينه بنفسه ؛ لأن مشهد الحاكم العادل قد غاب منذ "آدم عليه السلام" :

..... أعين حاكما في البال سائق أجرة أو نادلا في مطعم مثلا،
فإن الحاكمين لهم يدان فقط،وأكثر ظلمهم، ظلم من المحكوم للمحكوم،
بل إني أقول بأنه من عهد آدم لم يكن بين البرايا حاكم أبدا"[1]

وأمنيته لا تتوقف عند هذا الحد ؛ بل يريد أن يعيد ترتيب الخرائط كلها ؛ حتى يرجع الحق لأهله ولذلك يقول في نفس القصيدة السابقة :

وأعيد ترتيب الخرائط ، حيث أجعل سور بغداد عقالا في رؤوس الأكرمين،

ونيل مصر، نهر خيل تحت قوم غاضبين،

وغوطة دمشق تنبت ، في زمان الحرب ، رمحا كي يصون الياسمين

هذي سمائي في يدي"[2]

ويبلغ الخوف على أمته العربية مبلغه عندما يقول :

ياظبيتين من البشر ،أنا منكما ياظبيتان ، إني أخاف عليكما من أمنياتكما

ومن مستقبل سيكون ،كان"[3]

إنه يخشى على أمته ماسيحل بها كما كان خائفا عليها قديما وكأن الخوف من الآتي أصبح من موروثاتنا العربية ، وبالذات المستقبل الذي لاتلوح فيه أية بارقة امل سياسي!! ولاسيما بأنه أصبح لديه قناعة بعدم تحقق أي بشرى يقدمها أصحاب المبادرات ولذلك يقول :

وهناك ما يدعوك دوما للتشكك

في الذين يبشرونك

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ،ص24.
[2] – المصدر نفسه ،ص25.
[3] – نفسه ،ص29.

كم من دعي سوف يزعمأن هذا عرشه

ويقيم دولته علينا"[1]

ويصل تميم إلى حقيقة تثبت أن هذه ليست مزاعم وإنما هي حقائق ولذلك يقول:

ساعتان رمليتان

ويد واضحة جدا

تقلبهما في نفس اللحظة

والرمل داخل الزجاج

صحراء العرب بمن فيها"[2]

لقد ثبت ما كان يخشاه تميم إن هناك أيد خفية تتحكم في مصائرنا وتوقع فيما بيننا ، فنحن مسيرون ، مقهورون ، ، يلعب بنا كما يلعب بالأوراق، لكن الأمل لديه موجود وينبع من أبناء شعبه أولا فهو القائل في أطفال غزة :

إن سار أهلي فالدهر يتبع يشهـــد أحوالهم ويستمـــع

يسير إن ساروا في مظاهرة في الخلف فيه الإقدام والجزع

يأتون من كل قرية زمرا إلى طـــــريق اللـــه ترتفـــــع"[3]

ولعل لبنان ، ومصائب بيروت وبغداد استحوذت على مساحة لابأس بها من سطور الشاعر ولذلك يقول:

سأحمل كيسا من الصوف،

وأمر به على الناس كالشحاذين،

يضع كل منهمفيه شيئا

حذاء قديم ، هندام مقاتل في بيروت ،[4]

بل إن الصورة تتضح أكثر في حديثه المؤلم عن العراق :

"أرى العراق طويل الليل"

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ،ص33.

[2] – المصدر نفسه، ص40.

[3] – نفسه،ص46.

[4] – نفسه، ص68.

قالها جدنا يرثي أميرة من بني حمدان،
يقول إن ليله طال وهو بالعراق بعيد عنها،
فكيف بليل أخيها في حلب،
ليس للبيت كبير معنى، لكن أثقله التاريخ ،"[1]

لقد برز في الأسطر السابقة تكاتف الألم العربي منطلقا من القدس إلى بيروت ثم بغداد معرجا على حلب بسوريا ، خاتما أسطره بأن الوطن العربي ماهو إلا بيت كبير ، ولعل المتتبع للقصيدة التي ذكرت فيها الأبيات سيقف على ملحوظة وهي تكرار عبارة "أرى العراق طويل الليل" لتبين المساحة التي استحوذت عليها العراق في شعر تميم من ناحية ومن ناحية أخرى فداحة الحدث الذي أصاب هذا القطر العربي الشقيق، بل وصل به الحد أن يصفها بالجنة ، والدفاع عنها تارة والتعبير عن فقدانها تارة أخرى .

إنه القائل :

... أن من يملك الجنة يعش بين نارين،
نار الدفاع عنها إن بقيت ،
ونار الندم على خسرانها إن ضاعت؟"[2]

وهذه صورة تحمل التشاؤم والهّم العربي والحزن الذي يستوطن كل نفس عربية بعد هذا الكم الهائل من الهزائم المتتابعة ، حتى غدا الدخان دعاء عابسا :

ديار ببيروت وأخرى ببغداد عـيي بها النـاعي عيي بها الشـادي

لقد كنت أبكي في طلول لأجدادي فأصبحت أبكي في طلول لأحفادي"[3]

لقد بلغ به الحزن أن يبكي أحفاده الذين لم يرهم بعد ، فما أصاب الدول العربية هو مصاب له في الصميم ، لانتميم جزء من هذا الوطن الكبير المثقل بالأعباء السياسية والمواقف الوطنية ولذلك يعلن موقفه من هذا الكل بقوله :

أنا الليل في النور والنور في الليل

والكل في الجزء والجزء في الكل "[4]

---

[1] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص22.
[2] – البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص24.
[3] – المصدر نفسه ، ص77.
[4] – البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص20.

بذلك أكون قد قاربت هذا الجانب من الدلالة السياسية والوطنية التي زخر بها شعر تميم وهي محاولةأعجز فيها عن الإلمام بكل ما هدف إليه الشاعر ، لعمق رؤاه السياسية والوطنية في كل حرف وبين كل سطر وآخر. أصل الآن إلى آخر الجوانب التي ترتبط بالدلالة السياسية والوطنية والذي أشار إليه "تميم" إشارات متعدّدة ضمنية هي :

-تجلي الدور العالمي في القضايا المصيرية:

زخر شعر تميم بالدلالات السياسية والوطنية التي تشير إلى الدور العالمي في تحديد مصير الشعوب العربية ، ولعلها – في تقديري -كانت ضمنية أكثر منها صريحة لأسباب عدة تخص الشاعر ، ولقد تمظهرت في شكلين رئيسين هما :

1-الشكل المعادي للدول العربية والذي بيده مؤشر تحريك الأمور السياسية.
2- الشكل الإسلامي المساند والمعاضد للدول العربية .

أما بالنسبة للشكل الأول وهو المعتدي الآثم فهو يتضح في الدول الاستعمارية الأولى ممثلة في أمريكا وبريطانيا ودولة إسرائيل وفي هذا يقول "تميم":

أرى العراق طويل الليل
نام جدي أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي
على قصف الطائرات الأمريكية لبغداد"[1]

لقد اختصر تميم في الأسطر السابقة ليل العراق الطويل بما فعلته الولايات الأمريكية فيهفلقد أبادت أمريكا أجيالا فوق الأرض وتحتها ، ولايقتصر الأمر على أمريكا في دورها العدائي بل يمتد إلى راعي الإبادة الأكبر " بريطانيا " التي آثر أن يُكني عنها تميم بالمندوب السامي وفي ذلك يقول :

أما ماكان من أمر المندوب السامي ببغداد

فما إن علم لديه

أن أحد أهلها كان يخفي الحقَّ في عباءته

حتى أصدر مذكرة بالقبض عليه"[2]

[1] – البرغوثي ،تميم:*مقام عراق* ،ص27.
[2] – المصدر نفسه ، ص60.

إذ تعد بريطانيا هي اليد الأولى لأمريكا وإسرائيل ، واستخدام تميم للفظة "المندوب السامي" إشارة لتجدد المصائب السياسية التي على شاكلة " مصيبة فلسطين بدءا من 1917 وإلى الآن، حيث أصبح لدينا فلسطين أخرى، ولكن بأيدي أهلها وهي " العراق" ، أما الإشارة التي تخص الكيان الاسرائيلي والتي ذكرها الشاعر ضمنا في قصيدة " لا شيء جذريا " فيتضح في قوله :

لا شيء جذريا

سيولد دين جديد ، كالعادة بين الفرات والنيل

وكالعادة أيضا ، فإن نظام داود العسكري سيزول"[1]

أما فيما يختص بالشكل الاسلامي المساند والمعاضد للدول العربية فهذا يتضح في قوله عن موقف تركيا :" أتظن تركيا ستعلن عن دخول الحرب مع ألمانيا"

"هل يدخلون دمشق"؟

هل سترد أنطاكية الإفرنج أم يصلون حتى القدس؟"[2]

إلى هنا أصل لنهاية البحث في تشكل وتمظهر الدلالة السياسية والوطنية في شعر تميم البرغوثي ، ولقد كان هذا غيض من فيض ، لأن شعر تميم يحمل في داخل الدلالات دلالات أخرى لاتحتويهاالصفحات التي بين أيدينا ؛ لأن تميم يتحدث بلسان أمة عربية وبضمير إسلامي حر شريف ، ويبقى الأمل الذي يراودنا من حين إلى حين ، ولعل هذه الدلالة قد تضافرت مع سابقتها وستتضافر مع لاحقتها ، فأنا أبحث في نص كامل متكامل يفضي جزؤه إلى كله وكله يتكون من جزئه .

رابعا : البعد التاريخي والديني

يعد النص الشعري وليد جدلية التاريخ والدين – في أغلب الأحايين- ينطلق منهما ليعبر عنهما وينشئ الجديد في كنفهما ؛ ولذلك فإن كل نص يسعى إلى الارتباط بالجذور والارتكاز على الماضي والحاضر إنما هو تأسيس لميلاد شرعي لنص جديد سيجد نفسه على الساحة الأدبية ، فمرجعية الشعر هي مرجعية المكان الذي ولد فيه ذاك النص الشعري.إن العودة إلى التاريخ ليس معناه اجترار الماضي وإعادة كتابته مرة ثانية ؛بل هو إعادة قراءة التاريخ والواقع وفق رؤية حداثية

[1] – البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص51.

[2] – المصدر نفسه ، ص64-65.

يؤمن بها الشاعر وتنسجم مع روح العصر الذي نعيش فيه.، فيكون هذا التداخل بين اللغة والتاريخ والدين ؛لإنتاج نصي جديد نتجاوز فيه الماضي لنؤسس للمستقبل القادم. "وتميم" من أكثر الشعراء الذين يحتاجون إلى الاستعانة بالماضي والدين معا ؛ لأنه فاقد ، فاقد للوطن ، لديه إحساس بالضياع ، والقهر ، والظلم ، والتغريب والاغتراب معا ؛ ولذا كان لابد له من التشبث بالجذور القديمة لإثبات أحقيته في المسلوب منه هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن كل مكان يحمل تاريخا ، فكان لابد له من الخروج من دائرة الزمن الحالي إلى الزمن السابق ثم العودة إليها مجددا ولكن بروح عالية وأسلحة لغوية تجعل المنتج الأدبي يفوق التوقعات.

قمت بحصر المكان الذي يحمل الدلالة الدينية والتاريخية- بالتقريب وليس بالقطع-وفق الجدول الآتي :

الرقم	عنوان القصيدة	الشطر/ السطر/ الشعري / الصفحة
-1	في القدس	في القدس توراة وكهل ص7
		حائط المبكى ص7
		فالمدينة دهرها دهران ص9
		كل شيء في المدينة ذو لسان ص9
		في القدس أبنية حجارتها ص9
		ونوافذ تعلو المساجد ص10
		في القدس مدرسة ص10
		أصفهان ... بغداد... ص10
		في القدس رائحة تلخص بابلا ...ص10
		في القدس تنتظم القبور ...ص11
		في القدس تقبل من أتاها كافر ص11
-2	في الجليل	من القصص المحكي فوق المنابر ص13
		إذا حاصرت جسم الجليل غزاته ص13
		أو ملون من حول بيت حرام ص14
		وفي وسط الشام تاريخنا ص15
		ورب سيوف معلقة ص15
		وتاريخنا ألف عام ص15
		جليل هو الولد الناصري ص17
		ويسير إلى القدس مستشهداص17

-3	أنا لي سماء كالسماء	في مصر أو في الشام أو في ذلك البلد ص25
		وأعيد ترتيب الخرائط ... ص25
		ونيل مصر ، نهر خيل تحت قوم غاضبين ... ص25
		وغوطة بدمشق تنبت .... في زمان الحرب ص25
-4	ياهيبة العرش الخلي من الملوك	أبصرت في احد المتاحف ...ص27
		أظن صدر كنيسة ... ص27
		عرشا كبيرا خاليا.... ص27
		ورأيت أن العرش أجمل وهو خال ص28
		ياأيها الطفل الذي من بيت لحم ... ص35
-5	حديث الكساء	تتصل السطور وتتلوى ص39
		بين محيطين وسبعة أبحر ... 39
		شيوخ الدين يبنون المساجد ص42
-6	الموت فينا والفزع فيهم	سيروا بها وانظروا مساجدها ص47
-7	لاشيء جذريا	سيولد دين جديد بين الفرات والنيل ... ص51
		... يواصل الحمام كذبه على أسطول نوح ... ص51
		فإن الحيوان المتهادن على السفينة ... ص52
-8	تقول الحمامة للعنكبوت	تقول الحمامة للعنكبوت ص53
		وفي الغار شيخان لا تعلمين ... ص53
		سنبني المآذن في المشرقين ص53
		لقد كان في الغار وعد بأن السماء ... ص54
		لقد كان في الغار دنيا من الصين ... ص54
		بسط الجوامع .... أيالمصاحف أضرحة الصالحين ص54
		في زمان مضى حل في غارنا ص57
-9	أمر طبيعي	أرى أمة في الغار بعد محمد ... ص59
		فلن تحرس الغار الجديد حمامة ... ص59
		وجبريل يأتي الغار كل عشية ... ص59
		يا أمتي ياظبية في الغار تسألني وتلحف ص61
-10	القهوة	عنده أيد كأيدي آلهات الهند ... ص63
		مزيج من ترتيل المعابد ، أو جدال مجامع ص64

		علام تظن أن قريشا اجتمعت بدار الندوة ص65
-11	خط على القبر المؤقت	ماضي المدينة صدى حول حاضرها ... ص69
		سؤال الصحفي ، إلى أين تذهبون ص69
		إذا وضعت أم طفلها في القدس ص69
		ماضي المدينة صدى ص70
-12	أمير المؤمنين	ليس بيني وبين الجنات إلا هذه التمرات ص81
		يرى نفسه من مكة ص81
		وتنقش في جدرانها كل آية ص81
-13	سفينة نوح	حمام البروج يصلي عليك ص83
		يصلي عليك هواء البلاد ص84
		حين رأوا جنة خلف هذا الحريق ص84
		فأنت كريم الأصل .... وأنت الرضا من آل بيت محمد ... ص88
		ومن أمة الزهراء ص88
		وأنت سلكت الوعر بالناس هاديا... ص88
		وصار الكساء سفينة نوح ص88
-14	الأمر	الخيل تركض في الشوارع
-15	ابن مريم	ولكنها عند نافذة يلمع القبر من تحتها .... ص 94
-16	حصافة	لايوجد
-17	قفي ساعة	إذا ما أضعنا شامها وعراقها ص98
-18	قبلي ما بين عينيا اعتذارا ياسماء	.... صار نقشا في أفاريز الجوامع ص100
		لم نكن ندعو ص102
		نحن للصلب وأنتم للقيامة ... ص103
		لم سيجل في الأناجيل اسم أبله .. ص103
		لم نطرد من الهيكل تجار الفضيلة ص103
		ياسماء أبلغي في ليلة الاسراء ص104
		ليلة المعراج في المحراب ... ص104
		اعذرونا لو دخلنا في صفوف الخاشعين ص104
-19	تخميس على قدر أهل العزم	وياقلعة حاولت بالروح صونها .... هل الحدث الحمراء ص112
		وقلعتنا أم الزمان بطوله ...ص112
		وقلعتنا في ملتقى ... ص113

		بناها ابن عبدالله حصنا ... ص113
		فأين رسول الله ماقد وعدتها ص113
		فأصبح همي يا محمد ... ص114
		محمد أدركنا ... ص114
		أباها رسول الله كنت ... ص114
		أتوا في زمان مايقر قراره ص115
		كما وقف البيت العتيق لطائف ص115
		أمير جيوش صرت فينا مؤمرا ص117
		تحاط بأبكار الرزايا ص117
		وفيك ابن حمدان وفي الناس شيعة ص119
		رسولك فانصرني إلى أن أبلغا ص119
		سلام على من كان يتبع الهدى ص119
		أرى فيك راوي سيرة شام مشعلا ص120
		فيشيخنا ياشاهدا كل كربلا ص120
-20	غزل	يطير حمام بيت الله نحوي ص121
		هواها معرب لغة الليالي ... ص122
		هواها كعبة والكون وفد ... ص122
-21	رجز	في يدها اليمنى رحيق العنب ص126
		وفي اليد اليسرى دماء العرب ... ص126
-22	أيها الناس	لا يوجد
-23	معين الدمع	ملأنا البر من قتلى كرام ص126
-24	شكر	لا يوجد
	مقام عراق	هذي المصيبة لا يرقى الحداد لها..... ص9
		ياحبيب النبي ... ص11
		ويا من أضأت الطريق لجبريل ص11
		تمسكه من يديه لغار حراء ص11
		وسيوف قريش بأغمادها ... ص12
		ويامن هديت الحمامة ص12
		دون أي مكان سواه ... ص12
		ثم أنت الذي نام بين المقابر.... ص14

		ياهلالا تنزل من أفقه ص15
		غرة في جبين البراق ص15
		هل سألت وأنت تعد خطانا من الهجرة النبوية ص15
		قالها جدنا يرثي أميرة من بني حمدان ... ص22
		فكيف بليل أخيها في حلب ... ص22
		حي المآذن تحت القصف تبتهل ص27
		والشمس تاريخنا إذ لا مجاز ص29
		وترحم الناس من دنيا معاوية .... ص 29
		يا من بكوا ظلم من في كربلا... ص30
		أنا من أذن في غير الأوان ....ص 31
		أنا من أذن تحت القصف فجرا ... ص32
		فاسأل المساجد تعلم ص34
		ياراية الإنس في الصحراء ص35
		ياأيها العارف الصوفي ... ص36
		ياطيف ليلى دنا... ص36
		روحي فدا لسقاة النخل من مضر ص45
		تقول نخل العراق الحق ذو غرر.... ص45
		وتبحث في ماتبقى من المتحف الوطني ببغداد ... ص46
		عشبة في الخراب توثقه ص47
		بالكرخ من فلك الأزرار ... ص59
		ومراوحة الشعراء يفاصلون التاريخ ص60
		هل يسمع الصوت من في مصر والشام ص61
		أتطلب تحت صومعة ملاذا..... ص64
		ياخاضبا لا بحناء ولا طيب ... ص66
		كساء النبي يضم الجميع ص67
		ستار من الكعبة .. ص67
		أنا سليمان واحبابي بلاقيس ... 69
		إذا ماكنت عالمة فقولي ص71
		رأيت زينب في أصفادها ص73

		إن الحسين عراق... ص73
		العراق حسين متجسد ... ص74
		عراقي والدهر من آل أمية ... ص74
		قدم الفرزدق ص74

يمكن معالجة الدلالتين التاريخية والدينية انطلاقا مما سبق على النحو الآتي:

-القدس تاريخ وأصالة ، دين ودنيا.

-الاتساق الديني بين الديانات الثلاث .

-دلالات الرموز الدينية في النصوص الشعرية.

-الترابط التاريخي بين الدول .

-القدس تاريخ وأصالة ، دين ودنيا: تشكل القدس خلفية مهمة لدى الشاعر لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية ،و تميم عندما يتناول تلك الدلالات كلها إنما يهدف من وجهة نظري إلى إبقاء القارئ مرتبطا بتاريخه المجيد وحضارته الرائعة وحافزا قابلا للتجدد مرة ثانية ومن أمثلة ذلك:

" في القدس بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته يفكر في قضاء إجازة أو طلاء البيت

في القدس ، توراة وكهل جاء من منهاتن العليا يفقه فتية البولون في أحكامها

في القدس أسوار من الريحان "[1]

صورت الأسطر السابقةمدى تنوع صور الحياة اليومية في مدينة القدس وكأننا أمام شاشة فضائية تحكي لنا العالم بكل ألوانه، بل أنه استنهض فيها صورة التراث الأصيل عبر العبق الطيب الذي يخرج من أسوارها والتذكير بأصالتها وجذورها الضاربة في التاريخ،وهي ليست كذلك فحسب بل هي – القدس- صاحبة تاريخ طويل وأزمنة ملونة بتلون أهلها ولكنها ثابتة في أنها عريقة بعراقة أهلها الأصليين، إذ يقول الشاعر :

[1]-البرغوثي ،تميم: *في القدس*، ص7-8.

ياكاتب التاريخ مهلا،

فالمدينة دهرها دهران"[1]

يخاطب الشاعر التاريخ ويطالبه أن يتمهل في كتابة الحقائق حتى لاتكون مزيفة ، فهناك حقيقة كبرى وهي ، أن أصحابها مازالوا فيها يعملون ويسكنون ويتشبثون بها .

والقدس تعرف نفسها،فاسأل هناك الخلق يدلّك الجميع
فكل شيء في المدينة
ذو لسان ،حين تسأله، يبين"[2]

لقد أراد الشاعر إثبات أن كل مافي القدس من تاريخ وعبق وزمن مديد هو عربي فلسطيني ،فكل مافي القدس ينطق بهذه العروبة وبهذا يدحض كل المزاعم اليهودية التي تنسب القدس إليهم.وتتضح الصورة أكثر عندما يتعانق التاريخ مع الدين في هذه المدينة المقدسة إذ يقول الشاعر:
في القدس أبنية حجارتها اقتباسات من الإنجيل والقرآن"[3]

وكأنه يريد أن يضع حقيقة القدس التاريخية والدينية أمام أعين كل من يشكك في عروبتها وقدسيتها ومكانتها عند المسلمين؛ بل إن هذه الصورة تكتمل أكثر في قول الشاعر :
في القدس أعمدة الرخام الداكنات
كأن تعريق الرخام دخان"[4]

إذ تكشف الصورة السابقة عن واقع المدينة المقدسة، إذ أنه بالرغم من قدم هذه الأعمدة إلا أنها لاتزال تحتفظ برونقها وأصالتها وعروبتها الإسلامية. ولم يكتف تميم بذلك بل جعل القدس نقط ارتكاز العالم الخارجي بأسره ، إذ ألغى كافة الحدود الجغرافية لدرجة أنها مدينة لاتنام فهي ذات حركة مكوكية وفي ذلك يقول :
في القدس مدرسة لمملوك أتى مما وراء النهر،
باعوه بسوق نخاسة في أصفهان
لتاجر من أهل بغداد أتى حلبا فخاف أميرها من زرقة في عينه اليسرى ،

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص9.
[2]- المصدر نفسه ،والصفحة ذاتها.
[3]-المصدر نفسه ،والصفحة ذاتها.
[4]-المصدر نفسه، ص10.

فأعطاه لقافلة أتت مصرا ، فأصبح بعد بضع سنين غلاب المغول وصاحب السلطان"[1]

نلحظ في الأسطر السابقة وثيقة تاريخية دينية بحتة ، إذ ذكر الشاعر قصة " الظاهر بيبرس" الملك المملوك الذي بيع في سوق النخاسة ليصبح فيما بعد ملك "مصر" وصاحب الفضل في المحافظة على القدس في يوم من الأيام ، وكأنه يشير خفيا للاسرائليين بأن تاريخنا ليس مزيفا مذكرا إياهم بأن المماليك المسلمين قد مروا من هنا وحافظوا على قدسنا ، فهي متوارثة عبر الأجيال ، هذه الوثائق تكتمل بكل موجودات الحياة ، جمادها وحيها حتى كلامها الموزون والمنثور ينطق بتلك التاريخية والدينية فهو القائل :

في القدس لو صافحت شيخا أو لمست بناية

لوجدت منقوشا على كفيك نص قصيدة

ياابن الكرام أو اثنتين"[2]

إن مجرد مصافحة شيخ عجوز أو ملامسة لبناية فهذا بحد ذاته دليل على عراقة هذه المدينة العظيمة ذات الأوشاج الضاربة في جذور التاريخ بعمق وأصالة وكرامة ما بعدها كرامة. وتبلغ عظمة هذه المدينة عندما تكون مدينة الجميع دون استثناء وفي هذا يقول تميم:

في القدس تنتظم القبور كأنهن سطور تاريخ المدينة والكتاب ترابها

الكل مروا من هنا

فالقدس تقبل من أتاها كافرا أو مؤمنا

أمرر بها واقرأ شواهدها بكل لغات أهل الأرض

فيها الزنج والإفرنج والقفجاقوالصقلاب والبشناق والتاتار والأتراك أهل الله والهُلاك والفقراء

والملاك والفجار والنساك

فيها كل من وطئ الثرى"[3]

يبرهن الشاعرفي المقطع السابق وبقوة على أحقية العرب والمسلمين في هذه المدينة ، عبر ذكره لجميع الأمم التي مرت من هنا وهاهي القبور شاهدة على ذلك ، فهذه المدينة كريمة تقبل كل

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس*،ص10.

[2]- المصدر نفسه ، ص11.

[3]- المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

من وطئها سواء كان كافرا أو مسلما وتحترمه وتحترم كرامته وإنسانيته ، لكن وجدت أن الشاعر لم يذكر – اليهود- وكأنه يريد أن يبلغنا رسالة بأن هؤلاء لاوجود لهم وبالتالي لاحق لهم في القدس كما يدعون. لم يكتف تميم بإثبات عروبة القدس فقط إنما القدس وما حولها ولذلك وجدناه يعرج على الجليل ، وما أدراكم ما الجليل في رائعة شعرية استطاع فيها بالدين والتاريخ وضع أدلة ثبوتية للعالم بأن فلسطين ومافيها ملك للفلسطينيين أولا وللعرب والمسلمين ثانيا ، عاقدا بينه وبين التاريخ وبين كتاب الله ميثاقا غليظا يربط فيه بين الثلاثة برباط وثيق ، وكأن التاريخ والدين والقدس يتداخلون مع بعضهم البعض في علاقة تجذرت منذ قديم الزمان وفي ذلك يقول:

جليل هو النص ينذر أعداءنا بالزوال وسوء الوجوه
ويعلمنا أننا سنجوس خلال الديار
هو الوشم في اليد يحبط كل محاولة للتناسي
وكالواجب الأبدي اللحوح يطالبنا بالأمل
وجليل هو الصوت يمتد بالردّة الجبلية فصحى
تشكلها الريح دارجة فتزيد فصاحتها
وتحملها برذاذ خفيف ورعد خفي
جليل لعمري
مقالي: "لعمري"
وتشديدي الياء في لفظة العربي
وجليل هو الولد الناصري الذي يرتقي كل يوٍ صليبا
فيحمله، لا أحدد من منهما يحملُ الآن صاحبه
ويسير إلى القدس مستشهدا حافيا
ويحسبه الناس جغرافيا"[1]

لقد دلل تميم بالدين الممثل بالقرآن على أحقية المسلمين بالقدس وذلك عبر التناص مع القرآن في سورة الإسراء ، إذ سيجوس المسلمون خلال الديار ليلحقوا الهزيمة والذل بهم وهذا أمر واقع لامحالة منه كالوشم في اليد ، وبذلك يقدم "تميم " عبر هذه الصورة دليلا قطعيا على جناحي الأمل بأن الفلسطينيين سينتصرون بأمر الله وأمر التاريخ عبر صورة " المسيح" الذي وصل إلى فلسطين حافيا ليستشهد فيها ، فأرض الجليل ليست مجرد جغرافيا إنها دين وتاريخ وزمن وعوالم وحقب تاريخية ضمت بين دفتيها ميلاد وموت الأنبياء الصالحين . هذا التناص التاريخي الديني نجده

[1]-البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص17.

في قصيدة أخرى بعنوان " قبلي مابين عينيا اعتذارا ياسماء" وذلك عندما تحدث عن حادثة الاسراء والمعراج قائلا:

يا سماء
أبلغي في ليلة الإسراء من بالمسجد الأقصى يصلي
من نبي أو إمام
اسمعوا يا من عليهم صلوات الله سرب من حمام
وأذان في الأعالي يتردد
بينكم من كلم الله جهارا
والذي لم يصل نارا
والذي عن أمره عمّرت الجنان دارا
والذي يحيا مدى الدهر سرارا
حاضرا أو غائبا يبدو ويستخفي مرارا
والذي قد أتعب الناس انتظارا
ليلة المعراج في المحراب من خلف محمد"[1]

وكأن تميم عبر الأسطر السابقة يرسم لوحة فنية بحروفه بدأها بالإسراء وأنهاها بالمعراج ، وذلك عندما يصلي الأنبياء خلف _ محمد صلى الله عليه وسلم_ ، إنها صورة تثبت حق المسلمين في القدس دون تمييز وفق ما ذكر في القرآن .

وأخيرا من وجهة نظري فإن تميم وفق تلك المقاربات السابقة لايرثي القدس، بل يثبت أحقية العرب والمسلمين فيها ، ويقر بأهمية إعادة ماسلب لأهله حتى وإن طال الزمن ، وكان القدس بحجارتها العتيقة ، ورائحة أسواقها الكريمة ، وبقايا ترابها الندي، هي الوثيقة الحقيقية التي تثبت حق الفلسطينيين فيها أولا والعرب والمسلمين ثانيا ، فالقدس بكل جماداتها وأحيائها هوية تاريخية دينية مادية معنوية ماثلة للعيان أمام التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله.

والحديث عن القدس يحملني لجانب آخر تمظهر في الدلالة الدينية والتاريخية ولا يمكن أن ينفصل عن سابقه ألا وهو :

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس*، ص104.

-الاتساق الديني بين الديانات الثلاث:

بدا الاتساق الديني جليا وواضحا في شعر تميم البرغوثي ، وكأنه بذلك يريد القول بأن القدس مدينة لاتعرف الطائفية أو العنصرية الدينية التي بدت تتشكل في العصر الحديث ، فهي مدينة السلام ، مدينة القرآن والتوراة والإنجيل ، مدينة المساجد والصوامع والكنائس يقول:

في القدس ، توراة وكهل،

ونوافذ تعلو المساجد والكنائس"[1]

فالقدس مدين لموسى(عليه السلام) بتوراته ومحمد(صلى الله عليه وسلم) بمساجده وعيسى (عليه السلام) بكنائسه ، وفي ذلك إشارة للاتساق الديني والوئام بين جميع من سكن القدس وحل بها لأنها :تقبل من أتاها كافرا أو مؤمنا"[2] ولكنها لاتقبل اليهود والاسرائليين.والأمر لايتوقف عند ذلك فحسب بل تجلت الدلالة التاريخية والدينية في موجودات المكان الداخلي ، فهاهي المنابر تحكي قصص مرج "ابن عامر :

يمر بنا اسم المرج مرج ابن عامر فنطرب لاسم المرج ، مرج ابن عامر

ونشرد حتى نحسب المرج قصة من القصص المحكي فوق المنـــابر"[3]

حتى المتاحف تحكي تلك القصص العظيمة ولكنها تحكيها من جانب الأخ المسيحي وفي ذلك يقول :

أبصرت في أحد المتاحف مرة

منحوتة من أول العصر الوسيط

أظن صدر كنيسة أو مذبحا"[4]

إنه يرجع سرد القصص للعصر الوسيط ، عصر القدم والبعد التاريخي ، وكله محفوظ وموجود في القدس العتيقة ؛ بل لايكتفي بذلك فقط ، إنه يأتي ببلد المسيح شاهدا على المكان ودالا على أهميته قائلا عن المسيح الذي ينتسب إلى " بيت لحم":

ياأيها الطفل الذي من بيت لحم

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص10.

[2]- المصدر نفسه ، ص11.

[3]- نفسه، ص13.

[4]-نفسه ، ص27.

لاتظن بأنهم يبغون عودتك الجليلة ها هنا

والله لو علموا بأنك قادم حقا

لخاضوا ألف حرب مرة

ليؤجلوك"[1]

تؤكد الأسطر السابقة أن اليهود شعب لايريد أحدا بعكس القدس التي تسعى للسلام دائما وأبدا فهي مدينة السلام . والقدس بكل ما مر بها ستحافظ على كيانها وعراقتها ومكانتها ، ستبقى مدينة الجميع وفي ذلك يشير تميم في رائعته " تقول الحمامة للعنكبوت" وهي قصيدة تشكل تناصا كاملا مع الدين أولا والتاريخ ثانيا ، لدرجة أني لم أستطع أن أستثني منها بعض الأبيات أو السطور لمقاربتها كدليل مفرد ؛ لأنها كلها تحمل تمثلات الدلالة التاريخية والدينية بوضوح ومن ذلك قوله :

تقول الحمامة للعنكبوت أخـي تذكــرتني أم نســيت

عشية ضاقت عليَ السماء فقلت على الرحب في الغار بيتي

سنبني المآذن في المشرقين بخيط رفيع وخبز فتيت"[2]

بل إن تميم لم يكتف بذلك ، فلقد جعل من التاريخ إنسيا يأكل ويشرب معنا وفي ذلك إشارة إلى اتحاد الإنسان بمكانه في تغلغل واضح للتاريخ في أدق دقائق حياتنا وهذا يتضح في قوله:

صبي لعمك يانوار القهوة

لاتستحي من عمك التاريخ

عنده أيد كأيدي آلهات الهند ، لاتحصى

لاصوت يسمع حين ينطق

بل مقاطع من شرائط سجلت عبر العصور وعولجت من بعد رقميا

مزيج من تراتيل المعابد أو جدال مجامع كنيسة"[3]

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص35.

[2]- المصدر نفسه ، ص53.

[3]- نفسه ، ص64.

إنه يشير إشارة صريحة إلى أن التاريخ الذي يكتب بأيدي الفاسدين لايوثق به ، لكن للأسف حتى وإن كان التاريخ فاسدا فإن موجودات الحياة ستبقي شاهدة على الحقيقة التي لايغفلها أحد.إن الشاهد هنا يتمثل في أن سطور تميم تحمل كافة الدلالات الدينية والتاريخية عبر مر العصور.

أختم هذا الجانب بتلك السطور التي لخص فيها "تميم" التقارب الديني والتسامح الطائفي بين الديانات الثلاث في قصيدته: قبلي مابين عينينا اعتذارا ياسماء

يا سماء
ما البطولة؟
حفرة تحت علامة؟
لا نريد المجد خلف الموت حتى لا ولا المجد أمامه
نحن لسنا أولياء
ما كرامات أردنا بل كرامة
لم نكن ندعو لدين أو إمامة
أو كتاب يزعج الكهان يوم السبت
لم نطرد من الهيكل تجار الفضيلة
نحن لسنا مسحاء
نحن كنا ليلة الصلب ندق الكف فوق الكف
لم نقل للروم حرفا
وبكينا في مسيح الله ألفا لا نبيا
غير أنا في بطون الأسد بتنا
لم نحد عن دينه حين امتحنا
وعرفنا دقة المسمارِ في الكفين مثله
ثم لا نطلب أن يأتي إلينا ملك
يخرجنا من ظلمة القبر بهالات الضياء
أن فرزنا نحن للصلب وأنتم للقيامة
لم نؤله
لم يسجل في الأناجيل اسم أبله"[1]

[1]-البرغوثي ،تميم، *في القدس*، ص103.

لقد لخص تميم في الأسطر السابقة مدى التسامح الديني عبر كلماته وأماكنه التي تمظهر فيها بكافة الأشكال والصور المسجد والجامع والكنيسة وغيرها . ومما يتصل بهذا الجانب الذي أقارب فيه الدلالة الدينية والتاريخية مقاربة سمحت بتشكلات عدة قاربت بعضها و أكمل منها :

- دلالات الرموز الدينية في النصوص الشعرية:

غصت النصوص الشعرية عند تميم بالرموز الدينية التي تحمل توجهات فكرية وسياسية ترتبط بمكانه بصورة أو أخرى ، بعضها رموز دينية وبعضها تاريخي ، من الرموز الدينية التي تداخلت مع التاريخي ما يأتي:

-حائط المبكى : وفيه يقول :

في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق
رشاش على مستوطن لم يبلغ العشرين
قبعة تحيي حائط المبكى"[1]

-بيت لحم : وفيه يقول :

ياأيها الطفل الذي من بيت لحم"[2]

-سفينة نوح : وفيها يقول:

يواصل الحمام كذبه على أسطول نوح"[3]

-غار حراء : وفيه يقول :

وفي الغار شيخان لاتعلمين حميتهما يومها أم حميت"[4]

-الحمامة والعنكبوت : وفيهما يقول:

تقول الحمامة للعنكبوت أخي تذكرتني أم نسيت"[5]

-محمد عليه الصلاة والسلام : وفيه يقول:

أرى أمة في الغار بعد محمد تعود إليه حين يَفْدَحُهَا الأمر"[6]

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس*، ص7.
[2]-المصدر نفسه ،ص35.
[3]- نفسه ، ص51.
[4]- نفسه، ص53.
[5]- المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها.
[6]- نفسه ، ص59.

-جبريل عليه السلام : وفيه يقول :

وجبريل يأتي الغار كل عشية ويذهب والغافون في الغار لم يدروا[1]

-الإسراء والمعراج : وفيه يقول :

أبلغي في ليلة الاسراء من بالمسجد الأقصى يصلي

ليلة المعراج في المحراب من خلف محمد"[2]

-الكعبة : وفيها يقول:

كما وقف البيت العتيق لطائف وقفت ومافي الموت شك لواقف"[3]

هواها كعبة والكون وفد له لجب وتلبية تدوي "[4]

-مدن دينية بخلاف القدس مثل : كربلاء : وفيها يقول :

فيا شيخنا ياشاهدا كل كربلاء هنيئا لضرب الهام والمجد والعلا"[5]

-البراق : وفيه يقول :

ياهلالا تنزل من أفقه

غرة في جبين البراق"[6]

فيما سبق حصر لمعظم الرموز الدينية والتاريخية التي تمت مقاربتها سابقا في تمظهرات الدلالة التاريخية والدينية ، ولن أعيد التفصيل فيها بل، سأعرج على سؤال قد تم طرحه على "تميم" في مقابلة تلفزيونية على قناة الميادين عبر برنامج موسوم ب" بيت القصيد" من إعداد وتقديم أستاذ زاهي وهبة حيث سأل الشاعر تميم البرغوثي : "مادلالة تضمين كثير من المصطلحات الدينية لدى تميم البرغوثي هل هو متعمد أم طبيعي؟ فأجاب تميم : إنه ليس متعمدا ، فالمصطلح

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص59.

[2]- المصدر نفسه ، ص104.

[3]- نفسه، ص115.

[4]-نفسه، ص122.

[5]- نفسه، ص120.

[6]- البرغوثي ،تميم: *مقام عراق*، ص15.

الديني جزء من اللغة اليومية ، وأنا قضيت عمري كله ونشأت في مصر ، فاللغة الدينية دارجة في الكلام العادي مثل : إن شاء الله ، ربنا يكرمك... ."[1] إن أغلب المقاربات التي قدمتها في الدلالة التاريخية والدينية إنما هي حصيلة علاقة المثاقفة بين الدين والتاريخ والذات المبدعة ولذلك وجدت أن المكان سواء كان تاريخيا أم دينيا فإنه يحمل ثيمات رمزية وانعكاسات لنفس الأديب ورؤاه وموروثاته الثقافية ، والحاصل عند تميم أنه تجاوز كل تلك الثيمات حتى أنه ألغى جميع الحدود الجغرافية في تجلي الدلالات المكانية عنده إذ عمل على تثبيت العلائق التاريخية بين المدن العربية وغير العربية وجعل من القدس الرابط الأول ونقطة الارتكاز المحورية مع تأكيده على الشراكة التاريخية بين هذه الدول عبر :

-الترابط التاريخي بين الدول:

وهوآخر جانب من تمظهرات الدلالة التاريخية والدينيةوالذي سأستعرض فيه الترابط التاريخي بين الدول وذلك عبر قول الشاعر:

في القدس مدرسة لمملوك أتى مما وراء النهر،
باعوه بسوق نخاسة في أصفهان
لتاجر من أهل بغداد أتى حلبا فخاف أميرها من زرقة في عينه اليسرى ،
فأعطاه لقافلة أتت مصرا ، فأصبح بعد بضع سنين غلاب المغول وصاحب السلطان"[2]

إن تلك السطور السابقة تبين المكانة التاريخية للقدس فهي طريق تجاري كبير وممر لايمكن التغافل عنه وهذا إشارة إلى أن عراقة هذا المكان لم تكن حديثة العهد بل هي من أيام المماليك وغيرهم ،وإذا كان هذا الترابط على مستوى الدول غير العربية وغير الاسلامية ، فما بالنا عندما يقول تميم :

وفي وسط الشام لفظ الجلالة ياسيدي قابل للزراعة
وفي وسط الشام تاريخنا"[3]
ويطاف في الأسواق بابن العلقمي
في مصر أو في الشام أو في ذلك البلد المخضب والمجيد"[4]

---

[1]-حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيدوالرابط:https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw

[2]- البرغوثي ،تميم: *في القدس* ، ص10.

[3]- المصدر نفسه، ص14-15.

[4]- نفسه، ص25.

إذا ما أضعنا شامها وعراقها فتلك من البيت الحرام مداخله"[1]

أرى العراق طويل الليل

قالها جدنا يرثي أميرة من بني حمدان ،

يقول إن ليله طال وهو بالعراق بعيد عنها

فكيف بليل أخيها في حلب ،

ليس للبيت كبير معنى ، لكن أثقله التاريخ."[2]

بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه"[3]

هل يسمع الصوت من في مصر والشام إن أصح الجراح الظاهر الدامي"[4]

إن المتتبع للأسطر والأبيات السابقة يجد أن "تميم" حمل في قلبه جرحا عربيا نازفا ، استطاع أن يبرز فيه قيمة مكانه الشعري من مشرق وطنه إلى مغربه ثم عودا على وطنه الأم ، إذ تركز العذاب النفسي في قطرين عربيين شقيقين هما " الشام والعراق "وتأتي مصر بعدهما ، وفي ذلك إشارة تاريخية دينية كبيرة إلى أن مركز القوى وثقلها العربي والاسلامي يتمركز في هاتين الدولتين نظرا لعراقتهما من قبل ظهور الاسلام إذ كان الفرس في العراق، والروم بلاد الشام ، وبقيت هذه العراقة التاريخية والتمثلات الدينية لهذه الدول حتى بعد الاسلام ، لنجد بني أمية في بلاد الشام وبني العباس في العراق ، ويبقى بيت الله الحرام هو مرتكز تلك القوى ، وتبقى فلسطين هي ناسجة الثوب الانساني التي تجمع العربي وغير العربي تحت مظلة واحدة لايفرق بيننا إلا لون أو جنسية ، حتى وإن اختلفنا في الديانات ، لكن يكفي أنا اجتمعنا في مدينة السلام .

إن التشبث بالتاريخ إنما هو تشبث ببقايا الذات الضائعة التي تبحث عن الخلاص ، والخلاص هو إعادة تكوين نفسها من جديد لإثبات نفسها عبر هوية شعرية تستند إلى واقع يضرب بجذوره في الأيديولوجيا من جهة وفي الدينيا من جهة أخرى.وما الدلالة التاريخية والدينية إلا زاوية

---

[1]- البرغوثي ،تميم: *في القدس*،ص98.

[2]-البرغوثي ،تميم: *مقام عراق* ، ص22.

[3]- المصدر نفسه، ص59.

[4]- نفسه ، ص61.

من زوايا النص التي يحاول الشاعر والقارئ القبض عليها ، فالمكان الشعري لايرتبط بدلالة معينة بذاتها ، فهو مكان لغوي يحتمل كل شيء ، فهو ليس معطى يسيرا ، إنه معطى سيميولوجي غير منته ، متواصل التأثير باختلاف الأزمنة والرؤى والموروثات الثقافية ، بل والأكثر من ذلك فإنه يستمد شعريته عندما يصبح امتدادا للقيم الروحية التي نعيشها ونحيا بها ، وصور المكان المتجذرة في الذاكرة المرئية والمسموعة ، الباقية والمندثرة ، على مدار الأزمان ؛ ليصبح المكان والإنسان وجهان لعملة واحدة هي الحياة بكل أشكالها.

انطلاقا مما سبق تحليله ومقاربته،قمت بإجراء رسم تخطيطي للدلالات الثلاث بغية الوقوف على أكثر الدلالات حضورا في شعر تميم البرغوثي ، وفق الإحصائية التقريبية التي قدمتها مسبقا أثناء المقاربة النقدية ، فجاءت النتيجة على النحو الآتي:

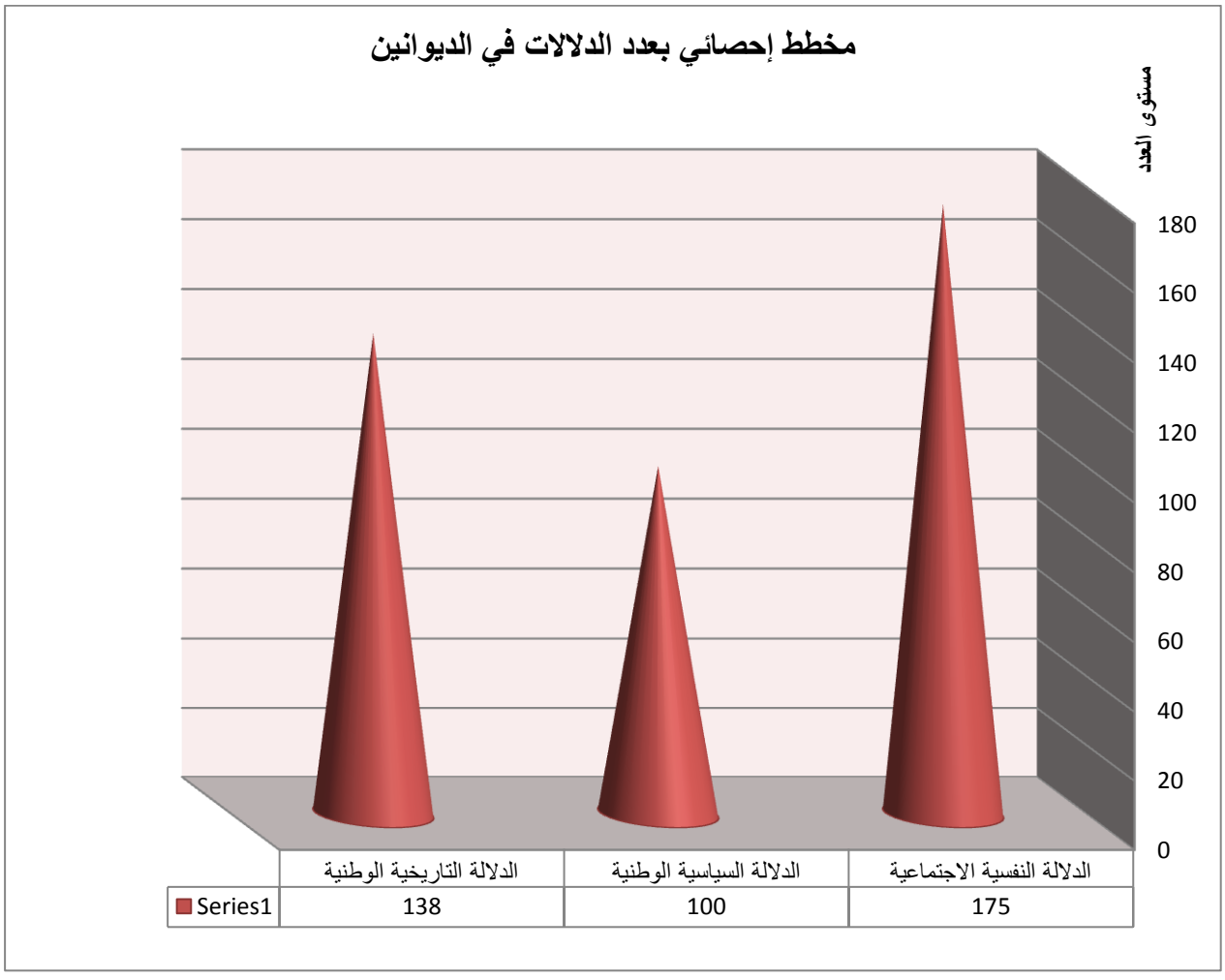

إن المتتبع للرسم السابق يقف على أن أعلى الدلالات حضورا كانت الدلالة الاجتماعية النفسية وأقلها حضورا هي السياسية الوطنية ، وهذا يدل على أن الإنسان مرتبط بمكانه ارتباطا وثيقا ، إنه ارتباط الروح بجسدها ، فهو منذ تخلقه متعلق بمكانه الداخلي والخارجي ، هذا التعلق الاجتماعي يفضي إلى تعلق نفسي آخر يتمظهر عبر تجاربه وأدبه وفنه وطريقة تعبيره عنها . وتميم تعلق بوطنه فلسطين ، وكيف لايتعلق به وهو المبعد والمنفي عنه قسرا وغصبا ، إلا أن تعلق تميم يختلف عن أي تعلق آخر ، فلقد تم نفيه لفترة أخرى عن وطنه البديل "مصر" وبالتالي تضاعف الألم والقهر النفسي عند تميم، فهو يعاني غربة الغربة ذاتها، ولذلك أدركت أن الدلالة النفسية والاجتماعية بدت واضحة التجلي لأن الذات عند تميم البرغوثي وجدت نفسها داخلها؛لعلها تطفئ ظمأها الفلسطيني أولا والعربي ثانيا .أما كون الدلالة السياسية هي أقل الدلالات حضورا ، فإن هذا لايعني أن هذا قصور عند الشاعر "تميم البرغوثي" ، بل قد تكون هذه الدلالة هي الأكثر بروزا ضمنيا ، لأن كل مقارباتي كانت في الألفاظ والكلمات والأسطر التي تحمل تجلي الأبعاد والدلالات بوضوح ، وهذا يعني أنه قد تتفوق الدلالة السياسية والوطنية على النفسية والاجتماعية ، ويكفي أن "تميم" قد قدم ديوانا كاملا لايحتوي إلا على قصيدة واحدة أسماها " مقام عراق" كتبها كردة فعل على الغزو الأمريكي الغاشم للعراق.

هذا لايعني أن الدلالات لم تتقاطع أبدا ، بل هناك تشكل واضح وتداخل للدلالات الثلاث فيما بينها وهو ماسأعرضه في الجدول الآتي ، والذي سأوضح فيه بان هناك بعض الأبيات الشعرية والأسطر ، يقف أمامها الناقد حائرا في تصنيفها وتبويبها ، وفي ذلك إشارة إلى أن النص الشعري نص مفتوح يتقبل كل الداخل إليه وبالتالي سيكون الخارج منه متنوعا ومتشكلا بفعل العملية التأويليةالتي اتبعها القارئ والمتلقي معا ، ومن تلك الأبيات الشعرية التي حملت الدلالات الثلاث ما هو آت:

الرقم	السطر / البيت الشعري	اسم القصيدة / الصفحة
1	ويطاف في الأسواق بابن العلقمي وبكل منجعل الغزاة ولاته واعيد ترتيب الخرائط كلها.....	أنا لي سماء كالسماء ص25
2	رأيت أن العرش أجمل وهو خال...	ياهيبة العرش الخلي من المملوك ص28

3	شيوخ الدين، يبنون مساجد في الفضاء الخارجي شيوخ السياسة ، يحملون الكراسي على رؤوسهم	حديث الكساء ص42
4	لا شيء جذيا ستنمو الشقوق التي في أصول الجدران كاللبلاب كبرق مضاد ، يسري من الأرض إلى السماء،	لا شيء جذريا ص 49
5	لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة أسواقها وميادينها وقوافلها وعساكرها وصياح المنادين	تقول الحمامة للعنكبوت ص54
6	في زمان مضى ،حل في غارنا عربيان وارتحلا...	تقول الحمامة للعنكبوت ص57
7	أرى أمة في الغار بعد محمد....	أمر طبيعي ص59
8	ياأمتي ياظبية في الغار تسألني وتلحف...	امر طبيعي ص61
9	سؤال الصحفي ، إلى أين تذهبون من هنا والجواب إلى القدس ،	خط على القبر المؤقت ص69
10	ديار ببيروت وأخرى ببغداد....	أمير المؤمنين ص77
11	يطرق الموت أبوابهم مثل جيش احتلال	سفينة نوح ص85
12	الخيل تركض في الشوارع	الأمر ص91
13	وقتلى على شط العراق ..... إذا ما أضعنا شامها وعراقها....	قفي ساعة ص98
14	ولكنها عند نافذة يلمع القبر من تحتها...	ابن مريم ص94
15	وغزلان جو قد شغفن حبا	تخميس ص112
16	أتذكر دارا انت أعطيتها اسمها	تخميس ص114
17	فأصبح همي يامحمد وصفه ...	تخميس ص114
18	أمير جيوش صرت فينا مؤمرا....	تخميس ص117
19	تحاط بأبكار الرزايا وعونها.....	تخميس ص117
20	هواها معرب لغة الليالي.... هواها كعبة والكون وفد....	غزل ص122
21	ملأنا البر من قتلى كرام	معين الدمع ص129
22	بلادي فلسطين	شكر 133

أما التقاطعات في ديوان " مقام عراق " فلقد كانت على النحو الآتي:

23	أيها القارب المتأرجح ذات الشمال وذات اليمين	ص10
24	انا بذرة في حقول الليالي ...	ص20
25	أنا الليل في النور والنور في الليل .... أنا الكل في الجزء والجزء في الكل	ص20
26	هذي المصيبة ليرق الحداد لها	ص9
27	ثم أنت الذي نام بين المقابر كي لايراه المغول ...	ص14
28	ليس للبيت الكبير معنى	ص22
29	أنا من أذن تحت القصف فجرا	ص32
30	هل يسمع الصوت من في مصر والشام...	ص61
31	ياخاضبا لا بحناء ولا طيب....	ص66
32	تمدد هذا السرادق جدا ...	ص67
33	ستار من الكعبة انشد كالدف حول الخريطة ...	ص67

كثيرة هي التقاطعات بين الدلالات الثلاث ، وما أوردته كان على سبيل الذكر لا الحصر ، ووفق رؤيتي الخاصة ، والتي تدل على مدى التلاحك الفكري والشعوري بالمكان عند تميم البرغوثي.

الفصل الرابع

مستويات المكان

وبلاغته

أولا : مستويات المكان في المتن البرغوثي

لاشك أن ثمة علاقة تنشأ بين الإنسان ومكانه بفعل الجدلية القائمة بينهما، والتي تحتوي على تقاطعات كثيرة تتقارب بين الألفة والكراهية، بين الأمل واليأس،إذ تتمظهر وتتشكل هذه العلاقات في دلالات سبق وأن تحدثنا عنها مسبقا،فيُسعد بذكر بعض الأمكنة بمجرد سماع ذكرها؛ في حين قد يُنفر من سماع أسماء أماكن أخرى؛ لأنها تثير في نفسه الذكريات المؤلمة أيّاً كانت؛،لذلك تختلف رؤية الإنسان لمكانه باختلاف التجارب التي عاشها في هذا الشأن أو ذاك."فالمكان في رؤية الإنسان يكتسب خصوصيته وجماليته من خلال علاقة الكائن به وألفته له، وليس من خلال وجوده الموضوعي".[1]

وإذا كنتُ في الفصل السابق قد قاربتُ أبعاد المكان ودلالاته عبر تمظهرها في الديوانين المعنيين؛فإني في هذا الفصل سأقارب مستويات المكان عند تميم من حيث الانغلاق والانفتاح، ولعل هناك من يتساءل:،لماذا تم إدراج مستويات المكان ضمن فصل جمالية اللغة والصورة عند"تميم؟ والجواب في تقديري مفاده:أن الانغلاق والانفتاح في الكلام يرتبط ارتباطا مباشرا باللغة والصورة والشاعرية الفنية والأدبية فلا انفصال بينهما؛ لذا آثرت الحديث عن مستويات المكان ضمن هذا الفصل،فصورة القبر في انغلاقه القسري قد تحيلنا لمشاعرالقهر والظلم وغيرها الكثير،والمستقرئ لشعر "تميم البرغوثي" يلحظ اختلاف رؤيته الشعرية من مكان لآخر، وكيف لا! فهو شاعر القدس وشاعر الحرية، وشاعر المواطن، وشاعر الألم.

عبر قراءة إحصائية للديوانين المعنيين بالمقاربة النقدية وبعد رصد مفردات المكان المغلقة، بلغت تلك المفردات: 30 مفردة بتكرار وتداول وصل إلى 112 يتراوح بين 1 – 14 مرة، وبناء على ذلك سوف أبدأ مقاربتي للأماكن المغلقة التي قسمتها إلى قسمين: المكان المغلق الاختياري والمغلق الإجباري، ومما يجدر الإشارة إليه هو: أنه قد يكون المكان المفتوح في الواقع مغلقا في النفس ومشاعرها والعكس صحيح، هذا إن دل على شيئ فإنما يدل على أن الإنسان لايستمتع بمكانه إلا بقدر مايثيره هذا المكان أو ذاك في نفسه من مشاعر إيجابية أو سلبية.

[1] –الزهراني،صالح سعيد: الفلسفة الجمالية عند حمزة شحاتة، مقالة إلكترونية ضمن الويب : والرابط *https://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag24/f19.htm*

1-الأماكن المغلقة:

إن الحديث عن الأمكنةالمغلقة هوحديث عن أمكنة محددة بمساحات محددة،وقدتكون تلك الأماكن المغلقة مغلقة إغلاقا اختياريا مثلا المكتبة والسرادق،والقارب،والملاهي وغيرها الكثير مماسيرد ذكره في الجدول الآتي،وقدتكون مغلقةإغلاقاجبرياقسريامثل:القبروالملجأوالسجن وغيرها.وبعد معاينة الاحصائية التي ستأتي لاحقا وقفت على أن المكان من حيث الاغلاق ينقسم على ما يأتي:

- المغلق الإجباري:القبر، الملجأ، السجن.

- المغلق الاختياري: دور العبادة،الدور و البيوت، الغار، أماكن الترفيه.

وفي ضوء الاحصاءات نفسها قمت بتحديد تلك الأماكن السابق ذكرها – بالتقريب وليس بالقطع- بناء على عدد مرات تمظهرها في الديوانين والذي سأتناوله في المقاربة النقدية التي تلي ذلك. سأبدأ بالأماكن المغلقة إجباريا والتي تمظهرت في:السجن،القبر،الملجأ.

جدول الأماكن المغلقة:

الرقم	الكلمة التي تدل على الانغلاق	عدد مرات تكرارها
1	دار	7اختياري
2	المسجد	9اختياري
3	الكنيسة – الكنائس - الصومعة	5اختياري
4	القبر	7إجباري
5	المنابر	3اختياري
6	السجن	2إجباري
7	بيوت الجليل	3اختياري
8	المعارض والندوات	1اختياري
9	المتاحف	2اختياري
10	رحم الغيب	1إجباري
11	بلدي	2اختياري
12	الفنادق والحانات	2اختياري
13	ملجأ	5إجباري

14	المحراب	6اختياري
15	مستوصف	1اختياري
16	طوابير المدارس	2اختياري
17	أسطول نوح	2اختياري
18	السفينة	2اختياري
19	الغار	14اختياري
20	دار الندوة	1اختياري
21	مدينة الملاهي	4اختياري
22	البيت - البيوت	8اختياري
23	حمام البروج	3اختياري
24	المقاهي	1اختياري
25	البيت الحرام – البيت العتيث- الكعبة	7اختياري
26	القارب	2اختياري
27	أغماد السيوف	1اختياري
28	مركز الأورام	1اختياري
29	المكتبة	1اختياري
30	السرادق	7اختياري
	المجموع	112

أ-المكان المغلق الإجباري

- **القبر:** سجل القبر أعلى نسبة تكرار بالنسبة للأماكن المغلقة إغلاقا إجباريا، إذ بلغت (7) مرات. القبر كلمة تثير الخوف والموت وتحملنا إلى النهاية الأبدية، إلى الفراق، إلا أن القبر عند تميم يحمل دلالات إيحائية وإنزياحات نفسية كثيرة ومتعددة، فالقبور عنده قد تكون: -مصدر فخر واعتزاز بقيمة مدينته المقدسية، وكيف لا وهو القائل:

"في القدس تنتظم القبور، كأنهن سطور تاريخ المدينة والكتاب ترابها

الكلُّ مروا من هنا"[1]

[1]-البرغوثي،تميم:*في القدس*، ص11.

في السطور السابقة يؤرخ الشاعر لعراقة المدينة المقدسة، إذ جمع بين ماضي هذه المدينة وحاضرها، فهو يشير إلى الأمم التي مرت بالمدينة المقدسة وسكنتها منذ قديم الزمان وفي ذلك إشارة إلى إثبات أحقية الفلسطينيين والمسلمين في المدينة.

-والقبر إشارة لمسقط رأس الأنبياء ومدفنهم فهو القائل في قصيدة " ابن مريم":

"لقد صلبوه فماذا بربك تنتظرين
لقد صلبوه وليس مسيحا ولاابن إله
ويأمه لم يكن فيه أيُّ اختلاف عن الآخرين
ولكنها عند نافذة يلمع القبر من تحتها"[1]

-والقبر عند تميم قبر مؤقت واصة في قصيدته(خط على القبر المؤقت) التي يشير فيها إلى جنازة الرئيس " ياسرعرفات" أين يقول الشاعر:

"جموع كل من فيها وحيد ووحشتها تزيد إذا تزيـــد
وللقبر المؤقت ألف معنى يضيق بها على السعة النشيد"[2]

والمقصودقبرالرئيس الشهيد ياسرعرفات،والذي كانت وصيته أن يُقبرفي مدينةالقدس،فقُبرمؤقتاً في رام الله حتى تحرير القدس.

-والقبر في القصيدة نفسها إشارة إلى الغربة التي يحياها الإنسان الفلسطيني، فهو يعيش غربة فوق الأرض وغربة تحت الأرض،يدفن في غير مسقط رأسه وفي ذلك يقول:

"غريب الناس من يحيى شريدا وفي الموتى له قبر شريد"[3]

فتشريدالشعب الفلسطيني إيحاء بغربتين غربةالتشتت وغربة القبربعيداًعن مسقط الرأس.
-والقبر رمز للحزن فالموت والحزن له في فلسطين مُقام طويل،وكأن هذه المعرفةتحولت لرفقة ومعرفة عميقتين ،ويمزج الشاعر بين مفهومي الموت والحزن وكأنه يستخدمهما للمعنى ذاته،والدلالة ذاتها. وفي ذلك يقول:

---

[1] - البرغوثي،تميم:*في القدس* ،ص94.
[2] - المصدر نفسه، ص67.
[3] -نفسه ، والصفحة ذاتها.

"إذا عجز الإنسان حتى عن البكا فقد بات محسودا على الموت نائله

يطول انتظار المرء إقبال عيشه فيـدبر حتى ينزل القـبر نازلـــــــه"[1]

فقلب الإنسان الفلسطيني يبقى معلقا بالحياة ولكنه ينزل القبر وهو مازال في حالة الانتظار والترقب تلك. ولايكتفي تميم عند هذا الحد فالقبر عنده ليس مكانا للموت وحسب؛وإنما هو معبر لحياة أخرى فالشهيد حيّ بيننا حتى وإن دُفن:

"ويظل الجسم جسما فوق أكتاف المحبين ثقيلا

لن يكون القبر إلا حفرة طينا وماء

نضع الميت والأكفان والأعلام فيها

ثم نمضي

قد تركنا ثَّم في القبر السماء"[2]

فالقبر للشهيد حياة أخرى فيها الحياة التي يريدها رب السماء من هناء ومغفرة ورضوان، فرحمة الله تحيط بالشهيد حتى وإن كان مدفونا في قبره.

وفي النهاية برز القبر عند تميم في صور شتى تشكلت وتمثلت وفق رؤاه الفكرية والنفسية في حركة جدلية استطاع تميم عبرها إثبات أن القبر ليس عنوانا للموت والفراق دائما؛ إنما هو رمز للصمود والحياة القادمة والشهادة ورسالة مغلفة بإنزياحات لغوية بأن الوطن يحتاج منا الكثير المال والروح والنفس.

-الملجأ : شكل الملجأ المكان الثاني المغلق إجباريا من حيث الظهور والتمثل فلقد جاء في المرتبة الثانية إذ بلغت نسبة تكراره (5) مرات.ومما يتصل بالملجأ الخيمة، والخيمة والملجأ وجهان لعملة واحدة وهي التشرد والضياع والترحال وعدم الثبات، إنها التحول والصيرورة في حياة الفلسطيني في ديوان " في القدس" والإنسان العراقي في ديوان"مقام عراق "؛لذا لم أستطع الفصل بين الخيمة والملجأ؛لأنهما هوية اللجوء والنزوح القسري لإجبار قسري آخر، وليس شرطا أن يكون الملجأ

[1] – البرغوثي،تميم:*في القدس* ، ص97.

[2] –المصدر نفسه، ص101.

والخيمة ملموسان على أرض الواقع فقد تكون السماء هي الملجأ والخيمة وهذا إشارة لحالة التشظي والفقر المدقع الذي يعانيه الإنسان اللاجئ وفي ذلك يقول:

"أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء
أحملها على رأسي وأسعى في بلاد الله من حيّ لحيّ
هذي سمائي في يديّ
فيها الذي تدرون من صفة السماء
فيها طبول الحرب تُسمع من بعيد
وإذا أتتها الطائرات بكل موت أزرق العينين يرفل في الحديد
تمسي السماء عليّ درعا واقيا، أو ملجأ أو خيمة"[1]

لقد باتت السماء خيمة وملجأ لتميم وهو في أسطره السابقة يعتز بها ويحبها فهي ملكه، وهي حاميته من العدو الغاشم. إن تميم يرسم لنا عبر الأسطر السابقة لوحة تشكيلية متعددة الدلالات والانزياحات، إنه يحقق الفرادة والتميز في تخطيط ملامح التشظي والتشرد الإنساني،ولا يكتفي تميم بتلك الصورة بل يسافر بنا مباشرة إلى قصيدة اتخذ فيها من الملجأ رمزا لرؤى فكرية وسياسية يسعى لإلقاء الضوء عليها يقول:

"وهناك مايدعوك دوما للتشكك
في الذين يبشرونك
بنهاية السعي العظيم وأنهم
عما مضى سيعوضونك
ألاجل أعراس الفنادق، والتجارة
ألانافذة على قصر رئاسي،
يقام بملجأفي الطابق العشرين تحت الأرض"[2]

لقد سعى تميم إلى بيان حالة الترهل والتخلف السياسي الذي نعيشه عبر تلك المؤامرات التي تُحاك ضد الدول العربية والاسلامية.

وفي قصيدة "كساءالنبيّ" تبدو الخيمة متمظهرة بشكل رؤيوي آخر، إذ يتحد الألم الإنساني مع ألم الأنبياء والأولياء والصالحين فهو القائل:

---

[1]-البرغوثي،تميم:*في القدس* ،ص22.

[2]- المصدر نفسه ، ص33.

"ياكساء النبي استمع
ياعلي المقام
أنت أكرم ما في مخيمنا من خيام"[1]
وتبلغ ذروة الابداع الأدبي في وصف "تميم " للملجأ قائلا في قصيدة " أمير المؤمنين":

"نما لبلاب على الصاروخ،
والتف عليه حتى كساه
ثم أزهر
صاح ولد، الله أكبر
وهوى سقف إسرائيل
دخلوا إلى الملاجئ،
كالتراب تحت البساط"[2]

والحديث عن الملجأ في الأسطر السابقة يصور شجاعة المقاومة في لبنان إبان حرب "تموز2006 حين أغارت القوات الاسرائيلية على جنوب لبنان وردت فيه المقاومة بصواريخها حتى دب الرعب في قلوب المدنيين الاسرائليين ودخلوا الملاجئ،كما دخلها الفلسطينيون واللبنانيون،.
صورة أخرى للملجأ تتمظهر في ديوان"مقام عراق" يرسم عبرها ملامح الذل والخنوع فهو القائل:
"نخل العراق أجبنا هل نجوت من القصف الأخير وهل
نجا سواك، ومن أيّ الجهات أتوا، أيُّ الدروب تراها بعد ما أخذت؟
يا نخلنا، أمة بين الملاجئ تحت الأرض ساجدة، ولا صلاة لها،
وجوهنا في التراب المر ليس ترى شيئا سواه"[3]

فالهزيمة والخنوع والقهر يحيطون بالأمة بأكملها ويبقى النخل شامخا، وكأن النخل صورة من صور الصبر والمقاومة بعد أن عزّت المقاومة على أهلها الذين يسجدون من غير صلاة، سجود الخوف والعار، والذل والخنوع والاستسلام.

[1] - البرغوثي،تميم:*في القدس* ،ص42.
[2] -المصدر نفسه،ص80.
[3] - البرغوثي،تميم: *مقام عراق*، ص36.

-السجن:يأتي السجن في المرتبة الثالثة في الأماكن المتمظهرة كانغلاق قسري إذ بلغ عدد تكرار الكلمة (2) وعلى الرغم من ندرة تشكل السجن لديه إلا أن السجن ارتبط عند تميم بدلالات كثيرة فهو رمز الحرية التي يسعى إليها كل من ركب مركب الجهاد والدفاع عن الوطن وهو في الوقت نفسه تاريخ وعراقة وفي ذلك يقول:

"وفي وسط الشام تاريخنا
مثل سجادة من حرير تريث فيها شيوخ الصناعة
ويربطها البائعون بخيط رخيص
وتاريخنا فسحة الشمس في السجن"[1]

إن التاريخ عند تميم له قيمته ومكانته بين الأمم فهو ذو وهج في شدة العتمة التي عبر عنها بالسجن، ولا يكتفي تميم بذلك فهاهو يساوي بين الحرية والقيد في قوله:

"اختفى المحرم في ليلته السابعة عشرة
ووزعت قوات الاحتلال مناشير فيها صور مفترضة له
في زيّ شيخ عربي
طالب جامعي
أو امرأة منقبة
فإن رأيتم خارجا ملثما يستعرض الناس بالسيف
في الشارع أو في السجن
فقبلوا يديه وقدميه"[2]

فالسجن قد تساوى مع الشارع في حديثه عن مأساة العراق بعد الغزو الأمريكي لها، حتى غدا المكان المغلق مفتوحا والمفتوح مغلقا، وفي ذلك تماه واضح لمشاعر الإنسان مع الشدائد والكرب والمصائب التي تحيط به.

إلى هنا أصل إلى نهاية مقاربة المكان المغلق إجباريا، والذي بدا واضحا ومتمظهرا عبر القبر والملجأ والسجن بنسب متفاوتة وبتشكلات ورؤى مختلفة ومتقاطعة مع بعضها.

---

[1]- البرغوثي ،تميم:*في القدس*، ص15.
[2]- المصدر نفسه ، ص66.

ب-المغلق الاختياري: يمثل المكان المغلق الاختياري التمظهر الثاني لتشكل الانغلاق في مستوياته عند " تميم" والذي تمظهر متناً في البيت،دور العبادة،أماكن الترفيه،الغار، وذلك بناء على الاحصاءات التي قدمتها سابقا، وسأتناول تلك الأمكنة بمقاربات نقدية بما تسمح بها اللغة الشاعرية للشاعر وسأبدا بأكثرها تكرارا وهي:

- **دور العبادة:**شكلت دور العبادة بمختلف صورها أكثر الأماكن المغلقة اختياريا جضورا؛ إذ بلغ معدل تكرارها العام (30)، ولقد تنوع هذا التكرار ليشمل كافة أنواع دور العبادة فمثلا كان المسجد يشكل (9) مرات في العدد الكلي بينما البيت الحرام شكل (7) ويليه المحراب (6) مرات ثم الكنائس والصوامع (5) وآخرها المنابر(3)، وكل واحد من هذه الدور حمل دلالات إيحائية ونفسية تخرج النفس من شرنقتها البيولوجية إلى علم التماهي مع المكان بكل صوره المعنوية والمادية، فهاهو المسجد يعانق الكنائس في صورة يبدو فيها التآلف الطائفي الديني مكتملا،وسعي لإثبات أن القدس مدينة الديانات الثلاث ،يقول:

"في القدس أعمدة الرخام الداكنات

كأن تعريق الرخام دخان

ونوافذ تعلو المساجد والكنائس،"[1]

تشيرالأبيات السابقة لعراقة المدينة تاريخيا ودينيا،إلا أنني لا أكاد اجد سطرا ينفرد بالمسجد دون تداخل مع الكنائس أو المحاريب أو الصوامع والمنابر، فترادف المسجد مع كافة دور العبادة بصورها المتشاكلة، يقول في حديث الكساء:

"كتب النحو، والفلسفة، والرياضيات

تتبرع لجدران المساجد

كل بسطر أو اثنين

تتصل السطور وتتلوى في تكوينات نباتية متشابكة على المحراب"[2]

ففي حديث الكساء يستحضرتميم الوحدة العربية في صورة دينية رموزها آل البيت وما حوله،يستشعر حضورامأسآة العراق وما حل بها، فالمأساة لم تكن غزوا سياسيا فحسب؛ بل كانت

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ،ص10.

[2]- المصدر نفسه ،ص38.

غزوا علميا وفكريا ودينيا، غزو قضى على كافة ملامح الحياة الإنسانية في شكلها العام والخاص. وتأخذ صورة المساجد شكلا آخر ولاسيما عند دجالي الدين والسياسة وفي ذلك يقول تميم:

"على هامش الصورة
جموع المشجعين
يضرب بعضهم بعضا بالأحذية
شيوخ الدين،يبنون مساجد في الفضاء الخارجي
شيوخ السياسة، يحملون الكراسي على رؤسهم"[1]

ويتابع حديثه الكسائي في ملمح رؤيوي أيدلوجي، يعكس حالة الترهل السياسي والفكري الذي وصلت إليه الأمة العربية،فاالمساجد ليست دائما شعارا للتدين وإنما هي وسيلة خفية للخداع السياسي في ثوب ديني، وكأن سلطة الدولة باتت بين كرسي ومسجد!!!

صورة أخرى للمساجد والجوامع، يبرزها تميم ولكني أشتم فيها رائحة الفخر والعزة وذلك في قصيدة "الموت فينا وفيهم الفزع"وذلك في معرض حديثه عن المقاومة في غزة:

"سيروا بها وانظروا مساجدها أعمامها أو أخوالها البيع"[2]

فهاهو يفخر بأبناء غزة ولاسيما بعد حرب 2008، الذين استطاعوا أن يثبتوا للعدو الاسرائيلي أن أهل غزة عصيين على أي قوة مهما كانت إلا الله.

وإذا كانت المساجد قد شغلت مساحة كبيرة في شعر تميم فإن الكنائس لاتكاد تنفصل عن المساجد إلا أنها باتت وكأنها تمظهر للعراقة الدينية فهاهو يقول:

"أبصرت في أحد المتاحف مرةمنحوتة من أول العصر الوسيط
أظن صدر كنيسة أو مذبحا"[3]

فهاهو يرفع من قيمة الكنائس تاريخيا ودينيا، وهو في الأسطر السابقة يشكل أرقى صور التسامح الديني والرقي الأخلاقي في التعامل الديني، وكأنه يريد أن يقول – من وجهة نظري-: إن الحياة ليست

[1] – البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص42.
[2] – المصدر نفسه ، ص47.
[3] – نفسه ،ص27.

فقط للإسلام والمسلمين، فهناك من سبقنا ورسم معالم حياتية وحضارات لها بصمتها التي لاتنكر.
هذه الصورة تتضح أكثر في قصيدة " القهوة" عندما يقول:

"لاصوت يسمع حين ينطق
بل مقاطع من شرائط سجلت عبر العصور وعولجت من بعد رقميا
مزيج من ترتيل المعابد، أو جدال مجامع كنيسة"[1]

وتتضح الصورة أكثر عندما يعلن صراحة مشاعر المسلمين تجاه المسيحيين، مما يؤكد صفة التسامح الديني والتلاقح العقائدي فيما بين الأديان وهذا يتضح في قصيدة " قبلي مابين عينيا اعتذارا ياسماء":

لم نطرد من الهيكل تجار الفضيلة
نحن لسنا مسحاء
نحن كنا ليلة الصلب ندق الكف فوق الكف"[2]

ومما يدخل في دور العبادة ذكر بيت الله بكل ألفاظه المترادفة (الكعبة، بيت الله الحرام، مكة،...) وكأنه يؤرخ للرموز الدينية ويثبت أنها من ثوابت الرؤى التي يسعى لإثباتها فهاهو يشبه " الجليل " في توسطه في فلسطين وحوله الدول العربية الشقيقة وكأنه بيت الله الحرام وفي ذلك يقول:

كأن الممالك من حوله ريش مروحة،
أو مصلون من حول بيت حرام"[3]

ويكفي أنه يصل به المدى إلى اعتبار الشام والعراق ثغور أساسية ومداخل قوية في لحمة الجسد الإسلامي، فلو تم اختراقهما فهذا نذير باختراق بيت الله الحرام وفي ذلك يقول:

"إذا ما أضعنا شامها وعراقها فتلك من البيت الحرام مداخله"[4]

لقد استطاع تميم في البيت السابق أن يشكل المكان في قوالب أيديولوجية ودينية متجانسة، وكأن التاريخ والدين وجهان لعملة واحدة هي الوطن العربي والاسلامي، هذا التضافر

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص64..
[2]- المصدر نفسه، ص103.
[3]- نفسه، ص14.
[4]- نفسه، ص98.

والتجانس جعل من تميم نحاتا مثاليا يسعى لفرادة فكرية في التأريخ الديني عبر الجدلية القائمة بين الدين والتاريخ وتمظهرهما بصورة واضحة في شعره.، ولايكتفي "تميم " ببيت الله وحسب؛ بل إنه يشمل في إنزياحاته الشعرية كل ما يحيط بالبيت الحرام فهاهو يصف "حمام مكة " قائلا:

" يطير حمام بيت الله نحوي لأروي عنه أشعارا ويروي"[1]

حتى الحمام،أبرم تميم معه معاهدة الصلح والوئام بأشعار يرويها له وينقلها، وكأن العشق الروحي لبيت الله امتد ليشمل كل الكائنات الحية وغير الحية في مكانها وخارج محيط مكانها.

-الدور والبيوت:بدأ تمظهر كل مترادفات المسكن واضحا في الديوانين ولقد بلغ تكرارها(18) تنوعت بين الدار والبيت والبيوت وبيوت الجليل،حملت خلالها دلالات إيحائية مختلفة وإنزياحات شعورية لاتخفى أبدا فهاهو يعبر بالدار عن الوطن الغالي وهذا دليل الالتصاق به يقول:

مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي وسورها"[2]

فالقدس هي الدار، ومن وجهة نظري؛ فإن وصف القدس بالدار دليل واضح على تماهي تميم مع مكانه حتى غدا هذا المكان وهو الوطن لصيقا به له خصوصية في مشاعره تجاهه، ولقد عبر عن ذلك بوصفه للقدس بأنها الدار. وكما قلت سابقا بأن لفظ الدار قد أخذ أشكالا كثيرة منها البيت، وفي البيت رمز للوحدة والانقطاع أحيانا، فهاهو يقول في قصيدة " أمير المؤمنين":

في انقطاع الكهرباء

تحت القصف

وحدي في البيت"[3]

استطاع تميم أن يرسم ملامح الوحدة والعزلة التي فرضها العدو الغاشم على لبنان عموما والجنوب خاصة، عندما صور حال الناس المقهورة المعذبة تحت القصف الاسرائيلي في العدوان على الجنوب عام 2006، فكان البيت الذي يشعره بالوحدة، مع أنه قد يكون ممتلائا، لكن انقطاع معالم الحياة الطبيعية، ولّد شعورا لديه بالخوف والعزلة.وفي القصيدة نفسها ينتقل من بيته النفسي ومن محيطه الصغير إلى محيط أكبر وهو وطنه معبرا عنها بالديار قائلا:

وامتدت يد

متعدية أربعة عشر قرنا

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص121.

[2]- المصدر نفسه ،ص7.

[3]-نفسه، ص77 .

فصافحتني

وكنت ما أزال أحاول وصف الديار"[1]

فالديار هي البيوت كلها والدور التي تسكن وطنه وهي الوطن المتغلغل في أحشاء نفسه،وهاهو يستكمل هذه العلاقة الجدلية بين نفسه ومكانها، فهو يستنطق الدار ويناجيها وكأنها قطعة من الفؤاد قائلا:

أقول لدار دهرها لا يسالم وموت بأسواق النفوس يساوم"[2]

من وجهة نظري فإن تميم يعبر في البيت السابق عن حالة الترهل الفكري والتراجع العربي وما آل إليه وضع الإنسان العربي من ذل وهزيمة، وفي تقديري؛ فإن الإنسان عندما يصل لحالة استنطاق الدار فإن هذا لايوصف إلا بأنه قد وصل لمرحلة الانصهار النفسي مع المكان، وتتضح الصورة فيما أعني عندما تصبح كل البيوت في وطنه بيوته فهاهو يقول:

فمن قال بيتي في الجليل ولم يزد فقد قال شعرا وهو ليس بشاعر"[3]

فهاهو يعلي من قيمة الجليل لأن بيته بيت من بيوت الجليل،ويزداد هذا الارتباط قوة والعلاقة متانة عندما تكون البيوت والدور مصدر الحرية ومصدر الأمل والمستقبل الجديد مصدر الخوف للعدو،يقول:

الخيل تركض في الشوارع حرة،

أطللت من شباك داري ناظرا للشارع الملآن من أعلى

ومقابلي في الضفة الأخرى

وقف العدو مراقبا

لهبا توحش في البيوت،[4]

هاهي البيوت تشتعل لهبا من نفوس تواقة للحرية والاستشهاد ورفض الظلم والضيم.لقد استطاع تميم أن يخطط للبيوت والدور دورا تأويليا يبين عبره بجلاء قيمة الدار والبيت في معناه الخاص والعام؛ فهو الدار الخاصة وهو الدار الوطن، والبيت الأمان و الحرية و منبع الأمل والمستقبل الذي يرسم بأرواح أبنائه.

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ،ص81.

[2]- المصدر نفسه، ص111.

[3]- نفسه ، ص13.

[4]-نفسه، ،ص92.

-الغار: جاء الغار ضمن الأماكن المغلقة اختياريا في المرتبة الثالثة إذ بلغت نسبةتكراره(14)مرة إذ زخر ديوان في القدس بالعديد من الإشارات التي توحي إلى شخصية رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وأخذ منها الشاعر رمزية الانتصار والأمل القادم وذلك عبر تمظهر "الغار" الذي يشير إلى حال الأمة الاسلامية قبل الرسول وبعده،يتضح ذلك في قوله:

"أخية ماذا جرى لهما
أترى سلما
ياأخية هل تعلمين
لقد كان في الغار وعد بأن السماء ستنثر
مثل أرز العروس على العالمين
لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة"[1]

تشير الأسطر السابقة إلى قصة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عبر الفتوحات والانتصارات بعد هجرته إلى المدينة؛وكأن سرده لهذه القصة فيه رفع لمعنويات الشعوب المغلوبة والمقهورة في أنه ما بعد الشدة إلا الفرج، ولكن ماتلبث تلك القصة إلى أن تتحول إلى نواح على الطلل فهو القائل:

"تقول الحمامة لمارأت روح حارسة الغار فاضت
وقد أصبح الغار من بعدها طللا
ياأخية ضيفاك ما فعلا"[2]

هاهو تميم يرثي الوضع الذي آل إليه المسلمون في هذا العصر، عبر الحديث بين الحمامة والعنكبوت، ولكنه ضمنيا يستحث الهمم من أجل إعادة مايمكن إعادته من كرامة وعزة مسلوبة من الأمة الإسلامية ،ويختتم قصيدته في اجترار الذكريات الاسلامية مرة أخرى فهو القائل:

"في زمان مضى
حلَّ في غارنا

[1]- البرغوثي ، تميم:*في القدس* ،ص54.
[2]- المصدر نفسه، ص56.

عربيان
وارتحلا..."[1]

ويختتم تميم قصيدته بالغار وثلاث نقاط، وفي ذلك إشارة إلى أن الحديث لم ينته، فالحديث يطول، ولكن لابد من موقف عربي يحذو حذو العربيين اللذين اختبآ في الغار ولكنهاما غيرا وجه التاريخ. وهاهو يكمل رسم تلك المعاناة في قصيدة " أمر طبيعي" فهو القائل:

"أرى أمة في الغار بعد محمد تعود إليه حين يفدحها الأمر
دخلت إليه اثنين أول مرة نبيا وصديقا وشى بهما الوعر
أيا أمة في الغار تبغي حماية من الطير معذور إذا خانك الطير
وجبريل يأتي الغار كل عشية ويذهب والغافون في الغار لم يدروا"[2]

إنه يسلط الضوء على أحداث الهجرة النبوية الشريفة بتقانة سرديةمخالفة، متحدثاً عن مأساوية ما تحياه الأمة في هذه المرحلة الحرجة من حياتها وعن الضعف الذي ينخر في جسدها.وهكذا بدا "الغار" وكأنه مكان مغلق اغلاقا اختياريا، ندخله بمحض إرادتنا ونخرج منه كذلك بإرادتنا، وبين هذا الدخول وذاك الخروج تكمن الدلالات الايحائية التي يسعى تميم لإبرازها عبر تلك التشكلات النقدية والتمظهرات المكانية التي تسعى لتثبيت الرؤى الفكرية عند الشاعر.

-أماكن الترفيه: شكلت أماكن الترفيه أقل الأماكن المغلقة اختياريا بالنسبة للأماكن التي قاربتها؛إذ تكررت (13)مرة، ولقد تنوعت من معارض وندوات إلى متاحف وفنادق وملاه وغيرها، وهي تحمل في السطور التي جاءت ضمنها دلالات إيحائية كثيرة، فمن تلك الدلالات الايحائية دلالة التحسر والألم على مجد تليد ضاع ، إنه يتحسر على متاحف العراق وفي ذلك يقول في ديوان "مقام عراق":

عنزة تتعثر بين الخرائب
تجوز من المتحف الوطني إلى المكتبة
وتبحث عن مصحف أعجز النار أن تنهبه،"[3]

لقد باتت المتاحف والمكتبات مقفرة، تتشح بالسواد بالألم النفسي والقهر المعنوي، فأماكن الترفيه والراحة أصبحت معلما للذل والخنوع والبكاء على ماضاع، وتكتمل هذه الصورة أكثر عندما يقول:

---

[1] – البرغوثي ، تميم:في القدس ، ص57.
[2] – المصدر نفسه ، ص59.
[3] – البرغوثي ،تميم :مقام عراق ،ص45.

ألم أكياس الرمل من أيام حصارك

أكتب على كل كيس اسم المدينة التي جاء منها

الرمل رمل كريم

تتنكر له المدن ذات الفنادق والحانات"[1]

فالفنادق والحانات التي قامت على أرضه لاتعرف هوية الرمل الذي جمعه، مع أن هذه الفنادق وغيرها قامت من الرمل نفسه الذي بين يديه، وفي ذلك شعور بالغربة النفسية التي لحقت بالشاعر؛فهناك تضارب بين قديم البلدة وجديدها الذي أحدثه وجود العدو.ولذلك وجدت أن كل أماكن الترفيه لاتحمل صورة الترفيه؛ وإنما تحمل صورة القهر والعذاب، حتى البشر أصبحوا مثل سيارات الملاهي من حالة الضياع والتيه التي تتلبسهم يقول:

دخان كثيف يوزع بالأطنان

يعبر الخرائط

إن ترفع يدك لاتراها

والناس يصدم بعضهم بعضا كسيارات الملاهي"[2]

فمدن الملاهي –في العادة- تثير السعادة والبهجة والتسلية المعنوية ولكنها عند" تميم" لاتثير إلا الغصة والذكريات الحزينة لما سبق والدهشة لما هو واقع، يقول:

في زمانك كيف تذهل؟

في زمانك كيف تكف عن الذهول؟

دهشة متوقعة دائما،

كبيت الرعب في مدينة الملاهي

أو كمدينة الملاهي في بيت الرعب،[3]

هذا هو الذهول بعينه، ولاسيما عندما تتماهى النفس مع متناقضات المكان، الرعب والخوف مع الأمان والاطمئنان، القهر والظلم مع العزة والعدل، متناقضات أرخى المكان بظلاله عليها لتعمل على تشكيل إنزياحات نفسية وشعورية للقارئ والمتلقي ضمن علاقة جدلية بين النفس الانسانية وبين محيطها الذي تتنفس فيه.

---

[1]- البرغوثي ، تميم:*في القدس* ،ص70.

[2]- المصدر نفسه ، ص 38 .

[3]- نفسه ، ص 71-72.

بهذا أكون قد وضعت اللمسات الأخيرة على مقاربة المكان من ناحية الانغلاق على المستوى الإجباري والاختياري، ومن وجهة نظري أن هذا الانغلاق قد ينتقل من المادي إلى المعنوي أي من المكان المعيش إلى المكان النفسي، فليس كل مغلق هو اجباري بالضرورة أو اختياري؛ لأن الإغلاق الاجباري قد يصبح اختياريا والعكس الصحيح، فالمحدد الدقيق لهذه العلاقة الوطيدة؛ هو تماهي النفس مع مكانها وإفراز شعور وذكريات تجمعها بهذا المكان أو بذاك، قد يكون شعورا طيبا أو منفرا.

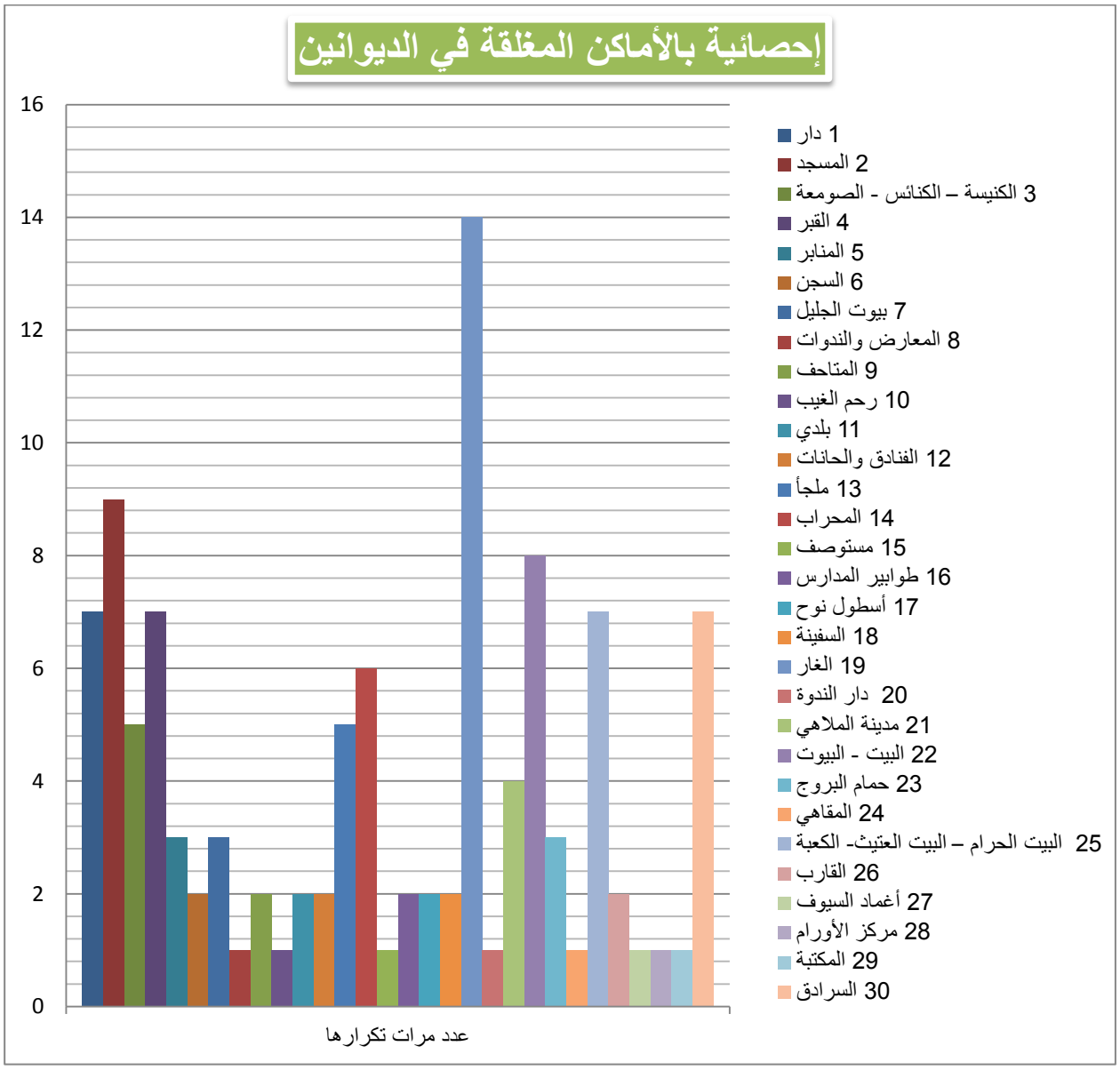

** تجدر الإشارة إلى ضرورة بأن بعض الأماكن السابقة تحتمل أن تكون مكانا أوحيزا وهي من وجهة نظري : رحم الغيب،طوابير المدارس،أغماد السيوف ،إلا أنها بدت مكانا في شعر تميم البرغوثي.

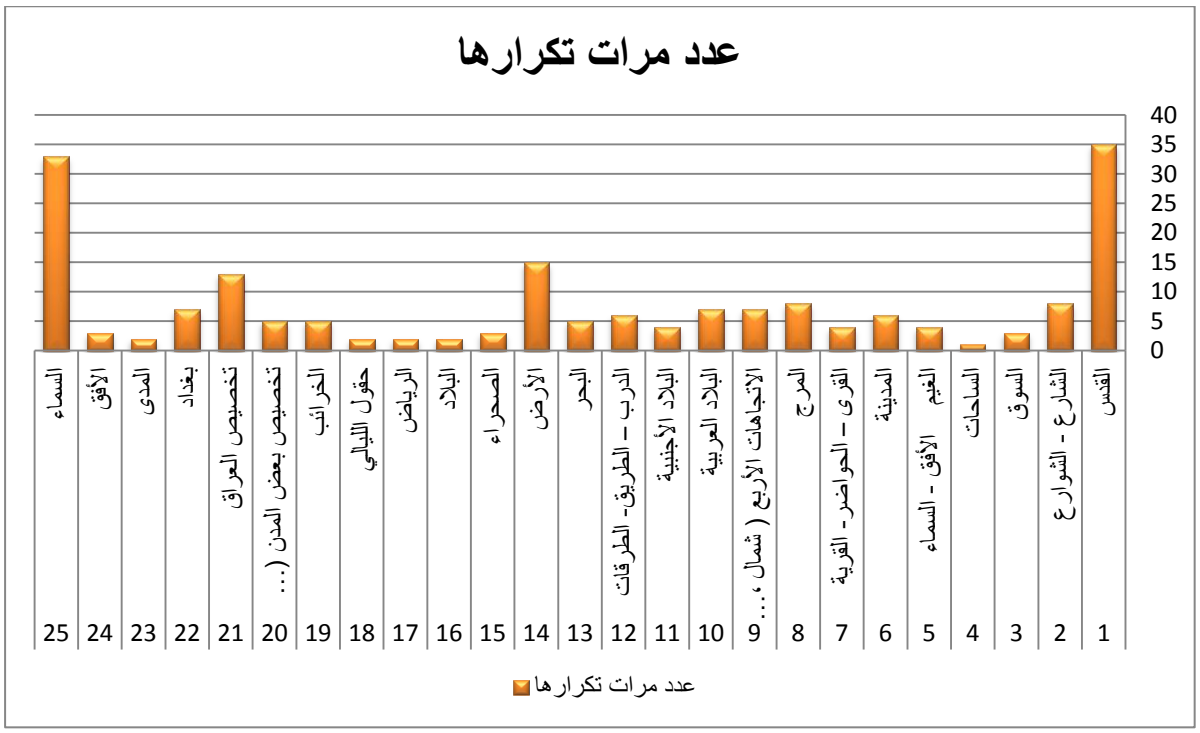

2- الأماكن المفتوحة:

إن الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو حديث في المجهول؛لأننا نتحدث في انفتاح ليس له حدود، هذا الانفتاح يشير إلى صراعات دائمة بين الإنسان وبين مايحيط به من انفتاحٍ قد يكون إيجابيا أو سلبيا على حسب التجربة المعيشة، فقد يفضي تنوع المساحة المكانية في الأماكن المفتوحة إلى تموجات وجدانية تصاعدية وتنازلة على حسب العلاقة الجدلية القائمة بين الإنسان ومكانه؛ ولذلك آثرت أن أقسم المكان المفتوح عندتميم إلى:

مفتوح بلا حدود: السماء ،الأرض، الاتجاهات الأربع، الغيم .

مفتوح بحدود:القدس،الشوارع والطرقات، المدن والقرى.

سأتناول كل شكل منهما بالمقاربة النقدية بما تسمح به الدلالات الإيحائية المكثفة في السطور والأبيات الشعرية،وسأبدا بالمفتوح بلا حدود الذي كان أكثر تمظهرا في:السماء،الأرض، الاتجاهات الأربع، الغيم،وفق نسب تكرار مختلفة عن بعضها. ولعل أكثر الأماكن المفتوحة بلا حدود تكرارا كانت (السماء) وبلغت (33) مرة تقريبا، بينما جاءت الأرض في المرتبة الثانية حيث بلغت (15) تليها الاتجاهات الأربعة (7) وآخرها كان الغيم (4) مرات وإليكم هذا الجدول الذي أبين فيه كافة الأماكن المفتوحة – وفق رؤيتي - بأنواعها والتي سأقاربها بالتفصيل لاحقا.

الرقم	الكلمة التي تدل على الانغلاق	عدد مرات تكرارها
1	القدس	35 مفتوح بحدود
2	الشارع - الشوارع	8 مفتوح بحدود
3	السوق	3 مفتوح بحدود
4	الساحات	1 مفتوح بلا حدود
5	الغيم	4 مفتوح بلا حدود
6	المدينة	6 مفتوح بحدود
7	القرى – الحواضر- القرية	4 مفتوح بحدود
8	المرج	8 مفتوح بحدود
9	الاتجاهات الأربع (شمال، جنوب...)	7 مفتوح بلا حدود
10	البلاد العربية	7 مفتوح بحدود
11	البلاد الأجنبية	4 مفتوح بحدود
12	الدرب – الطريق- الطرقات	6 مفتوح بحدود
13	البحر	5 مفتوح بحدود
14	الأرض	15 مفتوح بلا حدود
15	الصحراء	3 مفتوح بحدود
16	البلاد	2 مفتوح بحدود
17	الرياض	2 مفتوح بحدود
18	حقول الليالي	2 مفتوح بحدود
19	الخرائب	5 مفتوح بحدود
20	تخصيص بعض المدن (الكرخ، النجف..)	5 مفتوح بحدود
21	تخصيص العراق	13 مفتوح بحدود
22	بغداد	7 مفتوح بحدود
23	المدى	2مفتوح بلا حدود
24	الأفق	3 مفتوح بلا حدود
25	السماء	33 مفتوح بلا حدود
	المجموع	190

أ-المكان المفتوح بلاحدود:

- **السماء:** شكلت السماء أعلى نسبة تكرار للمكان المفتوح بلا حدود، وهذا في اعتقادي أن تميم يسعى لإطلاق العنان لنفسه وشاعريته، وكأنه يريد أن يوصل صدى صوته لكل مايحيط به من فضاء سواء أكان خارجيا أم داخليا،فيربط بين عراقة مدينة القدس وتاريخيتها وفق محيطين داخلي وخارجي وفي ذلك يقول:

في القدس أبنية حجارتها اقتباسات من الإنجيل والقرآن

في القدس تعريف الجمال مثمن الأضلاع أزرق،

فوقه، يادام عزك، قبة ذهبية،

تبدو برأيي، مثل مرآة محدبة ترى وجه السماء ملخصا فيها"[1]

يبرز جمال قبة الصخرة المشرفة منعكسا على وجه السماء وكأنه يريد أن يبرهن للأرض كلها برها وبحرها وجوها أن القدس ليست مدينة عادية، وتكتمل الصورة ذاتها ولكن مع تغير المكان، وهو مرتفعات الجليل وفيها يقول:

هنالك يمشي الدعاء،

كمن يعرف الدرب، مشيا عزيزا

من الأرض حتى السماء

كأن المسافة بينهما مستطاعة"[2]

حتى الدعاء في جبال الجليل له قيمته الخاصة، قيمة دينية روحانية، تتصل بالله مباشرة وفي ذلك تكون الإجابة من المؤكدات لأن المسافة بين الأرض التي نُطق بها والسماء التي سيُجاب فيها بسيطة،هذه السماء العامة انبثقت عن سماء خاصة بالشاعر نفسه في قصيدة " أنا لي سماء كالسماء" وكأنه يحاول إثبات وجوده الوطني عبر دلالات إيحائية تحملها الأسطر القادمة، يقول:

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ،ص9.

[2]- المصدر نفسه ، ص14.

أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء

أحملها على رأسي وأسعى في بلاد الله من حي لحي

هذي سمائي في يدي

فيها الذي تدرون من صفة السماء

فيها علو وانكفاء

وتوافق الضدين من نار وماء"[1]

له سماء مثل كل السماوات، له عالمه الخاص، وهذا إشارة للتماهي الحقيقي بين الشاعر وبين محيطه الذي يلفه،إنه تماهٍ بنى عبره سماءً خاصة به لكنها تحمل الألم والحلم، تحمل اليأس والتفاؤل، ولم يكتف تميم عند هذا الحد بل منح سماءه صفة الروحانية التي تتأهب لسماع وتلقي كرامات الإله ، يقول:

يا أخية هل تعلمين

لقد كان في الغار وعد بأن السماء ستُنثر

مثل أرز العروس على العالمين "[2]

حتى السماء تنتظر خيرات وبركات الغار الذي اختبأ فيه محمد وصاحبه.يرسم تميم عبر سطوره الشعرية علاقة الانسان بمكانه، علاقة تجذرت في الأرض وانطلقت وطاولت عنان السماء وما بعدها، علاقة الحب والارتباط حيا وميتا، فوق الأرض أو تحتها.

وسماؤه التي يحلم فيها وبها هي ذاتها سماء المغلوبين المقهورين في الرض فهي غطاؤهم وسقفهم من الرصاص وفي ذلك يقول:

في ذات يوم حارق، جلست لتضع طفلها تحت السماء

من حولها جثث على الصحراء"[3]

إن إنسانية تميم لم تمنعه أن يشير إلى أن السماء التي يسعى إليها هي نفسها السماء التي تحمي أهله وأحباءه.

من وجهة نظري إن علاقة تميم بالسماء علاقة بمجهول واسع كبير يرتبط لديه بحلم وأمل، لكن هذه العلاقة تشير إلى تجذر روحاني، استطاع " تميم" بشاعريته أن يشكلها في قوالب

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص 21.

[2]-المصدر نفسه،ص 54.

[3]- نفسه ، ص95.

فنية لها إنزياحاتها الدلالالية، وسأختم حديثي عن السماء بقصيدة:قبلي مابين عينينا اعتذارا ياسماء، والتي شكلت فرادة روحانية–في تقديري- وتميزا خاصا لسماء تميم ففيها إشارات دينية جمة، أشهرها قصة الإسراء والمعراج، مستنطقا السماء بين سطر وآخر، وكأنه يشهد الدنيا بكافة مكوناتها على عراقة وتاريخية موطنه فلسطين، ويثبت حقه الطبيعي في وطنه المسلوب منه، وهو بذلك لايثبت حقا شخصيا بقدر ما هو يثبت حقا عاما للعرب وللمسلمين، يقول:

قبلي ما بين عيننا اعتذارا يا سماء

قد حملنا منك مالا يحتمل

إن من أثقل ما يحمله المرء الهواء

حين يحوي كل ما تحوينه

أنت لوح حجري كتبت فيه وصايا الميتين

كاد يمحى ما عليه من جمل

يا سماء

أبلغي في ليلة الإسراء من بالمسجد الأقصى يصلي

من نبي أو إمام

اسمعوا يا من عليهم صلوات الله سرب من حمام

وأذان في الأعالي يتردد

بينكم من كلم الله جهارا

والذي لم يصل نارا

والذي عن أمره عمرت الجنان دارا

والذي يحيا مدى الدهر سرارا

حاضرا أو غائبا يبدو ويستخفي مرارا

والذي قد أتعب الناس انتظارا"[1]

استطاع "تميم " في مخاطبته للسماء واستنطاقه لها أن يبين قدر الفلسطينيين في نيل الشهادةمكرهين،وأن يبين ما آل إليه حال الناس في هذا الزمن الذي اختفت فيه كل القيم وضاعت المبادئ وماتت الضمائر،وذلك عبر استحضار مشهد محمد(صلى الله عليه وسلم) وخلفه الأنبياء والصالحين يؤدون الصلاة.

[1]– البرغوثي ،تميم:*في القدس* ، ص 99.

كثيرة هي الدلالات التي سعى تميم لإبرازها عبر تمظهرها في شعره بعد تجذر عميق يكشف عن علاقة متينة بين "الشاعر" ومكانه، ولكني ركزت على أكثرها وضوحا وجلاء فيما يختص بالسماء،والتي يستشعرها في السماء بقيم روحانية ودلالات شعورية تحمل زخما من الحاجة لإثبات الذات والشعور بالراحة والاطمئنان.

الأرض: تتجاوز الأرض عند" تميم" كل الدلالات الواقعية التي تحتملها المقاربات المباشرة، لتحمل بعدا أيدلوجيا فلسطينيا عربيا وإسلاميا، فهي ليست مجرد تراب ورمال؛ بل هي كل حالات التأويل التي تحتملها كافة المقاربات الفنية والأدبية، هي رمز للحرية والوجود والأمل،هي الوطن وأهل الوطن.إن علاقة تميم بالأرض علاقة العشق والحب والتوحد، علاقة الأرض بشجرها وثمرها، علاقة الأم بأجنتها، علاقة البذرة بتربتها، والأرض عندتميم لصيقة بالسماء وفي ذلك يقوال

هنالك يمشي الدعاء،
كمن يعرف الدرب، مشيا عزيزا
من الأرض حتى السماء
كأن المسافة بينهما مستطاعة"[1]

يؤمن تميم في الأسطر السابقة بأن دعاءه مستجاب لامحالة لأن المسافة من منبعه إلى مصبه قصيرة جدا؛ ولذا فإن ما سبق يدل على مدى العلاقة الوطيدة التي تربط بين الأرض والسماء، وتتضح هذه العلاقة عندما يعلن صراحة عدم قدرته على مغادرة الأرض حتى لوكانت مؤقة، وفي ذلك يقول:

أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء
فيها الطيور تطير دوما للوراء
شوقا إلى الأرض التي قد غادرتها لا إلى الأرض التي تمضي إليها"[2]

فالأراضي تتنوع، وتميم في تنوعهايدخل في حالة شوق دائم لأرضه الأم ووطنه فلسطين وليست أرض المنفى واللجوء، يقوول في قصيدة " أمير المؤمنين":

من آل بيت الرسول يا حسن — من لو وزنت الدنيا بهم وزنوا
جزيت خيرا عن أمة وهنت — فقلت لا بأس مابكم وهن
ليذكر الصبح أنه نفس — ويذكر الليل أنه سكن
ويذكر الغيم أنه مطر — وتذكر الأرض أنها وطن"[3]

---

[1]- البرغوثي، تميم:في القدس ، ص14.
[2]- المصدر نفسه ، ص21.
[3]- نفسه ، ص78-79.

تجاوزت العلاقة بين الأرض والسماء كل الحدود، لترتبط بروحانيات مرجعها مشاعر طيبة لآل البيت وأهله، حتى بات المطر يعرف سُكنَه، وتذكر الأرض بأنها وطن، وفي التذكر تكمن علاقة التجذر بالأرض والمكان الذي يتماهى في مشاعر الإنسان.

لقد قاربت الديوانين في إطار البحث بدقة لأصل إلى قناعة ذاتيةمفادها عدم انفصال الأرض عن السماء بأي حال من الأحوال، فهاهو يختم ديوانه" في القدس" بقصيدة " أيها الناس" يقول فيها:

أيها الناس أنتم الأمـــــراء بكم الأرض والسماء سواء
يانجوما تمشي على قدمـــيها كلما أظلم الزمان أضاءوا
وخطاهم في الأرض تسطر شعرا هذبته السراء والضراء"[1]

إنه يعظم من شأن المقاومين والمجاهدين والشهداء، واصفا إياهم بالأمراء، والأرض في افتخارها بهم هي والسماء واحد، ويكفي الأرض فخرا أنه أوكل إليها مهمة هذا التبجيل والتعظيم، فهاهي صفحة لخطاهم الكريمة، التي تسطر أروع القوافي والحروف.

إلى هنا أصل إلى ختام مقاربة الأرض مكانا عند تميم"، وهي مقاربة حاولت فيها أن أسلط الضوء على أهم ملامح تمظهر الأرض في شعر" تميم" ودلالات تلك التمظهرات فنيا ونقديا.

-الاتجاهات الأربع: إن الحديث عن الاتجاهات الأربع فإن هذا يقودنا إلى مساحة مفتوحة بلا حدود نهائيا، ولقد ضممت إليها كل المقاربات الخاصة بالمدى والأفق؛ لأنهما وإن كانا قد تم ذكرهما فرادى إلا أنهما يدخلان ضمنا، الأمر الآخر الذي أد الإشارة إليه وهو أن الاتجاهات الأربعةعندتميم لم يكن ذكرها اعتباطيا، فهي من وجهة نظري تحمل رؤى مختلفة، سعى الشاعر لإثباتها، منهاالسياسية والتاريخية والحضارية وغيرها الكثير،وفي المدى يتبدى العشق والحب، إنه عشق إلى الحرية والعطاء والانطلاق وفي ذلك يقول:

أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء
والمدى عشق يزيد
فيها طبول الحرب تسمع من بعيد
وكأنها عند المدى رعد وليد"[2]

وكما أن المدى شكلٌ من أشكال تمظهر الجهات، فإن الأفق كذلك أخذ نصيبا وافرا عندتميم. وعلى الرغم من أنه قد رمز إليه بالحرية في بعض أشعاره إلا أنه أشار إليه إشارة يُفهم منها مقصده في أن يكون الأفق رمزا للعدو الذي سيؤول للنهاية ، يقول:

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ،ص127 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 22.

لا شيء جذريا
نقطة العسل الكبرى التي تضيء الأفق الغربي
تكمل نزولها اليومي إلى البحر
وتذوب فيه فيحلو إلى حد ما"[1]

وهكذا استطاع تميم أن يرمز للدول المعادية بالأفق الغربي، لكن هذا الأفق سيفرز نقطة عسل تكون بداية النهاية لها.

أما الاتجاهات الأربع فلقد بدا تمظهرها واضحا ، ففي قصيدة الجليل يقول:

ويحسبه الناس جغرافيا...
وهو أرض شمال فلسطين
أعني شمال جنين تماما
جنوبي لبنان رأسا
جنوبي غرب دمشق مباشرة
وسط الشام كالطفل في المهد،"[2]

وظفتميم في المقطع السابق الاتجاهات الأربع في خدمة رؤاهالسياسيةوالوطنية والتاريخية والحضارية، وكأن " الجليل" ذو موقع استراتيجي خاص له تأريخه وسياسته وحضارته التي لاتغفل، إن هذا التعبير الذي نطقت به أشعار " تميم" يدل على تماهٍ واضح مع المكان بكل صوره. أما الصورة الأخرى التي رسمها الشاعر للاتجاهات الأربعة هي صورة القلق والتوتر التي تلفنا في المجتمع العربي فهاهو يقول:

إن انتظار الناس في بلدي
شبيه بانتظار القوس
لسعة سهمها في الريح
مثل حرارة المريض
أمل يعلق كالغسيل على الحبال،
تكاد تأخذه الرياح، ولايزال معلقا
متلويا فيها على خلق الجنوب أو الشمال"[3]

برزت في المقطع السابق صورة التوتر والقلق الذي يكتنف الناس الأبرياء وهم متتبعون لمصائرهم التي تتلاعب بها الدول الكبرى من ناحية، والحكام من ناحية أخرى، وتكتمل الصورة أكثر عند حديثه عن العراق في ديوانه " مقام عراق" يقول:

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص51.
[2]- المصدر نفسه، ص14.
[3]- نفسه ، ص32.

ياهلال

علم المؤمنين

أيها القارب المتأرجح ذات اليمين وذات الشمال

شمالك معتلة واليمين"[1]

لقد صور الشاعر حالة الضياع والانهزام التي تعرض لها القطر العربي الشقيق، فقاربه متأرجح ذات اليمين والشمال، لقد وظف معطيات المكان المادية والمعنوية لإبراز رؤيتهالسياسية، وفي ذلك فرادة كبيرة وتميز على صعيد عربي ووطني.

-الغيم:يأتي الغيم ليكمل صورة المكان المفتوح بلا حدود، وفي الغيم تتنوع مقاربات المكان وتتأرجح من القهر والظلم إلى الأمل واليأس، فالغيم قد يكون حنونا عطوفا باعثا للأمل يقول تميم:

لاشيء جذريا

ولأن الغيم على معرفة دقيقة بكمية المطر التي صنعت الطوفان

فهو أكثر سكان المشهد اطمئنان

ولأنه غيم حنون

مازال يبعث برسالة تلو الأخرى

للعجائز الذين تعلقت حياتهم بنشرة الأخبار"[2]

لقد استطاع الشاعر أن يرخي بسدول الأمل على مكانه المادي والمعنوي،إلى تشكيلالأمل من المعنوي و المادي في علاقة جدلية متينة، تبين مدى تجذر وتماهي الإنسان في مكانه.وتكتمل الصورة ولكن في تمظهر آخر عندما يكون الغيم بخيلا!!! وهذا ما قاله في قصيدة " خط على القبر المؤقت" والتي نظمها عقب وفاة الرئيس" ياسر عرفات" واصفا الجموع التي خرجت لتشييع جثمانه بقوله:

جموع كل من فيها وحيد ووحشتها تزيد إذا تزيد

وكل فوقه غيم بخيل وكل تحته أرض تميد"[3]

فالغيم في السطور السابقة بخيل، وكيف لا والميت حبيب القلوب بالنسبة لهم، من وجهة نظري، استطاع " تميم" أن يبعث الحياة بكافة مشاعرها في المكان، فلقد بدا الغيم فيما سبق حزينا بخيلا بخيره، وهذا دليل على انصهار الشاعر مع مكانه.مكان آخر للغيم بدا لنا فيه بتشكل آخر وتمظهر أكثر شاعرية، عندما ترتبط الوطنيات بالروحانيات يقول:

---

[1] -البرغوثي ، تميم: *مقام عراق*، ص10.

[2] - البرغوثي ، تميم:في القدس ،ص52.

[3] - المصدر نفسه ، ص67.

من آل بيت الرسول يا حسن من لو وزنت الدنيا بهم وزنوا
جزيت خيرا عن أمة وهنت فقلت لا بأس مابكم وهن
ليذكر الصبح أنه نفس ويذكر الليل أنه سكن
ويذكر الغيم أنه مطر وتذكر الأرض أنها وطن[1]

ربطتميم بين المكان وعلاقته ببيت الرسول لتحل البركات على هذا الغيم؛فيتذكر الغيم أنه مطر والأرض أنها وطن.لقد تمكن الشاعر من تكثيف كافة الرؤى الشعرية والثقافية والفكرية ليُخرج مكانه بصورة خارطة ذهنية نستشف عبرها تجذر المكان في ذاكرة الشاعر، وهذا بدوره يسمح بمقاربات شعرية شتى تتسع أكثر في خيال المتلقي مما يعمل على تأسيس نصوص أخرى ماتلفة أو مختلفة أو متشاكلة ايضا..

ب-المكان المفتوح بحدود: يمكن التطرق للمكان المفتوح بحدود عبر الحديث عن القدس والشوارع والطرقات والمدن والقرى.

-القدس: شكلت القدس أكثر الأماكن حضوراً ؛ شعريا ونفسيا وفنيا عند" تميم" حيث تمكن من رسم لوحة شعرية كاملة للقدس بدت فيها عذابات المدينة بأحزانها وأفراحها، بضحكاتها وآهاتها، بوجعها وألمها، فبدت الصور الخمسة والثلاثون(35) المرصودة من قبلي مختلفة عن الأخرى؛وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على تميز كبير في علاقة تميم بمكانه الخاص" القدس"، فالقدس كانت له الأهل والحب والوطن والتاريخ بكل تعرجاته وانحناءاته، وهي الدار وهي صورة العدو متمثلة أمامه، وأول ما يطالعنا صورة القدس بأنها دار الحبيب فهاهو يقول:

مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي وسورها
فقلت لنفسي ربما هي نعـــمة فماذا ترى في القدس حين تزورها"[2]
متى تبصر القدس العتيقة مرة فسوف تراها العين حيث تديرها

لقد بدت القدس في الأبيات السابقة وكأنها دار الحبيب، التي لانستطيع الوصول إليها،إنه تماه رائع مع المكان يكشف عن مدى أهمية هذه المدينة وتاريخيتها وعظمتها، فمتى أدرنا العين فيها سنرى القدس في صور شتى قديمة وحديثة، وتتضح الصور أكثر عندما تبدو التفاصيل الحياتية للقدس بدقة يقول:

في القدس، بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته يفكر في قضاء إجازة أو في طلاء البيت
في القدس توراة وكهل جاء من "منهاتن" العليايُفقّه فتية البولون في أحكامها
في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق
رشاش على مستوطن لم يبلغ العشرين

[1]- البرغوثي، *تميم:في القدس* ، ص78-79.
[2]- المصدر نفسه ، ص7.

قبعة تحيي حائط المبكى
وسياح من الإفرنج شقر لا يرون القدس إطلاقا
تراهم يأخذون لبعضهم صورا
مع امرأة تبيع الفجل في الساحات طول اليوم
في القدس أسوار من الريحان
في القدس متراس من الأسمنت
في القدس دبّ الجند منتعلين فوق الغيم
في القدس صلّينا على الأسفلت
في القدس من في القدس إلا أنت[1]

استطاع تميم رسم ملامح القدس ببراعة شديدة، متغلغلا في تفاصيل حياتية تجلت أمام المتلقي معنويا ونفسيا،فها هي القدس المدينة التي تضج بالحياة، وهي مدينة الجميع عبرها يبرز الشاعر كافة شرائح المجتمع المقدسي، فهذا بائع الخضرة وبجانبه رجل الدين البولوني،ورجل الشرطة والمتاريس التي تغلق الشوارع، والجنود الذين يمثلون المحتل، صور واقعية تضم كافة متناقضات الحياة، استطاع " تميم" تشكيلها وفق مخزون فكري وثقافي ورؤيوي تجذّر في داخله نتيجة التماهي بينه وبين المكان الذي شغل مساحات في بنيته الأيديولوجية.

والقدس عند" تميم" ليست مدينة عادية فهي ليست المدن الأخرى فهي تفرض نفسها بتاريخيتها وعراقتها وفي ذلك يقول:
والقدس تعرف نفسها
فاسأل هناك الخلق يدللك الجميع
فكل شيء في المدينة ذو لسان حين تسأله يبين"[2]

وفي ذلك إثبات لعروبة القدس وعراقتها وحضارتها وقدسيتها التي لايختلف عليها إثنان، وان كل ما في القدس متجذر فيها قبل اليهود. والقدس مدينة الديانات الثلاث، مدينة التسامح الديني والتآلف الطائفي وفي ذلك يقول:
في القدس أبنية حجارتها اقتباسات من الإنجيل والقرآن
في القدس أعمدة الرخام الداكناتُ كأن تعريق الرخام دخان
ونوافذ تعلو المساجد والكنائس"[3]

---

[1]- البرغوثي، تميم:*في القدس* ،ص7-8 .
[2]- المصدر نفسه ، ص9.
[3]- المصدر نفسه،والصفحة ذاتها .

حتى الأبنية استمدت جمالها وروعة بنائها من قدسية هذه المدينة وروحانياتها، والقدس تاريخ أمة وحضارة وسجل لايمكن إنكاره يقول:

في القدس مدرسة لمملوك أتى مما وراء النهر
في القدس تنتظم القبور كأنهن سطور تاريخ المدينة والكتاب ترابها
الكل مروا من هنا
فالقدس تقبل من أتاها كافرا أو مؤمنا"[1]

تضيق الصفحات في الحديث عن القدس، ولكن الشاعر استطاع أن يجمع تاريخ عالم بأكمله ويختصر حضارة أمة في سطور شعرية كشفت عن علاقة جدلية قوية بين الشاعر ومكانه من ناحية وبين نتاج هذه العلاقة وترسباتها في ذاكرته المتخيلة من ناحية أخرى.

- **المدن والقرى:** ثاني الأماكن المفتوحة بحدود والتي تمظهرت بقوة في الديوانين كانت القرى والمن، ولقد ادرجت ضمنها كافة المدن التي ركز الشاعر على إبرازها بمسمياتها صراحة وفي ذلك إشارات رمزية كان الشاعر يهدف إلى ترسيخها.

تنوعت تمظهرات المدن والقرى عند الشاعر في مسارين ، كلاهما يكمل الآخر ،بالعموم والخصوص يقول في قصيدة الجليل:

سلام على زين القرى والحواضر ومن هاجروا منها ومن لم يهاجر"[2]

يلقي الشاعر تحية وسلاما على كل القرى والمدن على البدو والحضر، على من هاجر ومن لم يهاجر، وفي ذلك تعظيم لبلده وفخر بوطنه لكل صغير وكبير في الداخل أو الخارج، وكأنه يريد أن يرسل رسالة خفية مفادها أنه يحمل مكانة وحبا وشوقا في قلبه لكل من يدب على أرض فلسطين من أهلها.أما بالتخصيص فلقد بدت واضحة وجلية عند الشاعر ولاسيما في ذكر أسماء بعض المدن بعينها ومن أهمها القدس التي تناولتها فيما سبق، ولكن الشاعر ذكر مدنا أخرى بعينها بل كررّها؛ وفي ذلك إشارات لتاريخها أو لإبراز مكانتها السياسية ودورها الفاعل في قضية وطنه، وقد تكون أداة لإبراز مكانة بلده ووطنه من بين هذه الدول، وقد تكون أيضا إشارة لإبراز أطماع العدو ،وفي ذلك يقول:

في القدس، بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته يفكر في قضاء إجازة أو
في طلاء البيت
في القدس توراة وكهل جاء من منهاتن العليا يفقه فتية البولون في

---

[1]- البرغوثي ، تميم:*في القدس* ، ص11 .

[2]-المصدر نفسه، ص13.

أحكامها

في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق"[1]

تشير الأسطر السابقة إلى أن مدينة القدس مدينة الجميع وهي مدينة مستهدفة من أكثر من عدو ولذلك تجده قد ذكر، جورجيا، بولندا، الحبشة (موطن اليهود وأكبر تجمع لهم) وهو المسيطرون حاليا على المدينة بقوة السلاح ، وفي موقع آخر يشير تميم إلى تاريخ وحضارة الأمة رابطا إياها بالنفحة الإسلامية والمعجزات الإلهية عندما أشار إلى فتوحات المسلمين التي توسعت حتى وصلت الصين، يقول:

يا أخية هل تعلمين

لقد كان في الغار وعد بأن السماء ستنثر

مثل أرز العروس على العالمين

لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة "[2]

كانت تلك بعض تمظهرات المدن والدول الغربية، والان سأستعرض بعضا من تمظهرات الدول العربية ومدنها التي تكررت بشكل واضح وملموس، وكان أكثرها بلاد الشام والعراق ومدنها، ومن ذلك لفظة " وسط الشام"،التي رمز بها إلى مكانة مدينة " الجليل " بين كافة المدن والبلاد التي تحيط به . يقول:

وهو أرض شمال فلسطين

أعني شمال جنين تماما

جنوبي غرب دمشق مباشرة

وسط الشام كالطفل في المهد،

وفي وسط الشام لفظ الجلالة ياسيدي قابل للزراعة

وفي وسط الشام تاريخنا

وفي وسط الشام تغدو السيوف رموز الوداعة"[3]

أعتقدأن لفظة " وسط الشام" تحمل إشارتين: الأولى إشارة إلى مكانة " الجليل " بين كافة المدن والبلاد الأخرى التي تحيط به؛ وهي إشارة عامة تحمل بعدا سياسيا وتاريخيا وطبوغرافيا للمدينة مما جعلها تتميز عن المدن الأخرى والقرى والحواضر الموجودة في فلسطسن، أما الثانية

---

[1]- البرغوثي تميم:*في القدس* ، ص7.

[2]- المصدر نفسه ،ص54.

[3]- نفسه ، ص14.

فهي إشارة خاصة بالشام نفسها، وإشارة لتاريخيتها وعراقتها بدءا من الروم والبيزنطيين وانتهاء بالخلافة الأموية بها.إن " تميم بهذا الطرح يرسخ لوطنيته وعروبته التي لاتنفصل عن بعضها ولذلك وجدته يقول:

ولذا فإني منذ أعوام أطيل البحث للحكام عن عمل مفيد
وأعيد تركيب التواريخ القديمة،
وأعيد ترتيب الخرائط، حيث أجعل سور بغداد عقالا في رؤوس
الأكرمين
ونيل مصر، نهر خيل تحت قوم غاضبين
وغوطة دمشق تنبت في زمان الحرب، رمحا كي يصون الياسمين"[1]

يتضح مما سبق أن تميما قد بدأبالقدس نقطة الارتكاز التاريخي والديني معرجا على أهم المدن في فلسطين، ثم منطلقا إلى الشام ومصر وبغداد، وكأنه في ذكره لها يؤرخ لعراقة تلك المدن وحضارتها قبل الإسلام وبعده، ويزداد المكان تشكلا وتمظهرا عند ذكر العراق ومدنها في قوله:

كفوا لسان المراثي إنها ترف عن سائر الموت هذا الموت يختلف
هذي مصيبة لايرقى الحداد لها لا كـــربلاء رأت هذا ولا النجف"[2]

فمصيبة العراق، مصيبة تتوقف عندها كل المصائب عجزا وقهرا في أن تعبر عنها، حتى أن ما يحدث في المدينتين (كربلاء والنجف) لايساوي شيئا مما حدث ببغداد خاصة والعراق عامة.

ولعظم المأساة التي حلت بالعراق كرّر الشاعر جملة " أرى العراق طويل الليل" في أكثر من مقطع في ديوان "مقام عراق " وفي ذلك إشارات سياسية لحجم المؤامرات التي تعرض لها العراق خاصة والوطن العربي عامة يقول:

" أرى العراق طويل الليل"
قالها جدنا يرثي أميرة من بني حمدان،
يقول إن ليله طال وهو بالعراق بعيد عنها،
فكيف بليل أخيها في حلب،
ليس للبيت كبير معنى، لكن أثقله التاريخ
" أرى العراق طويل الليل"[3]

---

[1] – البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص25 .
[2] – البرغوثي ،تميم : *مقام عراق*،ص 9 .
[3] – المصدرنفسه، ص22.

إن مجرد ذكر " العراق" في رأي هو دليل واضح على تجذر المكان العربي والإسلامي في وجدان الشاعر وهو إشارة أخرى لتشكل هوية الشاعر عبر تمظهرات المكان لديه، وتكتمل الصورة مرة أخرى بإبراز تاريخ العراق ومكانتها بين الدول:

نخل العراق وإن

شككت في نيتي

فاسأل شيوخي في

سوح المساجد تعلم

أني حافظ للقول مؤتمن

نخل العراق اسرد التاريخ مكتملا

كما شهدت عليه لا كما وردا"[1]

وليس العراق وحده الذي برز بوضوح؛ بل هناك " بغداد" التي حملت الحلم والتاريخ والقهر والظلم، وكأن بغداد القدس في صورتها المصغرة وفي ذلك يقول:

أنا بشار بن برد

قائد العميان في طرقات بغداد إلى أبياتهم والمبصرين "[2]

وفي موقع آخر:

وأعيد ترتيب الخرائط، حيث أجعل سور بغداد عقالا في رؤوس

الأكرمين"[3]

يتضح مما سبق تمظهر بغداد عند الشاعر في صورتين تكملان بعضهما ، الصورة الأولى هي صورةالحضارة والعلم والثقافة، والصورة الثانية هي الصورة السياسية ومكانتها بين المدن وقوتها السابقة واللاحقة، ولم يكتف الشاعر بذلك، بل جعل بغداد أذانه الأول:

أنا من أذن تحت القصف فجرا

أفتل الصوت حبالا

أربط الأفق بها ان يتهاوى

مثل إعصار وبحار وقارب

---

[1]- البرغوثي ،تميم : *مقام عراق* ، ص34-35.

[2]- المصدر نفسه ، ص32.

[3]- البرغوثي تميم:*في القدس* ، ص25.

كل من أذن في بغداد مثلي
ألف بحار وبحار يشدون كالمراكب
تتهاوى ونشد
أنا بشار بن برد"[1]

وسأختم تمظهر المكان البغدادي بهذي الأبيات التي تبرز الزخم النفسي والروحي الذي يكتنف شاعرية " تميم" يقول:

يا أهل بغداد يا أهل المـــرؤات الحق فيكم صحيح الوصف والذات
لافي الأراضي ولا فوق السماوات يا بارك الله في تلــك العبـــــاءات"[2]

أصل لختام مقاربتي النقدية التى خصصتها لتمظهرات المدن والحواضر العامة والخاصة عند " تميم" ولقد كان ذلك غنيا، سعى الشاعر لتشكيله في قوالب قابلة للتأويل والإنزياح وفق علاقات تأويلية سعى الشاعر لبسطها امام المتلقى عبر سطوره وأبياته الشعرية.

-الشوارع والطرقات والساحات: تعد الطرقات والساحات والشوارع من أهم الأماكن المفتوحة بلا حدود – في تصنيفي الخاص-؛ لأنها من وجهة نظري نقطة الالتقاء الحقيقي بين الناس بعضهم على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم ورؤاهم؛ ولذلك فإن الذات الشاعرة تنطلق فيها في محاولة للتعبير عن مكنوناتها الداخلية، ومن تلك الصور التي لمستها عند" تميم" صورة الشارع الذي ينبض بالحياة العادية يفي قوله:

في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق
رشاش على مستوطن لم يبلغ العشرين
قبعة تحيي حائط المبكى
وسياح من الإفرنج شقر لا يرون القدس إطلاقا
تراهم يأخذون لبعضهم صورا
مع امرأة تبيع الفجل في الساحات طول اليوم"[3]

---

[1]- البرغوثي،تميم : *مقام عراق*،ص 33 .
[2]- المصدرنفسه، ص61.
[3]- البرغوثي تميم:*في القدس* ، ص7.

يصف الشارع اليومي العادي في مدينة القدس، السواح يلتقطون الصور مع امرأة بسيطة تبيع الفجل في الساحات، وكأن الساحات معلم حضاري من معالم القدس،ومن الصور الأخرى، صورة الشارع الأليف، صورة الأهل والأحباب:

أنا مادح العرش الذي وقفت عليه غزالتان

تهدي عيونهما إلى الناس الأمان

أهلي ظباء من حجر

أهلي الشوارع والصور"[1]

فكل مافي الشوارع من صور ومناظر وغيرهاهي بالنسبة له أهله، والشارع عند " تميم" هو ممر ومعبر لكل أصحاب المبادئ والأهداف السامية،يعبر عن الحرية بالصبح وهو يمشي بين الشوارع، يقول:

يا أمة في الغار ما حتم علينا أن نحب ظلامه

إني رأيت الصبح يلبس زي أطفال امدارس حاملا أقلامه

ويدور مابين الشوارع، باحثا عن شاعر يلقي إليه كلامه

ليذيعه للكون في أفق تلون بالنداوة واللهب"[2]

بهذا يثبت تميم أن الشوارع ليست ممرا وحسب لعامة الناس بقدر ماهي محط حضور الماديات والمعنويات على حد سواء،وكما كانت الشوارع ممرا ومعبرا فهي نقاط التقاء والتماس للمقاتلين أيضا:

سأحمل كيسا من الصوف،

وأمر به على الناس كالشحاذين،

يضع كل منهم فيه شيئا:

قطرة ندى،

حذاء قديما،هندام مقاتل في بيروت،

يطلق النار من زاوية الشارع"[3]

---

[1] - البرغوثي تميم:*في القدس* ،ص29.

[2] -المصدر نفسه ،ص60.

[3] - نفسه ،ص68.

تشير الأسطر السابقة لمحطات حرجة من حياة الرئيس "عرفات" ولاسيما بعد خروجه من لبنان عن طريق البحر من بيروت عام 1982 بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان، مستخدما الشوارع للدلالة على انتشار القتال في تلك الفترة، فكما أن الشوارع تعرض مختلف لوحات الصداقة والحب والبيع والشراء واللقاء والفراق؛تحمل أيضا مفارقات أخرى مثلالدم والقتال والهروب والإقدام ، ويتابع تميم رسم صورة الشارع بحروفه،فيرجع بنا إلى الماضي للاسترجاع بهدف شحذ الهمم لإعادة مايمكن إعادته وفي ذلك يقول:

"امتدت يد من ورائي

تعدت أربعة عشر قرنا،

ربتت على كتفي:

لاتخف، لست وحدك، مادمنا معك فلن تنقطع

والتفت فإذا بهم جميعا هنا

سكان الكتب

أئمة وحاة وشعراء

وخيل تملأ البيت وتفيض على الشارع

وتخوض عدة أميال في البحر"[1]

إنه يبث الأمان في أرواح المقاتلين في جنوب لبنان عام 2006، وكأنه يستحثهم للمضي لقتال الأعداء وعدم الخوف والرهبة من أي شيء.واختم تمظهر الشوارع والطرقات بسطور شعرية كتبها الشاعر في السيد" حسن نصر الله" ومن يتبعه على هدي النبي وسنته، يقول:

يصلي عليك هواء البلاد

إذا ما تعالى عليه دخان المقاهي

يشيب له الجوُّ بضع دقائق

ثم يعود شبابا إذا عبرت نسمة في الطريق

نسمة من رجال مقاتلة في الخلا والمضيق"[2]

لقد أدت الطرقات والشوارع والساحات وظيفتين رئيستين عند تميم الأولى: الوظيفة الطبيعية في إبراز قيمتها المعنوية وإيصال كلمته المنشودة للجميع،أما الثانية:فوظيفة الشاعرية؛

---

[1]- البرغوثي تميم:*في القدس* ،ص78.

[2]- المصدر نفسه ، ص84.

وهي التي عبر الشاعر عبرها عن كل مكنونانه الشعرية وأبرز الطرقات والساحات بكافة الصور الإيجابية والسلبية، إذ منح تميم لشوارعه وطرقاته الحياة ودفقات الحيوية الفنية لتسمح لنا بمقاربات وإنزياحات شعورية تعلي من شأن تلك الطرقات والساحات وتحوّلها من مجرد رمال وتراب ومركبات إلى قلوب تنبض بالخير والحب والعطاء والألم والقهر والظلم.

وتجدر الإشارة هنا –من وجهة نظري- إلى ضرورة المقارنة بين المكان المغلق وبين المفتوح في تمظهرهما في الديوانين :

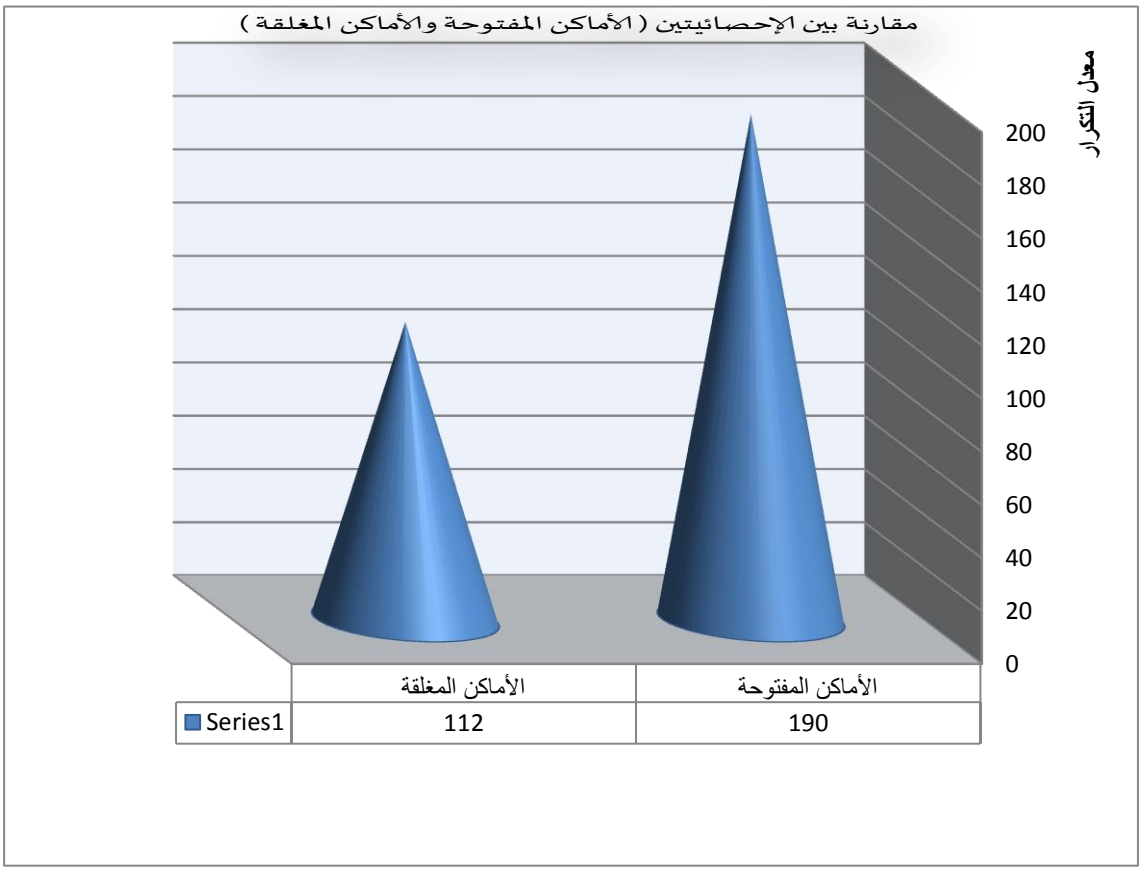

في قراءة موجزة لتمظهر الأماكن المفتوحة والمغلقة في الديوانين وجدنا أن الأماكن المفتوحة تفوقت على الأماكن المفتوحة بصورة كبيرة، و يرجع هذا من وجهة نظري إلى عدة أسباب أوجزها فيما يأتي:

1-تمثل الأماكن المفتوحة بالنسبة للشاعر المتنفس الحقيقي للتعبير عما يجيش في صدره من مشاعر وأحاسيس.

2-الأماكن بانفتاحها تعمل على فتح مسارات كبيرة وكثيرة للشاعر والمتلقي معا؛ مما يساعد في عملية توسيع دائرة المخزون الشعوري لديهما.

-3وهي بانفتاحها ايضا تسعى لتوسيع دائرة المقاربات مما يهيء فرصة كبيرة لإنزياحات فنية ونقدية شتى أمام المتلقي.

4- عملت الأماكن المفتوحة على التخفيف من حالة الضغط النفسي التي تحيط بالشاعر،فبدأ أكثر صبرا وهدوءا ورباطة جأش لايمكن إنكارها.

5-استطاعت الأماكن المفتوحة التعبير بكل حرية عن عروبة الشاعر ووطنيته وقوميته بدءا من الشوارع والأزقة انتهاء بالغيوم والمدى والأفق البعيد.

بذلك أكون قد ختتمت مقاربتي لمستويات المكان بنوعيها المغلق والمفتوح، وفي كليهما اندرجت مستويات أخرى،عند تميم .

ثانيا : بلاغة المكان وجمالياته لغويا وفنيا

إن الحديث عن مستويات المكان وجمالياته يقودنا للحديث عن بلاغة المكان من الناحيتين اللغوية والفنية، ذلك أن "تميما" يحمل قدرة رائعة في التعامل مع الكلمات والحروف من ناحية وفي رسم الصورة الشعرية بكل درجاتها من ناحية أخرى، إذ لاتستوي جمالية المكان عند تميم دون التطرق إلى تلك الجوانب المهمة؛ لأن الشاعر في تقديري يسعى عبر لغته وتراكيبه وصوره إلى ترسيخ رؤى فكرية وثقافية وتاريخية، ولقد استطاع " تميم" بمهارته الفنية الفائقة أن يمتلك رؤية راقية في التعامل مع الحس الإنساني بوجه عام والحس العربي بوجه خاص تستثيرهما وتجعل منهما محط أنظار الجميع من الاهتمام والتركيز. وعليه فقد قسمت الجزء الثاني في هذا الفصل إلى مبحثين، أحدهما يتعلق بالمكان وجمالية البنية اللغوية والاخر ببلاغة المكان بين الوصف والصورة الشعرية.

1-المكان وجمالية البنية اللغوية:

للغة دور بارز ومهم في الكشف عن جماليات المكان عند"تميم البرغوثي"، فالشاعر أسس لمكانه عبر تلك اللغة الشاعرية المكثفة التي تزخر بالانزياحات اللغوية والتي تسافر بالمتلقي وتسمح بمقاربات شتى، وهنا لابد أن نميز بين نوعين من اللغة،هناك اللغة العادية وهي لغة الجمهور أو لنقل المادة الخام للغة الفنية التي يكيفها الشاعر ويعيد تشكيلها وفق تجربته ورؤاه الشعرية فتنتج لنا لغة ثانية مفعمة بالأحاسيس والمشاعروتزخر برؤية الشاعر وهي اللغة الفنية؛ " لأن الرؤية تتشكل من صميم اللغة الشعرية، فليس ثمة مضمون منفصل عن حركة البنية الداخلية للفن الشعري، فإدراك الواقع إدراكا جماليا يلغي بالضرورة عملية الفصل بين الشكل والمضمون "[1]،ومن

[1]- طاهر مسلم ، عبد:*عبقرية الصورة والمكان*، ص52.

خلال ماسبق أرى إن الاقتران الحاصل بين اللغة والمشاعر هو الجمالية اللغوية بعينها، وهو الانزياح الشعوري الذي لايستطيع الشاعر كبح جماحه، فإن تحقق ذلك، فقد نجح. " فاللغة هي أول مثيرات الشعر، والشاعر لايكون شاعرا حقيقيا إلا بتفعيل لإيقاع لغته بالمظاهر الفنية، والتشكيلات اللغوية المثيرة"[1]، في ضوء ما سبق يتضح لي أن القصيدة عمل خاص جدا له ظروفه وطرقه وأساليبه ومع مرور الوقت يكون له متلقٍ خاص جدا، فالمبنى المكاني مع المبنى اللغوي يشكلان معاجسدالنص وأداءه الفني،بل إن " البنيةاللغويةتمثل الأساس الأول للأداءالشعري،وتظل هذه البنيةاللغوية – كذلك -لهاتميزها الذي يمنح القصيدة وجودها الفني"[2] ولأن اللغة وسيلة في التأثير،اخترت أن أتحدث في هذا الجانب عما ياتي:

-جماليات الاستهلال والخواتيم الشعرية.

-تشكل المعجم الشعري ودوره في بلاغة المكان.

- المكان وخصوصية التركيب.

أ-جماليات الاستهلال والخواتيم الشعرية:

يطلق غالبا على أي استهلال لعمل أدبي مصطلح " العتبات " إلا أنه في مقاربتي لبعض تلك العتبات عند تميم لم أشأ أن أسميها بذاك المصطلح؛ ذلك أنه من وجهة نظري إذا كانت بدايات وعناوين القصائد تدخل ضمن العتبات فإن خواتيمها لاتدخل ضمن ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن بدايات القصائد وخواتيمها عند تميم تشكل فرادة فنية تميز بها تميم عن غيره من الشعراء؛لذلك فإن استخدام مصطلح " الاستهلال والخواتيم" هو اجتهاد ذاتي.

يمكن تعريف جماليات الاستهلال والخواتيم الشعرية -وفق رؤيتي- بأنها تلك الجمل والأبيات المثيرة التي يفتتح ويختم بها الشاعر نصه، وبين افتتاحية النص وخاتمته تكمن بؤرة الايحاءات الشعرية والدفقات النفسية، و"تميم البرغوثي" استطاع تطويع اللغة بصور كثيرة فوجدناه يكتب القصيدة بكافة أنواعها، العمودية، التفعيلة، النثر، وقد يبدأ قصيدته بالعمودي ثم ينتقل إلى الحر، ليعود مرة أخرى إلى العمودي في انسجام كامل وتام دون خلخلة إيقاعية أو فنية، ولقد تنوعت الاستهلالات النصية والخواتيم عند تميم ونظرا للضرورات البحث المنهجية

[1] – شرتح ، عصام: *تميم البرغوثي :ميزات الأسلوب الشعري.دراسة نصية في المحفزات الجمالية ومختارات شعرية* ، ص13.

[2] –عيد، رجاء: *القول الشعري، منظورات معاصرة*،ط1،منشأة المعارف – مصر ، 1995، ص34.

والعلمية سأكتفى بخمسة نماذج؛،ففي قصيدته المشهورة والموسومة بـ : " في القدس" ظهر تماهي القديم مع الجديد بدءا بالاستهلال؛ إذ بدأ القصيدة على طريقة الشعر العمودي ثم انتقل إلى الشعر الحر بعد ستة أبيات وفي ذلك هدف يرمي عبره إلى التماهي مع موضوع النص وعدم حدوث خلخلة لدى المتلقي فبدأها بقوله:

مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي وسورها
فقلت لنفسي ربما هي نعمة فماذا ترى في القدس حين تزورها
ترى كل ما لا تستطيع احتماله إذا مابدت من جانب الدرب دورها
وما كل نفس حين تلقى حبيبها تســر ولا كل الغيــاب يضـــيرها
فإن سرها قبل الفراق لقاؤه فليس بمأمون عليها ســـــرورها
متى تبصر القدس العتيقة مرة فسوف تراها العين حيث تديرها"[1]

إنه استهلال تقليدي غير عادي، تقليدي من حيث الشكل، ولكنه من حيث المضمون مختلف، لأنه لايتحدث عن دار المحبوبة كما هو متوقع، إنما يتحدث عن محبوبته "القدس"وفي ذلك مايعمق الرؤي التي يسعى الشاعر لإيصالها للمتلقي، وقد سبق وأن تناولت ذلك بالتفصيل والتي يمكن إيجازه في ترسيخ عراقة وقدسية وتاريخية المدينة المقدسة وتأكيد على هويتها العربية والاسلامية، وبيان مدى ارتباطه بوطنه حتى وإن طال به الزمان. ومما يؤكد هذه الرؤى تلك الخاتمة التي ختم بها قصيدته والتي يقول فيها:

لا تبك عينك أيها العربي واعلم أنه
في القدس من في القدس لكن
لا أَرى في القدس إلا أَنت"[2]

والشاعر وإن بدا متشائما في بداية نصه في استحالة دخوله القدس؛ إلا أنه ختمه بالأمل الذي يكتنفه وهو أنه لايرى في القدس إلا الهوية العربية، لأنه الأصل المتجذر فيها.إذن هذه إحدى الاستهلالات والخواتيم، بدا بالتشاؤم وختم بالتفاؤل، بدأ التقليدي ليهيء المتلقي بكل صوره وحالاته وختم بالجديد الذي شجع فيه المتلقي على متابعة مافي الديوان من نصوص أخرى.

ومن القصائد التي شكلت خصوصية عند" تميم " في استهلالها وختامها – من وجهة نظري- قصيدة " أنا لي سماء كالسماء " والتي يقول في استهلالها:

انا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء
أحملها على رأسي واسعى في بلاد الله من حي لحي

---

[1] – البرغوثي، تميم: *في القدس*، ص7.

[2] – المصدر نفسه ، ص12.

هذي سمائي في يديّ"[1]

ويختم بقوله:

ياليت أرضا،

أيّ أرض،

في يديّ"[2]

تتضح في السطور السابقة الخصوصية التي بناها تميم لنفسه، فلقد استهل نصه بالتأكيد على امتلاكه للسماء التي هي حق مشاع للجميع ،ولكنه ختم نصه بالأمنية في امتلاكه للأرض، هذا الاستهلال والختم يخالف السابق، فلقد بدأ بالفرحة المؤكدة وانتهى بالأمل الحزين، استهلال وختام له إيقاعه النفسي ودفقاته الشعورية التي يستشعرها كل من قرأ سطور النص السابق.

ومن النصوص الشعرية الأخرى التي تحمل دلالات إيحائية في استهلالاتها وخواتيمها قصيدة "لاشيء جذريا" والتي بدأها بالنفي وختمها بالتأكيد، فهاهو يقول في الاستهلال:

لاشيء جذريا

ستسقط المدن العاليات"[3]

ويختم بقوله:

أيها الناس

ستنتصرون"[4]

وبين الاستهلال والخاتمة يكمن الترابط النفسي والدلالي عند الشاعر في افتخاره بأمته وبشعبه، وكأن بداية الخيط في الاستهلال تعطي إشارة بانتهاء الغرزة للنص في الخاتمة لتلخص رؤية الشاعر في حث بني وطنه على الصبر والمضي قدما نحو النصر.

صورة أخرى للاستهلال والختام، تفرد بها " تميم" وهي الاستهلال والختام بالسرد الشعري،وهذا ما أجده في قصيدة:"تقول الحمامة للعنكبوت" وفي استهلالها يقول:

تقول الحمامة للعنكبوت أخية تذكرتني أم نسيت؟

عشية ضاقت علي السماء فقلتِ على الرحب في الغار بيتي

وفي الغار شيخان لا تعلمين حميـــــتِهما يومــها أم حميت"[5]

---

[1]- البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص21.

[2]- المصدر نفسه، ص26.

[3]- نفسه، ص49.

[4]- نفسه ، ص52.

[5]- نفسه، ص53.

ويختم بقوله:

تقول الحمامة لما رأتروح حارسة الغار فاضت

وقد أصبح الغار من بعدها طللا:

تعزي قليلا وخلي من الدمع ما هملا

ثم ميلي إلى كل طفل وليد

وقصي عليه الحكاية

قولي له:

في زمان مضى

حل في غارنا

عربيان

وارتحلا..."[1]

لقد بدأ نصه بسرد شعري على النظام التقليدي سعيا لجذب المتلقي فهذا الاستهلال القوي الشاعري أسهم في القفلة الشاعرية في الختام نظرا لتآلف الاستهلال مع مضامين القصيدة، ومما يلفت الانتباه تلك النقاط الثلاث التي وضعها في الخاتمة وكأن النص لم ينته بل له تكملة تركها لمتخيل المتلقي.

استهلال آخر مع خاتمة في بوتقة شكلية واحدة إلا أن بين الاستهلال والخاتمة يكمن سحر البيان وجمال التعبير وهذا ماوجدته في قصيدة " كفوا لسان المراثي" والتي جاءت في تسعةٍ وسبعين بيتا وسطرا شعريا وقصيدة واحدة ، استطاع " تميم" أن يختزل كل الألم العربي والاسلامي فيها وأن يؤرخ لمأساة شعب عربي شقيق ارتكبت بحقه كل أنواع العذاب في زمن التقدم والتطور، " مقام عراق" أو ما نسميها ب" كفوا لسان المراثي" مطولة شعرية، كتب فيها تميم كل ألوان الشعر العمودي والتفعيلة والنثر والقصصي والسردي ، استهل قصيدته بالشعر العمودي قائلا:

كفوا لسان المراثي إنها ترف — عن سائر الموت هذا الموت يختلف

وضمدوا النخل سبعا إنه زمن — للحرب لا السلم فيه يرفع السعف

ضل الكلام وضل المهتدون به — إن الصفاتِ خِياناتٌ لما تَصِفُ

المرء سر ووجه المرء يكتمه — تحتار هل عرفوا أم بعد ما عرفوا

تخبرهم فترى في صمتهم خدرا — كالشيخ عزاه عن قتل ابنه الخرف

[1] – البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص56.

إن يصبروا لا تصدق أنهم صبروا أو يضعفوا لا تصدق أنهم ضعفوا
يا من تصيحون يا ويلي ويا لهفي والله لم يأت بعد الويل واللهف
هذي المصيبة لا يرقى الحداد لها لا كربلاء رأت هذا ولا النجف"[1]

وختم بقوله:

أبحث عن قبر من نبكي فلا أجد فالشهداء جميعا هاهنا وفدوا
حتى الحسين يعزيهم بمن فقدوا هل مات من أحدأم لم يمت أحد
أم أنهم كلهم موتى وما عرفوا
كفوا لسان المراثي إنها ترف"[2]

استهل القصيدة بالشعر العمودي وختم بقفلة مغايرة للاستهلال، إلا أن المثير هو تكرار الجملة نفسها التي استهل بها والتي ختم بها " كفوا لسان المراثي"ولاسيما عندما قال: أنه يبحث عن صاحب القبر الذي يبكيه، ليكتشف أن الجميع شهداء وأن الموت هو القاسم المشترك بين الجميع، إن الاستهلال والختم بالجملة نفسها يعطي النص بعدا فنيا له مذاقه الخاص؛ مما يشحن الدفقات الشعورية لدى الشاعر والمتلقي معا بالإيحاء والتموج الدلالي والتناغم الروحي الممتع.

ب-تشكل المعجم الشعري ودوره في بلاغة المكان :

يقول الشاعر الألماني ريلكه(1875-1926): إذا أردت أن تكتب سطراً شعرياً واحداً يجب أن تكون قد زرت مدناً كثيرة ورأيت أشياء كثيرة وقطفت زهوراً كثيرة. فالقصيدة هي خلاصة كل هذه المعاناة والتجربة."[3]لذلك تعتبر اللغة الشعرية من أكثر العوامل التي ساعدت على فرادة مكانة تميم الشعرية؛ فقد ابتعد بتلك اللغة عن معانيها المعجمية وارتقى بها عبر وسائل وثيمات فنية إلى إيحاءات شعورية أدت إلى ابتداع علائق بين الألفاظ ذاتها،" لأن لغة الشعر لغة إيحائية إشارية،لاتعين الأشياء أو المعاني مباشرة، وإنما بالرموز وتنفر من تسمية المعنى وتحديده؛ بل تتعالى على التسمية والتحديد، فهي لغة تتعامل مع الوجود لكن دون أن تسميه أو تسمي أشياءه، ومن

---

[1]- البرغوثي،تميم: *مقام عراق*، ص9.

[2]- المصدر نفسه ،ص79.

[3]-السميري، طامي:بين الرحابة والضيق الشاعر.. ومأزق تشكل المعجم الشعري، *صحيفة الرياض اليومية*، الخميس 20 جمادى الآخرة 1428هـ - 5 يوليو 2007م - العدد 14255 /مقالة إلكترونية ضمن موقع الويب والرابط:
http://www.alriyadh.com/262183

دون أن تفسره بأنها تواريه، وتوريّه في الوقت نفسه، أو تواريه عبر توريته، أي توحي به مخفيا"[1]؛ أسهمت اللغة بشكل كبير في تشكل المكان عند"تميم البرغوثي" فهي تسير في خطين متوازيين،يقود الأول إلى الآخر: أولهما الخط الفيزيقي الذي يربط بين الألفاظ وأصولها المادية، والآخر الذي يربط بين المدلولات نفسها وبين ماتثيره في النفس من مشاعر.

إن الحديث عن تشكل المعجم الشعري عند تميم حديث ذو شجون؛ لأن المعجم الشعري لديه يرتبط بأهمية شعره ككل، كون تميم لم يقتصر في شعره على معجم شعري واحد؛بل وجدته قد منح شعره مساحة حرية لفظية، استطاع عبرها وببراعة أن ينظم عقودا وسلاسل أدبية وفنية، فنراه ينوّع بين الفصحى انتقالا إلى العامية مرورا باللهجات الخاصة بكل شعب على حدّه،ولقد آثرت في هذا الجزء من بحثي أن أركز على الثلاث معاجم شعرية الأكثر تمظهرا في ديوانيه المعنيين بالدراسة فوجدت أن هذا التمظهر يتشكل وفق مايلي:

1-شعر باللغة الفصحى. 2- شعر بالعامية. 3- شعر باللهجات المحلية وفق البيئة الجغرافية.

أرى أن هذا التنوع يفضي بنا إلى أن "تميما" شاعر جماهيري كنزار قباني قبله، يقرؤه الأمي والمتعلم، الطالب والأستاذ، العامل والمثقف، وكلٌ يفهمه حسب بيئته ورؤيته، وكأنه أرد بهذا التنوع اللغوي توسيع منافذه الأدبية والفنية في سبيل إيصال رؤاه الفكرية والثقافية والأيدلوجية لأوسع شريحة قارئة للشعر. لقد بدا " تميم" عبر هذا التفرد المعجمي وكأنه رجل تاريخ أو سياسة أو رجل دين، بدا متلونا فنيا في لغته بتلون مكانه وتنوعه وتشكله على الصعيد الواقعي والفني والنقدي،وبنظرة نقدية سريعة، أشير إلى أن العوامل التي ساعدت على تشكل هذا المعجم الشعري المتميز هي:

1-تنوع الرؤى التي يسعى تميم لإيصالها بين الرؤية الثقافية والسياسية والفكرية والدينية وهي رؤى مرنة يؤمن بها ويسعى لترسيخها.

2-التنوع في طبيعة البيئة والمرجعية الجغرافية التي ينتمي إليها تميم فهو فلسطيني عاش في مصر وهاجر إلى أمريكا ثم عاد إليها وهو في حالة حل وترحال.

3-التموجات الشعورية ودفقات الحس الباطني التي تستوطن نفسه.

[1]– عبد مسلم ، طاهر : *عبقرية الصورة والمكان*، ص44.

كل هذه العوامل أسهمت في تقديري بشكل أو بآخر في تشكل المعجم الشعري عند " تميم" والتي غذاها بتجاربه مختلفة التوجهات، مع الأخذ بالحسبان بأن ألفاظ الشاعر في قصيدته تتغير وفق طبيعة الرؤيا التي يسعى لترسيخها عند القارئ.ولأن ظروف البحث العلمي تحتم عليّ الالتزام بمنهجيات وضوابط خاصة به فإنني سأسلط الضوء على أكثر تشكلات المعجم الشعري تمظهرا وفق ماذكرته سابقا وهي:1-شعر باللغة الفصحى. 2- شعر بالعامية. 3- شعر باللهجات المحلية وفق البيئة الجغرافية.

-اللغة الفصحى:

كان شعره باللغة الفصحى الأكثر تمظهرا في ديوانيه " في القدس،ومقام عراق" ولقد بدا على مستوى الشعر العمودي التقليدي وشعر التفعيلة والعمودي والتفعيلة جنبا إلى جنب ، ومن الشعر العمودي قوله:

يطير حمام بيت الله نحوي لأروي عنه أشعارا ويروي
يريد بما به تخفيف ما بي فيرجعني كلا الشجوين شجوي
وظني ما يحج الطير إلا لجمع الشعر من حضر وبدو
ولولا الشعر من عرب أحبوا إذن خلق الحمام بدون شدو
يقولون أنو أن تنسى هواها وهل ينسى ابن آدم حين ينوي
وقيل تقو يا هذا بصبر وإن الصبر يضعف لا يقوي "[1]

وفي مكان آخر من ديوان " مقام عراق " يقول:

يسألني عن مكان البيت مبصركم ياباني البيت فاحفظ أين تبنيه
قوموا إذا ما أردتم أن يقام بكم فقد يؤخر من خير تمنيه
بئس انتظاركم القوم اللذين مضوا إن انتظاركم حبس وهم فيه"[2]

أما على مستوى شعر التفعيلة فنجده يسير جنا إلى جنب مع الشعر العمودي بالتبادل بين كل مقطع وآخر وهذا نجده مثلا في قوله:

تقول الحمامة للعنكبوت أخي تذكرتني أم نسيت؟
لقد طفت كالشك كل البلاد وأنت هنا كاليقين بقيت

[1]- البرغوثي،تميم: *في القدس*، ص121.
[2]- البرغوثي،تميم:*مقام عراق* ، ص30.

فلم أوت علمك مهما علمت ولم أرق يوما إلى ما رقيت
فأنت لبنياننا كالثبات، وأنت لبرهاننا كالثبوت
تقول الحمامة لما رأت روح حارسة الغار فاضت
وقد أصبح الغار من بعدها طللا
يا أخية ضيفاك ما فعلا؟
ثم قالت تعزي قليلا وخل من الدمع ما هملا
ثم ميلي إلى كل طفل وليد
وقصي عليه الحكاية، قولي له
في زمان مضى حل في غارنا عربيان وارتحلا"[1]

أو أن القصيدة تبنى كلها على شعر التفعيلة والأمثلة كثيرة على ذلك قوله:
صلبوه فماذا بربك تنتظرين
لقد صلبوه وليس مسيحا ولا ابن إله
لقد صلبوه لسرقته المال أو قوله الزور
أو سفكه الدم أو أي ذنب جناه
ولم يصلبوه لدعوى ودين
فماذابربك تنتظرين ؟
ويا أمه لم يكن يبرىء الصم والبكم والعمي
لم يخرج الجن من رأس مصروعة مؤمنة
ولم يتحد المرائين والكهنة
ولم يأته في لياليه روح أمين"[2]

إن هذا التنوع يمنح القارئ فرصا كبيرة لمقاربات نقدية تعطينا إنزياحات شعورية وفكرية ورؤيوية شتى.

-اللغة العامية :أما على مستوى تشكل المعجم الشعري من ناحية اللغة العامية فلقد تجلت في المفردات وليس في التركيب ولكن ليس بتدفق الفصحى، وربما يرجع ذلك من وجهة نظري إلى رغبة الشاعر في التخفيف من الفصحى لإعطاء مساحة من المرونة النفسية وإيصال صوته الشعري لأكبر شريحة من المجتمع لامتلاكه الحس الشعري الذي يصل إلى قلوب الجميع دون استثناء، ومن اللغة العامية في الديوانين:

[1]- البرغوثي،تميم: *في القدس* ، ص56.
[2]- المصدر نفسه ، ص93.

سيدي:
ياورطة الشعراء
سأمدح ضعفك لا قوتك
سأحمل كيسا من الخيش،
كالشحاذين أمر به على الناس،"[1]
أو مثل قوله في موقع آخر:
أقول:
ألا أيها الناس عندي حجاب،
سيجعل كل القبور مؤقتة، فخذوه،"[2]

-اللهجة المحلية :أما تمظهر اللهجة المحلية وفق البيئة الجغرافية فقد بدا في الجزء الأخير من قصيدة "مقام عراق" التي كانت تمثل ديوانا بأكمله فهاهو يقول باللهجة العراقية:

أنا سليمان وأحبابي بلاقيس
عشر أذرع جدايلهن بلا قيس
إلهي بواحدة منهن بلا" قيس
وأنا ربي بلاني بالبقية "[3]

وفي موضع آخر:

هواكم سار مع دمي بالعراق
نخل سارح واكو منجل بالعراق
أمير المؤمنين ونت عدنا
كريم الكف توفي إن تعدنا
سل الأرواح ترضن أن تعدنه
يجاوبنك: عبرنا وهاي هيه"[4]

وقبل الختام يجدر الإشارة إلى نوع آخر من المعجم الشعري الذي تفرد فيه تميم وهو الجمع بين الثلاثة أشكال التي تحدثت عنها، إما في قصيدة واحدة وهي" مقام عراق" أو في قصائد متناثرة ضمن ديوان " في القدس"، لكن تجب الإشارة كذلك إلى أن هناك قصيدة في ديوان " في القدس"

---

[1]- البرغوثي،تميم: *في القدس* ص67.
[2]- المصدر نفسه ، ص75.
[3]- البرغوثي ،تميم: *مقام العراق*، 69.
[4]-المصدر نفسه، ص72.

موسومة ب" حديث الكساء" وهي متفردة في معجمها الشعري فلقد جمع تميم فيها بين النثر الموزون والشعر المنثور وشعر التفعيلة في رائعة فنية أدبية، يضيق مجال الحديث عنها للدواعي والضوابط التي تفرضها أساسيات البحث، ولكني آثرت الإشارة إليها.

وفي الختام يمكن القول بأنه لا نصّ بلا لغة،فلغة النص لا تحمل نسقا واحدا؛ بل تتعدد تبعا للرؤى والموضوعات والبيئات؛ بل " تبعا للتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها "[1] ولذلك " فإن بلاغةالمكان لاتتأسس إلالغة،لأن اللغةهي التي تعطي للمكان كينونته،وتشكل نسقه العام في أسطره،أوأبياته،أوجمله الشعرية.وهي التي يؤرخ الشاعر عبرها لتاريخ المكان،ويرسخه في الذاكرة،لينتشل القصيدة المكانية من النسيان من بين آلاف القصائدالتي حملت هم المكان،وحملته قيماجمالية،ويحولها–بتحويل المكان نفسه-إلى إبداع استثنائي يؤشر عليه من بعد،كأنّ الشاعرالمجيديخرج بالمكان العادي من سرب الأمكنة،ويخرج-نتيجةلذلك-بالقصيدةمن سرب القصائد.[2]".

إن المبنى المكاني مع المبنى اللغوي يشكلان معا بنية النصّ وأداءه الفني، وتبقى هذه البنية من وجهة نظري في حالة خلخلة فنية لا تصل إلى مرحلة الثبات ’إلا مع التلقي أو القراءات المتعددة التي تمنحها صفة الرقي النقدي.

إن صورة المعجم الشعري عند تميم لاتكتمل إلا ببيان خصوصية التركيب وعلاقته بالمكان، وهذا ما سأتناوله في الصفحات المقبلة، حتى تكتمل صورة المقاربة نقديا عند تميم من ناحية بلاغة المكان وجمالياته لغويا وفنيا.

ج-المكان وخصوصية التركيب.

لايمكن اعتبار القصيدة الشعرية بنية نصية فنية فحسب؛بل هي تركيبية أيضا، فالتركيب يضم بين طياته المعجم والجمل والضمائر والأساليب التي ضمنها الشاعر قصيدته، والأغراض من هذه الاستخدامات، ذلك أن التركيب عنصر مهم من عناصر العملية الإبداعية، عبره يحدد الشاعر ملامح رؤيته التي يسعى إلى ترسيخها ضمن قصائده.

والمتتبع لشعر" تميم"، يجد أن البنية التركيبية للقصيدة عنده لم تأت على نسق واحد أو نفس واحد؛ وإنما تشكلت وتنوعت بتنوع المكان وتشكله وتمظهره وفق الرؤى السياسية والثقافية والفكرية، ووفق البيئة التي أحاطت به فأنتجت كل نصّ يغاير النص الذي يليه أو الذي يسبقه، لكنها تنتظم في رؤى محددة يسعى الشاعر لترسيخها؛ ليكون إضافة نوعية للعطاء الشعري.

---

[1] – لحميداني ، حميد: *بنية الشكل الروائي*، ص27.

[2] خرفي ، صالح:*جماليات المكان في الشعر الجزائري*، ص 346.

إن جمالية وخصوصية التراكيب عند تميم تقودنا إلى جملة من القضايا التي تجب الإشارة إليها مثل فنية استخدام الضمير لديه، تمظهر الأساليب بمختلف أشكالها الفنية وأغراضها، الترادف والتكرار،التناص بأنواعه، ثنائية التلقي والتأويل؛ وإذ إن فضاء البحث لا يسمح بالاسترسال والتوسع، فإنني عاجزة عند الإسهاب في كافة القضايا الفنية؛ ولذا سأكتفي ببعض القضايا التي تمظهرت بكثرة في ديوانيه المعنيين بالدراسة وهي دلالة الضمير عند تميم البرغوثي، الأساليب وتنوعها وغرضه منها.

-الضمائر:

استطاع تميم توظيف الضمير ببراعة عالية فالضمير عنده يتشكل في مظهرين: ضمير الأنا الخاصة وضمير ال " نحن " وفي تشكلهما علاقة جدلية تبادلية، فقد يفضي "النحن" إلى " الأنا " والعكس صحيح كذلك. ومن تمظهر " النحن " الذي يفضي إلى الأنا، قوله:

مررنا على دار الحبيب فردنـا عن الدار قانون الأعادي وسورهـا
فقلت لنفسي ربما هي نعمة فماذا ترى في القدس حين تزورها
ترى كل ما لا تستطيع احتماله إذا ما بدت من جانب الدرب دورها
وما كل نفس حين تلقى حبيبها تسر ولا كل غياب يضيرها
فإن سرها قبل الفراق لقاؤه فليس بمأمون عليها سرورها
متى تبصر القدس العتيقة مرة فسوف تراها العين حيث تديرها"[1]

إن أول مايطالعنا به تميم في ديوانه " في القدس" هو ضمير ال " نحن " الذي بدا واضحا في البيت الأول،في قوله: مررنا، فردنا، وفي هذا التشكل يبدو تمظهر البعد الانساني العام بهمه وحزنه وألمه وقهره، فهو وإن كان قد زار القدس بمفرده إلا أنه يتحدث بلسان الأغلبية التي تعاني الأمرين في الوصول إلى القدس، إلا أن هذا الضمير الجمعي يتشكل خلفه الكبت والخوف والظلم الخاص الذي يكتنفه وهذا يتضح في البيت الثاني عبر إبراز الضمير الشخصي: فقلت في نفسي... ولكن تميم لايستطيع إخفاء ضميره " الأنا" فلابد أن يطلق العنان لمكبوتات نفسه لتتنفس هواء الحرية التي ينشدها ولذا يقول:

[1]-البرغوثي ،تميم:*في القدس*، ص7.

ألم الحروف من الطرقات، كما يجمع الأولياء المريدين

أنظمها في سلاسل من عجب فهي حرف يؤدي لحرف

ألم الحروف التي انتثرت لؤلؤا مثل أهلي"[1]

فهاهو يشير إلى حالة التشظي والضياع التي حلت بالشعب الفلسطيني والتي تركت أثرها جليا على الشاعر فأسلمته إلى حالة من الحزن والألم؛ ولكنه ينطلق من حزنه ليتعلق بحبال الأمل في مستقبل جديد يرسخ لديه ولدى غيره قناعة بأن الحرية زاد الشعوب الحيّة.

وتكتمل صورة الضمير " الأنا" عند " تميم" عندما يصرح به مباشرة وهذا يتضح في قوله:

أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء

أحملها على رأسي وأسعى في بلاد الله من حي لحي

هذي سمائي في يدي"[2]

ففي السطور السابقة تظهر الخصوصية عند تميم البرغوثي وفيها إشارة إلى حالة التشرد واللجوء التي يعاني منها الشاعر وغيره.وتستمر صور الضمائر على اختلافها، أنا، نحن، أنت، وغيرها الكثير من الضمائر الظاهرة والمستترة والتي سعى عبرها تميم إلى ترسيخ رؤاه الأدبية والفنية والسياسية في ذهن القارئ والمتلقي، فبدا بشخصه أحيانا وكان في أحايين كثيرة يتحدث بلسان الآخرين وإن ظلم فردا.

إن العلاقة بين الضمائر عند تميم البرغوثي علاقة جدلية تبادلية، علاقة الخاص بالعام، ولكنها تجمع في النهاية على هدف عام وهو: رفض الظلم والقهر والعذاب، وإثبات الحقيقة التي لاتخفى على أي أحد هو أن " تميم" وغيره إنسان لاغير.

---

[1]- البرغوثي ،تميم:*في القدس* ،ص18.

[2]- المصدر نفسه ، ص21.

-الأساليب وتنوعها وغرضه منها:

تشكل آخر للتراكيب بدا واضحا في التنوع الثري في الأساليب المستخدمة بكل براعة وإتقان؛ إذ أظهر فيها كافة الأبعاد المكانية وتشكلاتها الفنية، حاملة أغراض وأهداف فنية سعى تميم لإثباتها ومن أكثر الأساليب تلك، الأساليب الإنشائية التي تنوعت بين الأمر والنداء والتعجب وغيرها، يقول موظفا أسلوب النداء:

ياأخية هل تعلمين

لقد كان في الغار وعد بأن السماء ستنثر

مثل أرز العروس على العالمين"[1]

بدا تميم في ندائه متوددا حنونا، لإثبات بأن الغار كان ومازال، نقطة البداية لكل زمان ومكان،والنداءلايقتصر وحسب على النداء الفردي؛ بل تعدى ذلك إلى الجمعي قائلا:

أيا أمة في الغار تبغي حماية من الطير معذور إذا خانك الطير"[2]

لقد استطاع في بيته السابق أن يشخص الهم الإنساني العام وألا ينفصل عنه،كان نداؤه للبر والبحر، للسماء والأرض، للدار والبيت، لم يترك مكانا إلا وناداه بحسه الوطني ولسان حاله الجمعي، ناداه وهو يرسخ لدينا بأن أحقية فلسطين لأهلها وشعبها قانون حقوقي نادت به كل الشرائع في الدنيا، ومن الأساليب الأخرى التي تمظهرت عند تميم أسلوب الأمر والذي كان في مجمله يستحث الهمم ويدعو إلى نفض غبار الهزيمة والتقهقر دوما إلى الأمام فهاهو يقول:

ياسماء
أبلغي في ليلة الإسراء من بالمسجد الأقصى يصلي
من نبي أو إمام
اسمعوا يامن عليهم صلوات الله سرب من حمام..."[3]

---

[1]- البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص54.
[2]- المصدر نفسه ،ص59.
[3]- نفسه، ص 104.

وفي موضع آخر يقول:

قبلي مابين عينينا اعتذارا ياسماء

قد حملنا منك ملا يحتمل "[1]

وقد يحمل الأمر غرض الاستعطاف للحال التي وصل إليها فهاهو يقول:

صُبي لعمك يانوار القهوة

لاتستحي من عمك التاريخ

يابنت كفي عن إثارته

فعمك مجرم

صبي قهوة أخرى"،[2]

لقد استطاع تميم بأسلوب الأمر أن يظهر رواسب تجذرت منذ التاريخ في العقل الباطن لدى القارئ والسامع، عبر سعيه الحثيث لبيان حلة التردي والذل التي نعيشها، منطلقا منها إلى مستقبل يحمل الحرية واسترداد الحقوق لأهلها.

أسلوب آخر بدا تمظهره واضحا وهو أسلوب الاستفهام والذي كان يهدف عبره إلى حث الهمم واستنهاض الروح الأبية العربية والإسلامية،يقول:

أخية ماذا جرى لهما

أترى سلما

ياأخية هل تذكرين

غداة أناديك هل لك هل لك"[3]

فهاهو ينادي ويتساءل عمن في الغار، في محاولة لاستعادة التاريخ وللانطلاق منه، وفي تساؤلاته الكثيرة يرسم خريطة المستقبل السياسي للعالم العربي والإسلامي ولذلك وجدته يقول:

أتظن تركيا ستعلن عن دخول الحرب مع ألمانيا ؟!

هل يدخلون دمشق هل سترد أنطاكيا الافرنج

---

[1]- البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص101.

[2]- المصدر نفسه ، ص63.

[3]- نفسه ،ص54.

أم يصلون حتى القدس؟!

ما قال الخليفة للمبلغ أنهم وصلوا

أيبقى من بني مروان من أحد

علام تظن أن قريش اتقصت بدار الندوة

صبي لعمك يا نوار القهوة"[1]

وأختم تمظهر أسلوب الاستفهام عند تميم بتلك الأبيات من قصيدة "مقام عراق" والتي يستنكر فيها تبعات الغزو الأمريكي الغاشم على العراق قائلا:

أي كتاب من كتب الفلك لم يحترق من الأحداث المتوقعة في طالعنا؟

في أي كف أو جبين رأيتنا ياجد وأي شيء رأيت؟

هل رأيت علبة الأسبرين وحدها تماما في مركز الأورام؟

هل رأيت ذلك الإيمان العصبي عند الأمهات أن موت الأطفال قضاء وقدر؟

هل رأيت الشيب في مفارق السعف وخشونة الجذوع تسكن أصوات البنات؟[2]"

إلى هنا أصل إلى ختام الحديث عن جماليات المكان وخصوصية التراكيب.

2- بلاغةالمكان بين الوصف والصورة الشعرية

يعد الوصف من أهم التقنات الفنية التي مارست دورا كبيرا في إبراز رؤية الشاعر وتجسيد هويته؛ذلك أن "الوصف أحد الأساليب التي تسهم في تقريب المكان من المتلقي، وتكشف عن الكثير من العلاقات الفنية، إلى جانب دوره في تجسيد المكان، واستنطاقه عما يحمله من رؤى وأفكار"[3]؛ولذا كانت الصورة الفنية من أهم العناصر الأساسية للشعر، كونها تعمل وفق خطين متوازيين، خط الشاعر الذي تبرز عبره الرؤية والأسلوب، وخط المتلقي الذي يقع عليه عبء المقاربة والتأويل وصولا للمهى المراد. يضاف إلى ذلك أنه كلما كانت الصورة عميقة في دلالاتها ومضمونها كانت قيمتها الفنية أرقى وأرفع وكان دليلا على عبقرية الشاعر وتفرده في الصياغة الشعرية، شيء آخر وددت الحديث فيه هو أن الصورة المتفردة،هي التي لاتقتصر وحسب على طرفي الصورة التشبيهية من مشبه ومشبه به؛ بل هي التي تتماهى مع المكان الذي نصفه ليصبح المكان صورة فنية بأكمله وكأنني أحس أن هذه الصورة تستند إلى آلية تراسل الحواس الشعرية

---

[1]- البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص 65.

[2]- البرغوثي ، تميم: *مقام عراق*،ص 25.

[3]- عصفور، جابر: *الصورة الفنية في التراث النقدي*،ط1،دار المعارف – القاهرة، 1992،ص154.

لإظهار جمالية المكان وبلاغته، ومن هنا "فتشكيل المعنى المتجدد والصورة الشعرية يكون، "بفعل قوتين متساندتين ومتكاملتين أولاهما القوة الشاعرة التي تمنح الشعر قيمة إنسانية جوهرية شمولية بتحويلها إلى الرؤيا الذاتية إلى موضوع تجريبي فني تتوزع أبعاده على الرقعة اللغوية الإيحائية للنص، وثانيهما القوة الناقدةالتي تتابع عبره رؤياه التجريبية للنص المنتج النوازع المتعارضة والمواقف المتشابكة وتكشف الأبعاد وتعيد تركيب العلاقات بعد تفكيكها من أجل الوقوف على الجمال المكنون الساحر لقيم الحياة والإنسان".[1]؛لذا ستدور مقاربتي النقدية لبلاغةالمكانبين الوصف والصورة الشعرية في ثلاثة محاور هي كالآتي:

أ-الصورة المفردة والصورة المركبة.

تعرف الصورة المفردة على أساس اتخاذ" الصورةوضعا صوريا واحدامتفرداعن غيره،وإن كان في الوقت ذاته غير منفصلةعن البناءالعام للصورة الكلية(القصيدة)"[2]، ويدخل ضمن الصورة المفردة أنواع التشبيه والاستعارة الأساسيين، وتبلغ جمالية هذه الصورة إذا حدث بينها وبين الحواس تراسل حسي ومعنوي ،ويزخر ديواني تميم بالصورالمفردة التي تمظهرت في شعره ومنها قوله:

وهي الغزالة في المدى،حكم الزمان ببنيها"[3]

فالسطر السابق يصف فيه الشاعر مدينة "القدس" بأنها الغزالة التي تسرح في الأفق الوسيع، وتكتمل الصورة بقوله:

في القدس يرتاح التناقض، والعجائب ليس ينكرها العباد،
كأنها قطع القماش يقلبون قديمها وجديدها،"[4]

لقد بدا تراسل الحواس بشكل واضح في الصور السابقة ولاسيما في اندماج اللون مع الحركة، فالصورة الحركية الأولى (يرتاح التناقض) تكمل الصورة اللونية الثانية (كأنها قطع القماش) ومن الصور التي تمظهرت وبقوة؛ واستطاعت أن تعلي من سلطة المكان جماليا وبلاغيا قوله:

تصلي عليك زهور المروج
ينام الأطيفال فيهن مثل الرحيق
سجودا لغير سجود،نياما لغير منام"[1]

---

[1]-الرباعي ، عبد القادر :*جماليات المعنى*، ط1، المؤسسة العربيةللنشر-الأردن،1999 ، ص43

[2]- الرباعي، عبد القادر:*الصورة الفنية في شعر أبي تمام*، منشورات جامعة اليرموك، إربد – اليرموك،، ص، 177، 1980.

[3]-البرغوثي ، تميم: *ديوان في القدس*،ص8.

[4]- المصدر نفسه، ص11.

لقد تعانقت في الصورة المفردة السابقة اللون والحركة بسكونها وحركتها.،وتمتد الصورة المفردة لتشمل محيطه العربي والاسلامي فهاهو يقول في "مقام عراق":

"أرى العراق طويل الليل"
قالها جدنا يرثي أميرة من بني حمدان،
يقول إن ليله طال وهو بالعراق بعيد عنها،
فكيف بليل أخيها في حلب،
ليس للبيت كبير معنى، لكن أثقله التاريخ"[2]

وتكتمل الصورة المفردة مع الصورة المركبة والتي لاتنفصل عنها أبدا، فالصورة المركبة من وجهة نظري،تتابع وتراكم للصور المفردة ببعضها لتتكون الصورة المركبة،فهي"التيتؤلف منظرا عاما مشكلاً من مجموعة الصورالثانوية المترابطة ضمن إطار خيالي محدد الجوانب مهما آتسع"[3]، ويزخر الديوانان المعنيان بالدراسة بالصور المركبة التي تماهت مع المكان وأظهرت فرادة تسعى لتأسيس مقاربات وإنزياحات تقارب رؤى الشاعر التي يسعى لترسيخها ومن ذلك:

في القدس يزداد الهلال تقوسا مثل الجنين
حدبا على أشباهه فوق القباب
تطورت مابينهم عبر السنين علاقة الأب بالبنين"[4]

فالصورة السابقة تبرز تماهي الإنسان مع مكانه سواء كان في السماء أو الأرض، صورة مركبة تحدب فيها الهلال على قباب مدينة القدس تحدبا مثل انكفاء الوالد على بنيه، كل سطر شكل صورة مفردة ولكن في تراكمها كونت لوحة فنية غاية في البراعة وتتراكم الصورة المفردة لتؤطر للصورة السياسية المركبة في قوله:

---

[1]- *البرغوثي ، تميم: في القدس* ، ص85.
[2]- البرغوثي،تميم: *مقام عراق*، ص22.
[3]- الرباعي ، عبد القادر : *الصورة الفنية في شعر أبي تمام*، ص182.
[4]- *البرغوثي ، تميم: في القدس*، ص9.

وأعيد ترتيب الخرائط، حيث أجعل سوربغداد عقالا في رؤوسالأكرمين
ونيل مصر، نهر خيل تحت قوم غاضبين
وغوطة بدمشق تنبت، في زمان الحرب، رمحا كي يصون الياسمين"[1]

هي صورة أخرى مركبة تتعانق الرؤى الدينية والسياسية فيها لترسم ملامح النخوة والشجاعة والقوة والاستبسال التي يسعى الشاعر لترسيخها في ذهن المتلقي:

حمام البروج يصلي عليك
تعلمه الجود يابن النبي
تناوله بيمينك قمحا رطيبا
فيأخذه ويطير جنوبا
ولا يأكل الحبَّ
بل هو ينثره في الجبال"[2]

و أختم هذا الجانب بنقطتين هما خلاصة حديثي، الأولى تتمثل في أن الصورة (سواء أكانت مفردة أم مركبة) تمظهرت في نمطين: تقليدية وأخرى متناغمة مع الحواس والمكان، النقطة الثانية:كلتاالصورتين(المفردة والمركبة) لاتنفكان عن بعضهما البعض،فكلتاهما يكمل الآخر وهذا سبب التفرد في الفنية والجمالية المكانية.

ب-جماليات الصورة والسرد الشعري.

مظهر آخر من جماليات الصورة الشعرية وبلاغتها عند تميم وهو(جماليات الصورة والسرد الشعري)،إذ تتجلى جمالية وشعرية لغة الشعر مع السرد في فضاء دلالي انزياحي يعكس الجمال بقوة انزياحه المفعل للتخيّل الذي يحركه تميم بفنية مثيرة، يجيد توجيهها مستلهما المظاهر الجمالية من المظاهر الطبيعية التي تشكل النموذج الجمالي التشكيلي في الذاكرة المنفتحة على تكوينها الطبيعي ،وهويتحرك بخصوبته الإبداعية والفنية والفكرية. إن المستقرئ لشعرتميم يستطيع بسهولة الوقوف على تلك المحفزات الجمالية المرتبطة بالسرد، ذلك أنها تتضمن توصيفات داخلية وخارجية لمشاعره اتجاه مكانه الذي يصفه بطريقة تحكي الزمن الماضي والآتي معا،يقول:

[1] – *البرغوثي ، تميم: في القدس* ، ص25.
[2] – المصدر نفسه ، ص83 .

أبصرت في أحد المتاحف مرة
منحوتة من أول العصر الوسيط
أظن باب كنيسة أو مذبحا
عرشا عليه بردة مطوية
وعمامة أو تاج غار
عرش خليٌّ يسأل الزوار عن أربابه
وقد استعاض عن المليك بتاجه وثيابه"[1]
أو مثل قوله:

تقول الحمامة لما رأت
روح حارسة الغار فاضت
وقد أصبح الغار من بعدها طللا:
تعزي قليلا وخلي من الدمع ما هملا
ثم ميلي إلى كل طفل وليد
قصي عليه الحكاية قولي له
في زمان مضى،حل في غارنا
عربيان
وارتحلا"[2]

لقد تبدت جمالية السرد الشعري في الصورة التي رسمها" تميم" واضحة عندما رجع بنا إلى الماضي في الصورة الأولى رغبة منه في استحضار التاريخ لشحذ الهمم الخافتة ويتابع الهدف ذاته في الصورة الثانية مستحضرا التاريخ الديني للأمة العربية والإسلامية في محاولة منه لبعث الأمل في النفوس وأخذ العبرة وترسيخ الرؤى التي يؤمن بها.

لا يتوقف الأمر عند استرجاع الماضي؛ بل يتعداه إلى بروز تلك الجماليات السردية في صوره عبر التنبيه للواقع السياسي المزري الذي يحذق بالأمة العربية ،يقول:

الخيل تركض في الشوارع
أوقف الشرطي سيل المركبات وفر منها هاربا
خيل رمت أوزارها في الريح ثم تراكبت موجاتها بيضا ذراها
الخيل تركض في الشوارع لاترى إلا هواها"[3]

---

[1] - *البرغوثي ، تميم: في القدس* ،ص27.
[2] - المصدر نفسه، ص56.
[3] - نفسه ، ص93.

سأختم بقصيدة " حصافة" التي تلخص المشهد العراقي المؤلم والحزين،الذي استطاع تميم أن يرسمه بكل دقة فنية موظفا كل طاقاته الفنية والتخيلية، تاركا العنان لقارئه ليشبع الرسم التصويري مقاربة وإنزياحا،فهاهو يقول:

في ذات يوم حارقٍ،
جلست لترضع طفلها تحت السماء
ناغى بخمس أصابع تهدي لثدي الأم شيئا من خدر
لم تبتسم
وكأنه بين اليدين مهمة أو واجب لا بد منه
وتلفتت لترى مصارع أهلها
بالله دعني الآن من ذكر الحسين
من حولها جثث على الصحراء
ناحت على القتلى النساء
أعني اللواتي لسن في القتلى
واعني ليس بعد
شبَّهت أردية السواد على الرمال بجلد فهد
والفهد مكتوب على مخلابه التاريخ
من حولها جثثٌ بأبواب البيوت
وتلفتت لترى ملامحكم
يا أيها اللاهون بالدشداشة البيضاء
يا بيض النعام
لا تقتلوه بربكم
قد تعلمون بأن أعند خلق خالقهم هم الموتى
وأن القبر لا ينسى ويحفظ ثأره
والدَّين دين ، إن حلَّ حل
ولانكم قومٌ وضعتم نصب أعينكم مصالحكم
لا تقتلوه بربكم ،فعلى الأقل
أبقوا عراقياً وحيداً
كي
يسامحكم"[1]

[1]- البرغوثي، تميم: *في القدس* ، ص 95-96.

إن جمالية الصورة الشعرية المرتبطة بالسرد، لم تأت عفو الخاطر، وإنما كانت نتيجة استحضار الماضي وقراءة الحاضر واستشراف المستقبل الآتي، وبناء عليه استطاع تميم أن يرسخ لرؤاه المختلفة وفق المعطيات السابقة، سردها سردا يليق بمختلف أنواع المتلقين أينما كانوا، هذا السرد يؤكد على أن ثمة علاقة قوية تربط بين الشاعر ومكانه جعل بينهما ألفة نفسية وشعورية إلى حد التماهي، حتى وصلت العلاقة إلى أن الشعر أخذ منحى السرد، وفي السرد يكون الارتخاء النفسي والعصبي مع الارتباط الروحي.

ج-الصورة المكانية وكثافة الرمز.

تثبت شعرية تميم أنه يتمتع بحركات فنية عدة لست بصدد سردها والاستفاضة فيها بقدر ما يهمني أن أركز على أكثرها أهمية وهي الصورة المكانية وكثافة الرمز.

فالرمز من وجهة نظري شفرة أدبية فنية يوظفها الشاعر للإشارة إلى موضوعات يتخطاها في الواقع ليصل إلى جوهرها في عقل القارئ والمتلقي عبر إجراء المقاربة وآلية التأويل.

في اعتقادي أن الرمز هو أقصى درجات عبقرية الأديب التخيلية في صناعة عوالم شعرية أو سردية ولكن بطريقة أكثر خصوبة وجمالا.ولعل التعقيدات المغلفة بالطابوهات المحرمة هي التي ترغم الأديب على توظيفها.

وبعد رحلة طويلة ومكثفةفي جمالية المكان عند تميم البرغوثي توصلت إلى أن تميم وظف الرمز في شعره بذكاء وفنية متقنة، وذلك بدرجة تسمح لكل من يقرأ شعره،يقاربه وفق رؤيته وثقافته وبذلك تكون كل المقاربات والانزياحات التي يقدمها المتلقي مقبولة ولكنها بدرجات مختلفة.ولقد حفل شعر تميم بكافة أنواع الرمز ؛فهناك الرمز السياسي،والرمز الديني،والرمز الاجتماعي، وغيره الكثير.

فمن الرمز الاجتماعي الذي استطاع تميم أن يشيربه إلى موضوعات عدة هو "الهلال" في قصيدة مقام عراق "،فهو يرمز إلى العراق بأكمله قائلا:

أنا الاحتمال بمعنى الأمل
أنا الاحتمال الذي في الجمل
وأنا الاحتمال بمعنى الرحيل"[1]

[1]-البرغوثي ، تميم: *مقام عراق*، ص19.

وقد يرمز بالليل إلى الاستعمار والغزو فهاهو يقول في القصيدة ذاتها:

" أرى العراق طويل الليل"

قالها جدنا يرثي أميرة من بني حمدان،"[1]

وقد يكون الرمز، للتذكير بالماضي التليد الذي ضاع منا يقول:

أنا بشار بن برد

أنا من يحفظ في كفيه جدران المكان

أصبحت من طول جسي جانبيها

طرق بغداد وخط الله في كفي سيان

أنا بشار بن برد"[2]

ولعل قصيدة "في القدس" تلخص كافة أشكال الرمز وانواعه، ففيها يتجلى الرمز الديني والتاريخي والسياسي، حتى بدت القصيدة وكأنها لوحة فنية لاانفصال بين أسطرها، فالبيت الواحد والمكان الواحد يحمل أكثر من رمز في آن واحد يقول:

مررنا على دار الحبيب فردنا عن الدار قانون الأعادي وسورها"[3]

فدار الحبيب رمز لمدينة " القدس " وقانون الأعادي رمز " لليهود" وسورها رمز للحواجز التي أقامها اليهود في محاولة منهم لعزل المدينة المقدسة عن أهلها.

أما الرمز الديني فقد كان تمظهره واضحا وجليا فهو يرمز إلى شجاعة الرسول وقوته بقصيدة الحمامة والعنكبوت، يقول:

تقول الحمامة للعنكبوت أُخي تذكرتني أم نسيت ؟

لقد طفت كالشك كل البلاد وأنت هنا كاليقين بقيت

فلم أوت علمك مهما علمت ولم أرق يوما إلى ما رقيت

فأنت لبنياننا كالثبات، وأنت لبرهاننا كالثبوت

أتيتك أسأل عن صاحبينا فلا تقتليني بهذا السكوت

أراك أخية لا تنطقين بأي الدواهي الإناء دهيت"[4]

ومن رمزه السياسي ما رمز به إلى مقاتلي المقاومة اللبنانية والعراقية في قصيدة "كساء النبي" قائلا:" حديث الكساء حديث قصير مؤداه أن النبي دعا حسناً وحسيناً وفاطمة وعلياً وضم

---

[1]- البرغوثي ، تميم: *مقام عراق* ،ص22.

[2]- البرغوثي ، تميم: *في القدس*،ص31.

[3]-المصدر نفسه،ص7.

[4]- نفسه ،ص56

عليهم كساءً من الشَّعْر ثم دعا الله أن يُذهب الرجز عنهم فأنزل ربك آية تطهيرهم، هكذا وردت في مراجع أهل الحديث من الطرفين... أقول، وأجري على الله فيما أقول، باني سأُدخِل الذين أبوا أن يذلوا لغازٍ أتاهم، وأُخرِج منه الذين على العكس منهم أباحوا لحاهم، فمن رد كيد اليهود عن المسلمين بلبنان عندي سيدخل تحت هذا الكساء ومن رد كيد التحالف عن شارع في العراق سيدخل تحت الكساء"[1]

ومن الشخصيات التي شغلت مساحة كبيرة لدى"تميم " في شعره السيد المسيح "عيسى عليه السلام" فلقد رمز إليه في قصيدة "الجليل" بالناصري قائلا:

جليل هو الولد الناصري الذي يرتقي
كل يوم صليبا
فيحمله لا أحدد من منهما يحمل الآن صاحبه
ويسير إلى القدس مستشهدا حافيا
ويحسبه الناس جغرافيا"[2]

يشير في هذه الأسطر إلى الولد الناصري- الفلسطيني الذي يرتقي كل يوم إلى العلا شهيداً في سبيل الوطن والقدس والمقدسات مستعملا رمز "عيسى " عليه السلام بسبب ما يمثله من رموز في بعث الأمل وخلاص للبشرية من الظلم والاضطهاد.

ومن الرموز السياسية الشخصية، ما وظفه في قصيدة " خط على القبر المؤقت" والتي رمز بها إلى قبر الرئيس الشهيد **ياسر عرفات**، والذي كانت وصيته أن يُقبر في مدينة القدس، فقبر مؤقتاً في رام الله حتى تحرير القدس وفي ذلك يقول:

جـموع كل من فيها وحيد ووحشـتها تزيد اذا تزيـد
وكـل فـوقه غيم بخيـل وكل تحته أرض تميــد
وكـل قـلبه طير ملـول يـريـد العيـش بعد ولا يريـد
وكـل لابس ثوب المنايـا شهيد في جنازتـه شهيـد
غريب الناس من يحيا شريداً وفي الموتى له قبر شريد
وللقبر المؤقت ألـف معنى يضيق بها على السِّعة النشيد
وما تبيـض بالقمر الليـالي ولـكـن هـن حين يغيب سـود"[3]

---

[1] - البرغوثي، تميم:*في القدس* ، ص37.
[2] -المصدر نفسه ،ص17.
[3] - نفسه ، ص67.

الخاتمة :

ازدادت العناية في السنوات الأخيرة بدراسة البنى المكانية في الأدب بوجه عام والشعر بوجه خاص، وبدا ذلك واضحا عبر معالجات الباحثين والنقاد بفضل تطور النقد الحديث وتعدد مناهجه ونضج رؤاه، ولما تشكله تلك البنى من أهمية بالغة في تشكيل الفضاء الدلالي الذي يفصح عن النصوص؛ لذا كانت غاية هذه الدراسة استجلاء جماليات المكان عند الشاعر تميم البرغوثي ، وتكمن جدّة الدراسة لمقاربتها تشكل المكان وتمظهره بكافة أبعاده ودلالاته ومستوياته عند تميم البرغوثي عبر نصوصه الشعرية المنظومة بالفصحى أداة للكشف عن الأنساق الثقافية والرؤى الأيدلوجية المضمرة في نصوصه الشعرية.

في ضوء ماسبق اتضح لي أن تميم استطاع أن يرسم بكلماته البعد الجمالي الخاص للنص الشعري عنده، كاشفا بذلك عن رؤى أيدلوجية وفكرية سعى إلى إيصالها للمتلقي بسبل شتى، وعبر ذلك أكون قد وصلت إلى مجموعة من النتائج ألخصها فيما يلي وفق مقارباتي النقدية السابقة في الفصلين الثالث والرابع . تناولت في الفصل الثالث مستويات المكان عند تميم البرغوثي وخرجت بعد تلك المقاربة بجملة من النتائج من أهمها:

كثيرة هي التقاطعات بين الدلالات الثلاث ، وما أوردته كان على سبيل الذكر لا الحصر ، وبناء على ماتم تقديمه مسبقا في هذا الفصل فإني ألخص محتوى عملي فيما ياتي:

1-بدا التناص مع القرآن واضح المعالم ، والتاريخي جليا في الدلالة التاريخية الدينية .

2- شاع الرمز الديني والتاريخي بصورة كبيرة وهذا يرجع للبيئةالتي نشأ فيها .

3- حملت الأبيات والأسطر الشعرية تقاطعات مع بعضها وهذا يدل على شاعرية النص عندتميم.

4- ارتبط المكان عند "تميم" بثلاثية الإبداع الأدبي (الايديولوجيا والدين والجذور التاريخية) فعلاقته بالمكان علاقة مصير ووجود.

5-اتضح لي بأن هناك حالة من الانسجام الحقيقي بين الذات المبدعة (الشاعر) وبين مكانه أينما كان.

6-كان استحضار المكان عندتميم لبعث الحياة في المكان من جديد ، وتشكيله بطريقة تسمح لمقاربات نقدية مفتوحة.

7- سيطرت القدس على مساحة كبيرة من شعره ، والمساحة الأخرى لم تخرج عن الشام والعراق ومصر، وفي ذلك إشارة إلى أنه شاعر المكان العربي بصدق.

أما فيما يختص بالفصل الرابع فلقد خرجت بجملة من النتائج أوردها وفق مايلي:

نتائج تختص بمستويات المكان من حيث المغلق والمفتوح:

1- يتحول المكان المغلق إلى مفتوح، والمفتوح إلى مغلق،وهذا التحول وإن لم يبرز واقعا ماديا ملموسا فإنه يتشكل في النفس الإنسانية عند نفورها من هذا المكان أو ذاك أو تقبلها لهذا أو ذاك.

2- تُشكل الذكريات عالما مفتوحا عند الشاعر، وخاصة إذا كان يعيش في المغلق.

3-، إن لجوء الشاعر إلى العالم المفتوح-من وجهة نظري- هو محاولة للتخلص من الواقع الذي يحيط به، وهو ردة فعل يولده السواد والخوف الذي يعيشه الشاعر في الحاضر.

4- يبدأ المكان المفتوح بالتلاشي عندما يبدأ الشاعر بالعودة إلى الواقع أو عندما يفيق من حلمه.

5- ينتقل الانغلاق من المادي إلى المعنوي أي من المكان المعيش إلى الانغلاق النفسي.

6- يُشيع الانغلاق في النفس بعضا من الأمل ، وخاصة إذا كان الانغلاق في مكان قسري.

نتائج تختص بالاستهلال والخواتيم :

كانت جماليات الاستهلال والخواتيم تسير في خطين متوازيين: الشكل والمضمون، أما الشكل فيندرج تحته التنوع الرائع في إمكانية كتابة النص الشعري وفق أنواع مختلفة من الشعر، وأما من حيث المضمون فيتلخص في تلك المثيرات التي تتآلف مع أشكال الاستهلالات والخواتيم ومنها:

1-الاستهلال بالتشاؤم على الطريقة العمودية والختام بالتفاؤل على طريقة الشعر الحر.

2-الاستهلال بالتفاؤل بصيغة التأكيد على طريقة الحر، والختام بالتشاؤم بالتمني على طريقة الحر.

3-الاستهلال والختام بطريقة السرد الحكائي.

4-الاستهلال بالنفي والختام بالتأكيد.

5- الاستهلال بنفس الجملة والختام بها، ولكن مع اختلاف الرؤيا والمشهد الشعري.

نتائج تختص بالمعجم الشعري :

وفي تلك المقاربة النقدية السابقة ألخص النتائج الجزئية التي توصلت إليها:

1-تميز المعجم الشعري عند تميم بأنه معجم خصب وغزير الدلالة النفسية والجمالية للمكان.

2-امتاز بالتوافق مع الموضوع المراد الحديث عنه؛لذلك نجد أن الأشعار ذات الأبعاد النفسية والجمالية تتسم بالرقة والهدوء، بينما الأشعار ذات الأبعاد السياسية تميل إلى المفردات ذات النبرة القوية، والتاريخية تميل إلى نبرة الفخر والعزة والأنفة.

3-بدأ تميم متفردا في معجمه الشعري الذي تشكل بأنماط فردية لكل تمظهر أو ثنائي أو أنه جمع بين الأنماط كافة.

4-أسهم ثراءالمعجم الشعري عند تميم" بتكوين طبقات متعددة من المتلقين لشعره تبعا لنوعية المعجم المستخدم في الخطاب الشعري.

نتائج تختص بالتراكيب :

1-جاءت التراكيب عند تميم استجابة للظروف الواقعية التي عاشها تميم.

2-بدت التراكيب عند تميم متنوعة، وهو يهدف في هذا التنوع، إلى التنويع في مساحة التلقي والتأويل من قبل السامع والقارئ.

3-كانت للتراكيب خصوصية أبعدتها عن النمطية التعبيرية مما منحه فرادة وتميز لايحصل لأي شاعر آخر.

قامت جمالية هذه التراكيب على علاقات تبادلية متنوعة تحركها مشاعر الإنسان وعلاقته بهذا المكان أو ذاك.

لقد عمل تميم على إحداث خلخلة إنزياحية في التراكيب التي وظفها، جعلت من مكانه ظاهرة متفردة تتبوأ مقعدا يتميز بالبراعة والإتقان.

نتائج تختص بالرمز:

1-الرمز عند تميم متجدّد و متعدّد، متجدد بتجدد مكانه ومتعدد بتعدد رؤيته وثقافته.

2-تمظهر الرمز عند" تميم" في مستويات، الفردي، الجمعي.

3-استطاع تميم عبر رموزه أن يوسع من شبكة الانزياحات الفنية في الصورة الشعرية بما حمله من دلالات إيحائية لتلك الرموز.

4-نجح تميم من وجهة نظري في استقطاب المتلقي بكافة أنواعه وذلك في البراعة الفنية التي وظف بها الرمز على كافة المستويات التي تناسب المتلقي والتي سوف تسمح بحرية في التلقي والتأويل.

وأخيرا أصل إلى جملة من النتائج بعد هذا الجهد النقدي الذي قدمته عبر أربعة فصول ومباحث ، أهمها :

1-يعتبر المكان عند "تميم البرغوثي" مسرحا حقيقيا فاعلا لأحداث الواقع السياسية والاجتماعية حيث سلط الضوء على المعاناة والقهر والظلم.

2-اتضح لي عبر كافة المقاربات التطبيقية أن المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني وهذا بدوره يؤكد على حتمية تلك العلاقة الجدلية بين الإنسان ومكانه، ويعمل على تعميق الانتماء النفسي والروحي .

3-تعددت دلالات المكان وأبعاده عند " تميم " وفي تعددها يكون تعدد المقاربات النقدية.

4-أتاحت اللغة المكانية التميمية المجال لمساحة كبيرة من الانزياحات الشعورية التي تأرجحت بين الصعود والهبوط بناء على النفور والقبول لهذا المكان أو ذاك.

5-ارتبطت مقاربة دلالات المكان وأبعاده في شعر "تميم البرغوثي" بحالة التخيل عند كل من الشاعر والمتلقي معا.

6-تكمن الفرادة عند " تميم البرغوثي" في إعادة تشكيل المكان بلغة فنية وصور شاعرية، استطاع بعدها أن يجعل من متلقيه صاحب قرار لأنه يتحدث بلسانه ويشعر بقلبه.

7-انطلق "تميم" من مكانه الخاص إلى العام في حركة فنية دائبة كشفت عن مدى التحام الشاعر بوطنه الأم ووطنه الأكبر.

8-بدا تشكّل الوجع والألم بمستوييه الفردي والجمعي بصورة كبيرة في الديوانيين عبر ارتباطه بقضايا وطنه الأم " فلسطين" والوطن العربي.

9-مارست حالة التشظي التي عاشها وما زال يعيشها الشاعر دورا كبيرا في ترسيخ جدليات ثنائية تعكس الحالة النفسية للشاعر والمرتبطة بمكانه مثل اليأس والتفاؤل ، الحزن والفرح... .

10-إن التماهي بين الشاعر ومكانه أعطى للنص الشعري بعدا رمزيا ،حتى غدا جزءا من عملية هيرمونيطيقية تحمل زخما من الانزياحات والمقاربات النقدية.

11-من عوامل الإبداع المكاني عند" تميم" هو التنوع في تشكيل المعجم الشعري لديه بين العامية والفصحى واللهجة المحلية .

12-مما توصلت إليه هو تعدد مستويات المكان عند " تميم" بين الانفتاح والانغلاق، وفي انفتاحه وانغلاقه درجات ومستويات وتقاطعات تحيلنا إلى أن المفتوح قد يكون مغلقا والمغلق قد يكون مفتوحا، تبعا لحركة المشاعر المتوالدة داخل النفس تجاه هذا المكان أو ذاك.

13-لم تأت الاستهلالات الشعرية وخواتيمها اعتباطية؛بل ارتكزت على تقنات شعرية فنية ارتبطت بالشاعر أولا وبمكانه ثانيا .

14-بدت هناك ظواهر فنية أخرى، لابد من الإشارة إليها مثل التكرار والتناص الديني والترادف، ولولا منهجيات البحث المحكومة بقانون علمي أسير وفق أطره، لكنت قد استفضت فيها، إلا أنني أترك ذلك للباحثين من بعدي.

التوصيات :

وحيث أنني لا أدعي استيفاء الموضوع حقه من حيث الدراسة المستفيضة بحكم الأطر المنهجية والأكاديمية للبحث، فإنني أتمنى من الباحثين تسليط الضوء على ظواهر فنية أخرى عند"تميم" مثل التكرار والترادف، والتناص الديني وغيرها، وتناول المكان في دواوين "تميم" المنظومة باللهجة المحلية أو العامية للمقارنة بين جماليات المكان في الدواوين المنظومة بالفصحى والدواوين المنظومة بالعامية، كما يمكن تناول ديوان "مقام عراق"،بالدراسة الأكاديمية ،خاصة وأنها أنموذج يحتوي على زخم هائل من الدلالات .

هذا والله الموفق

الطالبة / جيهان أبو العمرين

قائمة بالمصطلحات والأعلام التي وردت في البحث

أولا : المصطلحات

تجدر الإشارة إلى أن كافة المصطلحات تم الرجوع فيها إلى :

-علوش :سعيد ،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ط1،دار الكتاب اللبناني ، 1985 .
-لالاند(اندريه)،موسوعة لالاند الفلسفية،ترجمةخليل أحمدخليل، ط2،منشورات عويدات، بيروت ، باريس ، 2001 .

الرقم	المصطلح	التعريف به	الصفحة
1	الوجودية (Existentialism)	تيار فلسفي يميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود ويؤكد على تفرد الإنسان ، وأنه صاحب تفكير وحرية وارادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه،وهي جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة و تكرس الوجودية التركيز على مفهوم ان الإنسان كفرد يقوم بتكوين جوهر ومعنى لحياته	ص9
2	السيميوطيقيا (Semiotics)	علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، سواء أكانت طبيعية أم صناعية. وتُعدّ اللسانيات جزءا من السيميائيات التي تدرس العلامات أو الأدلة اللغوية وغير اللغوية	ص10
3	هيرمونيطيقية (Hermeneutics)	الهرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني الكتاب المقدس. ثم تطور لدراسة و فهم النصوص في فقه اللغة والنقد الأدبي.	ص12
4	ميثولوجيا (Mythology)	علم الأساطير،مصطلح يشير إلى مجموعة من الفلكلور/الأساطير الخاصة بالثقافات التي يعتقد أنها صحيحة وخارقة، تستخدم لتفسير الأحداث الطبيعية وشرح الطبيعة والإنسانية .	ص13

5	الحدس (Intuition)	يشير إلى نوع من المعرفة التي لا تستخدم المنطق والاختصاص وهو يمثل شكلا من أشكال المعرفة ليست من الضروري تفسيرها بكلمات، عادة ما تاتي بطريقة خاطئة ومفاجئة .	ص20
6	ميتا فيزيقة (Metaphysics)	تعني الأشياء التي لا تخضع لقوانين الطبيعة.	ص20
7	ابستيمولوجية (Epistemology)	نظرية المعرفة وهي فرع من فروع الفلسفة تهتم بطبيعة ومجال المعرفة.	ص20
8	ترانسيدنتالية (Transcendental)	علم دراسة الحدس والظواهر.	ص20
9	أدب السجون	نوع من أنواع الأدب يُعنى بطرح مأساة وتصوير حياة خلف القضبان قضبان السجن وظلم السجّان وقضبان التجبّر والاستبداد والقهر المُسلّط على الشعوب.	ص56

ثانيا :الأعلام

تجدر الإشارة إلى أن كافة الأعلام تم الرجوع فيها إلى :

-**الأب لويس شيخو:**المنجد في اللغة والأعلام ،(منشورات دار المشرق). ، بيروت ،ط 34 ،1994 .

الرقم	العلم	التعريف به	الصفحة
1	غاستون باشلار	(Bachelard)فيلسوف فرنسي ،اهتم بفلسفة العلوم والتحليل النفسي الخاص بالمعرفة العلمية.	7،15، 20،22،23 24،25،36 40،43،47 57،60،52 55،179،7 8،72،39
2	فرانسيس هربرت برادلي	(Bradley)فيلسوف مثالي بريطاني. له مؤلف موسوم بالمظهر والواقع ،	7
3	عبد الغفور بالريسول	فيلسوف وباحث أكاديمي ، له مؤلفات عدة في الزمان والمكان.	8
4	أحمد طالب	أستاذ الأدب الحديث و المعاصر- كلية الآداب - جامعة تلمسان .	8
5	يوري لوتمان	(Lotman)باحث وناقد ومفكر في الأدب الروسي في النصف الثاني من القرن 19 ،أسس مدرسة تارتو السوفيتية السيميائية ، له أعمال كثيرة أشهرها (سيميائية السينما).	18،11،8، 23،36،56
6	قادة عقاق	أستاذ جامعي في النقد السينمائي العربي المعاصر، و أستاذ التعليم العالي بجامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس .	8
7	سعد الجميلي	مهندس معماري ، له اهتمامات بالأدب والفلسفة ، نشرت له العديد من المقالات في الجرائد والمدونات الالكترونية.	8
8	أندريه لالاند	(Lalande)فيلسوف فرنسي من أبرز ممثلي للعقلانية الكانطية ، من الموضوعات التي عالجها : ماهية العقل .	8

9	اعتدال عثمان	ناقدة وكاتبة قصة قصيرة مصرية ،لها دور فعال في تقديم النقد النسوي الغربي إلى الكتاب العربي.	25،9
10	سيزا قاسم	باحثة وناقدة حداثية مصرية ، لها عدة مؤلفات منها ، بناء الرواية.	9، 20،43،71
11	ياسين النصير	أديب وناقد عراقي الجنسية ، ولد في البصرة ، له عدة مؤلفات اهمها إشكالية المكان في النص الأدبي ، جماليات المكان في شعر السياب .	9،20
12	سمر الفيصل	ناقد وأديب سوري الجنسية ،له أكثر من ثلاثين مؤلفا.	11
13	الكندي	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي علاّمة عربي مسلم،برع في الفلك والفلسفة والكيمياءوالفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق من اعماله " رسالة العقل".	14،13
14	الفارابي	أبو نصر محمد الفارابي هو أبو نصر محمد بن محمد فيلسوف مسلم اشتهر بإتقان العلوم الحكمية وكانت له قوة في صناعة الطب.	14،13
15	الرازي	فخر الدين الرازي عالم موسوعي امتدت بحوثه ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة ،من مؤلفاته مفاتيح الغيب.	10،13،14
16	إخوان الصفا	جماعة فلسفية ذات طابع سياسي ديني، توفيقية في نهجها ، كتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها " تحف إخوان الصفا"	14
17	ابن سينا	ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما،من مؤلفاته"القانون".	13،14
18	ابن الهيثم	أبو علي الحسن بن الهيثم ،فلكي ورياضي من أهل البصرة ،اشتهر في علم البصريات، من مؤلفاته :"المناظر".	14
19	ابن رشد	أبو الوليد محمد بن رشد فيلسوف، وطبيب، وفقيه، وقاضي، وفلكي، وفيزيائي,مسلم. من أشهر مؤلفاته "تهافت التهافت".	14

20	جوردانو برونو	(Bruno) فيلسوف إيطالي ،من الرافضين لفلسفة أرسطو حكم علية بالهرطقة من الكنيسة الكاثوليكية .	15
21	ديكارت	(Descartes)رينيه ديكارت، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة" من أشهر كتبه " مقالة الطريقة".	15
22	ليبتنز	(Leibniz)غوتفريد فيلهيلم لايبنتز. فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات ومحام ألماني الجنسية.من أتباع الفلسفة المثالية.	15
23	هيوم	(Hume)ديفيد هيوم، فيلسوف ومؤرخ إنجليزي،منشئ الفلسفة الظاهرية	15
24	كلارك	(Clarke)صمويل كلارك فيلسوف إنكليزي ،من أشهر كتبه "إثبات الوجودوصفات الله".	15
25	حبيب مونسي	أحد النقاد العرب المعاصرين ،من جامعة سيدي بلعباس بالجزائر.	21
26	ابن خلدون	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ،مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي،له عدة مؤلفات أهمها " مقدمة ابن خلدون ".	17
27	كانت	(Kant)إيمانويل كانت فيلسوف ألماني من ،من كتبه (نقد العقل المحض).	19،18
28	بوتور	(Butor) أديب فرنسي ،ناقد واسع الثقافة ،من رواد الرواية الجديدة.	17
29	إميل دوركايم	(Durkheim)فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي.يعد أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث, من مؤلفاته طفي تقسيم العمل الاجتماعي".	19،18
30	بيتريم سوروكين	(Pitirim Sorokin)عالم اجتماع روسي ، عضو بارز في أكاديمية العلوم الاجتماعية الأمريكية من مؤلفاته المشهورة: نسق علم الاجتماع و نظرية القانون .	19
31	لوباتشفسكي	(Lobatchevski)عالم رياضة روسي. كان رائداً في الهندسة غير الأقليدية.	19

32	ريمان	(Riemann)جورج فريدرش برنارد ريمان ، عالم رياضيات ألماني.	19
33	غالب هلسا	أديب أردني ،عمل في الترجمة الصحفية، وكتب قصصاً وروايات، وترجم الأدب والنقد،توفي عام 1989.	53،22،20
34	ابن سلام الجمحي	هو محمد بن سلام الجمحي ،ناقد متخصص في القرن الثالث الهجري ، من كتبه "طبقات الشعراء".	20
35	الجاحظ	هو أبو عثمان عمرو بن بحر ،من مؤلفاته "الحيوان".	20
36	ابن قتيبة	أبو محمد عبد الله، أديب فقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيره.	20
37	القيرواني	أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، أديب و ناقد و شاعر. عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين .	20
38	المرزباني	إخباري ومؤرخ وأديب، خراساني الأصل، كان معتزليًّا. له عدة كتب منها معجم الشعراء والموشح .	20
39	الفراهيدي	الخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ عصره في اللغة العربية من علماء اللغة العربية، تميز الفراهيدي في علم الموسيقى، والرياضة والترجمة.	20
40	ابن حزم الأندلسي	علي بن حزم الأندلسي، أديب، وشاعر، وناقد محلل، بل وصفه البعض بالفيلسوف، من أشهر كتبه " طوق الحمامة".	20
41	الشقندي	إسماعيل بن محمد الشقندي أبو الوليد من أدباء الأندلس، توفي بإشبيلية.	20
42	خالدة سعيد	ناقدة سورية،زوجة الشاعر والمفكر السوري أدونيس، لها العديد من الكتب والمقالات في مجال النقد الأدبي.	25
43	باومجارتن	(Baumgarten)هو عالم جمال وفيلسوف ألماني،أول من أدخل مصطلح "علم الجمال" ليصف به الدراسات الإنسانية لتعريف الجميل.	30
44	توفيق الحكيم	كاتب وأديب مصري، من رواد الرواية والكتابة المسرحية العربية ،من أعماله : عودة الروح ، عصفور من الشرق.	31

45	حسين زيدان	شاعر جزائري،من مدينة باتنة الجزائرية ،تميزت أشعاره بالالتزام روحيا وأخلاقيا، توفي بعد صراع مع مرض السرطان.	31
46	إيليا أبوماضي	شاعر مهجري ، وأحد أعضاء الرابطة القلمية ، أصدر مجلة " السمير" عام 1929م،هاجر إلى أمريكا الشمالية ، له عدة دواوين وكتابات نثرية متفرقة.	32
47	تزفيتان تودودروف	(Todorove)فيلسوف فرنسي-بلغاري وقد ركزت اهتمامات تودوروف التاريخية حول قضايا حاسمة مثل غزو الأمريكتين ومعسكرات الاعتقال النازية والستالينية.	32
48	رومان جاكبسون	(Jackobson)عالم لغوي، وناقد أدبي روسي من روادالمدرسة الشكلية الروسية .	32
49	كمال أبو ديب	ناقد عربي، من مؤلفاته «جدلية الخفاء والتجلي»	32
50	أدونيس	علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس شاعر سوري، من كتبه" الثابت والمتحول.	32،52
51	الأخضر بركة	أديب وشاعر وناقد جزائري،له مؤلفات وديوان شعر باللغة الفصحى ، وبعض المقالات النقدية.	33
52	عزالدين المناصرة	شاعر وناقد ومفكر من مواليد محافظة الخليل بفلسطين ،له عدة دواوين شعرية وكتب نقدية .	33
53	حسن فتحي	معماري أبدع العديد من التصميمات المعمارية المميزة وعني بسكن الفقراء لقب بشيخ المعماريين – معماري الفقراء .	40
54	محمد بنيس	شاعر مغربي حداثي ،يساهم بحيوية في الحداثة الشعرية على المستويين العربي والدولي.	41
55	حورية الظل	ناقدة وقاصة من المغرب لها مجموعة قصصية نون النسوة.	41
56	عبد الملك مرتاض	أديب وناقد جزائري ، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.	42
57	جوليا كريستيفيا	(Julia Kristeva)أديبة, عالمة لسانيات, محللة نفسية, فيلسوفة ونسوية فرنسية من أصل بلغاري.	42

58	تيسيرالألوسي	ناقد وأديب عراقي ،وأستاذ المحاضر في الأدب العربي الحديث والنقد الأدبي في الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك.	43
59	فلاديمير بروب	(Vladimir Propp)عالم روسي اشتهر بدراسته الشكلانية للحكاية الشعبية على نحو أسهم في تطوير المنهج البنيوي الشكلاني .	43
60	عبدالله الغذامي	ناقدأدبي وثقافي سعودي, من كتبه (الخطيئة والتكفير، النقد الثقافي).	46
61	إدوارد سعيد	ناقد وأديب فلسطيني كان أستاذا جامعيا للغة الإنكليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية .	49
62	هيرقليطس	(Heraclitusof)فيلسوف يوناني، قبل سقراط، قال بالتغيّر الدائم.	50
63	الماغوط	شاعر وأديب سوري ،من رواد قصيدة النثر في الوطن العربي من أعماله :العصفور الأحدب،غرفة بملايين الجدران.	55
64	مريد البرغوثي	شاعر فلسطيني من قرية دير غسانة قرب رام الله في الضفة الغربية ، عانى كثيرا نتيجة النفي من بلده ومن مصر .	68
65	رضوى عاشور	قاصة وروائية و ناقدة أدبية مصرية. يتميز أدبها بثيمات التحرر الوطني و الإنساني، فضلا عن الرواية التاريخية.	68
66	دير غسانة	قرية فلسطينية تقع في الضفة الغربية من أراضي فلسطين، وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي في عام 1967 .	68
67	ريلكه	(Rilka)شاعر ألماني، حداثي،أشهر أعماله "مرثيات دوينو".	172

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: (رواية حفص عن عاصم)

المصادر :

أ-الأعمال الشعرية:

- **البرغوثي(تميم).**

- مقام عراق،ط1،أطلس للنشر والتوزيع،القاهرة ،2005 .
- في القدس،ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع،القاهرة، 2009.

ب-المصادر السمعية البصرية:

- حوار على قناة الميادين ضمن برنامج تلفزيوني بعنوان "بيت القصيد"من إعداد وتقديم الأستاذ، زاهي وهبة ،2012/10/23، الساعة العاشرة مساء بتوقيت السعودية. والوصلة كاملة:https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw

المراجع :

أ-المراجع العربية :

(أ)

- **إسبر (علي أحمد).**
- كلام البدايات،ط1،دارالآداب ،بيروت ،1989.
- **إسماعيل(عز الدين).**
- الأسس الجمالية في النقد العربي "عرض وتفسير ومقارنة"،ط1،دارالفكرالعربي،القاهرة، 1994.
- **إسماعيل(قباري محمد).**
- علم الاجتماع والفلسفة،ط2،ج2،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، مصر ،1968.

(ب)

- **بحراوي(حسن).**

- بنية الشكل الروائي،ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب ، 2009 .

- **بدوي(عبدالرحمن).**

- مدخل جديد إلى الفلسفة، ،(د. ط)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1975.

- الزمان الوجودي،ط3،مكتبة النهضة المصرية،1955.

- **بركة (الأخضر).**

- الريف في الشعر العربي الحديث ،قراءة في شعرية المكان،ط1،دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر ،2002.

- **بلهد (حمد سعود)**

- جماليات المكان في الرواية السعودية،دار الكفاح للطباعة والنشر،الدمام-السعودية،2008.

- **بنيس(محمد).**

- الشعرالعربي الحديث بنياته وإبدالاتها،ط1،دارتوبقال للنشر،،الدار البيضاء المغرب،2001.

(ح)

- **حداد(علي).**

- جماليات المكان عبر ذاكرة الطفولة، قراءة في الانبهار والدهشة ل"زيد مطيع دماج"،ط1 اليمن ،2009.

- **حسين(خالد حسين).**

- شعرية المكان في الرواية الجديدة الرياض،ط1،مؤسسة اليمامة،العدد83، 2008.

- **حسين(فهد).**

- المكان في الرواية البحرينية،ط1،فراديس للنشر والتوزيع ،البحرين، 2003.

- **الحلو(عبده).**

- ابن سينا فيلسوف النفس البشرية،ط1، بيت الحكمة ، بيروت ، 1967.

- **حمودة(حنان).**

- الزمكانية وبنية الشعر المعاصر،ط1،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،2006 .

(د)

- **داغر(شربل).**

- الشعرية العربية الحديثة(تحليل نصي)ط1،دارتوبقال للنشر ،الدار البيضاء، المغرب،1988.

- **الداية(فايز).**

- جماليات الأسلوب،ط2، دار الفكر ، سوريا ، 1996.

- **الدمرداش (سعيد).**

- الحسن بن الهيثم،(د.ط)، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1969 .

(ر)

- **الرباعي(عبد القادر).**

- جماليات المعنى،ط1، المؤسسة العربيةللنشر،الأردن،1999 .

- الصورة الفنية في شعر أبي تمام، منشورات جامعة اليرموك، إربد ،اليرموك1980.

- **ريان(محمد علي).**

- تاريخ الفكر الفلسفي،أرسطو،(د.ط)،ج1،الدارالقوميةللطباعةوالنشر،القاهرة 1966.

(ز)

- **زايد(عبدالصمد).**

- المكان في الرواية العربية" الصورة والدلالة"،ط1،دارمحمد للنشر،تونس،2003.

(س)

- **سعيد(خالدة).**

- حركية الإبداع،(د.ط)،دار العودة،بيروت، 1979

(ش)

- **شرتح(عصام).**

- تميم البرغوثي :ميزات الأسلوب الشعري.دراسة نصية في المحفزات الجمالية ومختارات شعرية ،ط1،دار صفحات للدراسات والنشر ،دمشق ،2012.

(ص)

- **الصائغ(عبدالإله).**

- الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية،ط1،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،1999.

- **صالح(صلاح).**

- قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر،ط1،دار الشرقيات، القاهرة ، 1997.

(ط)

- **الطرابلسي(محمد الهادي).**

- بحوث في النص الأدبي ،ط1، الدار العربية للكتاب، تونس،1988.

(ظ)

- **الظل(حورية).**

- الفضاء في الرواية العربية الجديدة ،ط1،دار نينوى للنشر والتوزيع،سوريا،2011.

(ع)

- **عبيدي(مهدي).**

- جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة،ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب ،2011.

- **عصفور(جابر).**

- الصورة الفنية في التراث النقدي،ط1، دار المعارف ،القاهرة، 1992

- **عقاق(قادة).**

- دلالة المكان في الخطاب الشعري العربي المعاصر: دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ،(د.ط)، اتحاد الكتاب العرب،دمشق 2001 .

- **عيد(رجاء).**

- القول الشعري، منظورات معاصرة،ط1،منشأة المعارف، مصر ، 1995 .

(غ)

- **الغذامي(عبد الله).**

- الخطيئة والتكفير:من البنيوية إلى التشريحية(Deconstruction):قراءةنقدية لنموذج إنساني معاصر:مقدمةنظريةودراسة تطبيقية،ط3،دارسعاد الصباح، الكويت ،1993.

(ف)

- **الفيصل(سمر روحي).**

- بناء الرواية العربية السورية،ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،1995 .

(ق)

- **سيزا(قاسم).**

- القارئ والنص،ط1،مكتبة الأسرة ضمن سلسلة، " انسانيات" القاهرة ، 2014.
- بناء الرواية ،ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1984.

(ك)

- **كحلوش(فتيحة).**

- بلاغة المكان،ط1،دار الانتشار العربي ، بيروت،لبنان ، 2008.

(ل)

- **لحمداني(حميد).**

- بنية النص السردي،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان، 1991.

(م)

- **ماضي (إيليا).**

- الأعمال الشعرية الكاملة،ط2،دار العودة ،بيروت،1985.

- **المحادين(عبدالحميد).**

- جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية،ط1،المؤسسةالعربية للدراسات والنشر ،الاردن، عمان، 2001.

- **محدي (محبوبة).**

- جماليات المكان في قصص سعيد حورانية،ط1،الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق، 2011.

- **مرتاض(عبدالملك).**

- القصة الجزائرية المعاصرة،ط4،دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

- **المرزباني(محمد بن عمران).**

- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ،(د.ط)جمعية نشر الكتب العربية، المطبعة السلفية، القاهرة ، 1343.

- **المرزوقي(سمير)، جميل(شاكر).**

- مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر ، الجزائر، ، (د .ط)،(د .ت) .

- **مسلم (طاهر عبد).**

- عبقرية الصورة والمكان،ط1، دار الشروق ، القاهرة ،2002.

- **مونسي(حبيب).**

- فلسفة المكان في الشعرالعربي،قراءةموضوعاتيةجمالية،ط1،اتحادالكتاب العرب، دمشق، 2001.

- **ابن الملوح(قيس).**

- الديوان ط1،دار الفكر العربي، بيروت،1994 .

- **المنصوري(جريدي).**

- شاعرية المكان،ط1،دار العلم للطباعة والنشر، السعودية، 1992.

(ن)

- **النابلسي(شاكر).**

- جماليات المكان في الرواية العربية،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994.

- **نجمي(حسين).**

- شعرية الفضاء السردي،ط1،المركز الثقافي العربي ،بيروت،2000 .

- **النصير(ياسين).**

- إشكالية المكان في النص الأدبي،ط1، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 .

- **أبو نواس(الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي).**

- الديوان،ط2،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،2005.

(و)

- **الوافي(نجيب).**

- مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية(من التأسيس إلى التجنيس)،ط1، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، 1987.

ب-المراجع المترجمة إلى العربية :

- **باشلار(غاستون).**

- جدلية الزمن ،ترجمة: خليل أحمد خليل،ط3،ديوان المطبوعات الجزائرية، 1992 .

- جماليات المكان،ترجمة غالب هلسا،ط2،المؤسسةالجامعيةللدراسات والنشر،لبنان 1984 .

- **برادلي(فرانسيس هربرت).**

- مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة ، ترجمةد.محمد توفيق الضوى،منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ط) ، 2003.

- **ديفيز(ب-س).**

- المفهوم الحديث للمكان والزمان ،ترجمة السيد عطا،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1996 .

- **سانتيانا(جورج).**

- الإحساس بالجمال ، تخطيط النظرية في علم الجمال ،ترجمة محمد مصطفى،ط1،المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

- **سعيد(إدوارد).**

- الثقافة والامبريالية،ط2،ترجمة (كمال أبوديب) دار الآداب ،بيروت،1988.

- **سوريو(إتيان).**

- الجمالية عبر العصور ،ترجمة ميشال عاصي،ط2، منشورات عويدات، لبنان،1982م .

- **لالو(شارل).**

- مبادئ علم الجمال"الاستطيقا"،ترجمة:مصطفى ماهر،المركز القومي للترجمة،ط1 القاهرة ، 2010.

- **الكتب الجامعة**

- مشكلة المكان الفني، (بحث)ترجمة سيزا قاسم ،جماليات المكان، مجموعة من الباحثين، عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط2، 1988.

- **المعاجم والقواميس :**

- **الأب (لويس شيخو)**

- المنجد في اللغة والأعلام ،(منشورات دار المشرق). ، بيروت ،ط 34 ،1994 .

- **ابن منظور(جمال الدين).**

- لسان العرب،تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد العبيدي ، ط1، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996.

- **الرازي(محمد بن أبي بكر).**

- مختار الصحاح،تخريج وتعليق د. مصطفى ديب البغا،ط2،اليمامة للطباعة والنشر ، 1987 .

- **علوش(سعيد).**

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ،عرض وتقديم وترجمة:سعيد علوش ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت-لبنان،وسوشبريس،الدار البيضاء-المغرب،ط1، 1985 .

- **(مجمع اللغة العربية).**

- المعجم الوسيط ، مطابع الاوفست ، القاهرة ، الجزء الثاني ، ط3 ، 1985 .

- **لالاند(اندريه).**

- موسوعة لالاند الفلسفية،ترجمةخليل أحمدخليل،المجلد الثاني ط2،منشورات عويدات، بيروت ، باريس ، 2001 .

المجلات والجرائد :

-النسخة الورقية:

- مجلة آفاق عربية، العدد 18، تصدر بغداد،1984.
- مجلة الآداب البيروتية ،تصدر بلبنان، العدد1-3،عام 1986.
- مجلة أبحاث كلية التربية، معهد إعداد المعلمين،نينوى، العراق، المجلد11،العدد2،1997.
- مجلة الأسبوع الأدبي ، تصدر عن اتحاد كتاب العرب، دمشق ، العدد 1314، 2012 .
- مجلة الأسبوع الأدبي ،تصدر عن اتحاد كتاب العرب-دمشق، العدد926، 1993.
- مجلة أفكار ، تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية ، العدد244،1993.
- مجلة ألف، تصدر عن عيون المقالات ، في الدار البيضاء ، ط2، 1988.
- مجلة التبيين الجاحظية،تصدر عن الجمعية الثقافية الجاحظية،الجزائر، مج3 ،ع 372 ، 1990.
- مجلة الجامعة الاسلامية،تصدر عن جامعة الأقصى،غزة- فلسطين.المجلد 15،العدد الثاني، ص267 ، 2005م.
- مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية،تصدر في دمشق ،المجلد 27،العدد(1) 2005.
- مجلة علامات في النقد،تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ج52، م13، يونيه 2004 .
- مجلة غيمان،تصدر عن دار صنعاء للنشر ، العدد 8 ، السنة صيف2009.
- مجلة الموقف الأدبي ، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، سورية ، العدد (403) 2004م.

-النسخة الالكترونية :

- الألوسي ، عبد الجبار ، المكان ودوره السردي المعهد الوروبي العالي لدراسات العربية ، مقالة نقلا عن موقع الواب والوصلة كاملة : http://www.averroesuniversity.org
- بلريسول ، عبد الغفور ، تأملات فلسفية وعلمية حول مفهوم الزمان والمكان ، مقالة ضمن موقع الكاتب مباشرة على الواب والوصلة كاملة :www.berraissoul.com/articles
- البوعلي ، آسية ، مقالة ضمن مجلة نزوى الالكترونية 2009/7/14 على صفحة الواب والوصلة كاملة : http://www.nizwa.com
- جمعة ، مصطفى عطية ، المكان (المفهوم والسميوطيقيا) مقالة ضمن جريدة الرأي الكويتية ، مجلة أقلام الثقافية / الاثنين (2010/5/24) نقلا عن موقع الجريدة على الواب والوصلة كاملة هي http://www.alraimeidia.com/alrai/article
- الجميلي ، سعد، تذوق المكان ، مقالة ضمن موقع عرب على الواب والوصلة كاملة: http://www.arab-eng.org/vb/showthread.php
- الجيار،مدحت،جماليات المكان في المسرح-صلاح عبد الصبور-،مقالة ضمن موقع الجامعة الأمريكية بالقاهرةقسم الأدب المقارن ، العدد السادس 1986ربيع،والوصلة كاملة http://repository.yu.edu
- حامد ،محمود، ذاكرة الشعر... ذاكرة الوطن .. الشاعر تميم البرغوثي ، مقالة نقدية ضمن مجلة تابعة لمؤسسة القدس للثقافة والتراث 2012/9/23 والوصلة http://alqudslana.com
- حمادي،صبري مسلم ،دلالة البعدين المكاني والزماني،مقالة نقدية ضمن موقع "اليمني الأمريكي ،نت" السبت/2 /2011والوصلة كاملة : http://www.yemeniamerican.com
- درويش، كفاح ، الأدب السياسي الساخر،مقالة ضمن صحيفة القدس العربي،2011/12/12والوصلة كاملة: http://www.alquds.co.uk
- الزهراني،صالح سعيد، الفلسفة الجمالية عند حمزة شحاتة، مقالة إلكترونية ضمن الواب والوصلة: https://uqu.edu.sa
- السباعي ،نوال، أمير الشعراء تميم البرغوثي ، مقالة نقدية ضمن مجلة مداد القلم الالكترونية ، والوصلة كاملة http://www.midadulqalam:

- السميري، طامي،بين الرحابة والضيق الشاعر.. ومأزق تشكل المعجم الشعري، صحيفة الرياض اليومية، الخميس 20 جمادى الآخرة 1428هـ - 5 يوليو 2007م - العدد 14255 مقالةإلكترونيةضمن موقع الواب والوصلة كاملة:http://www.alriyadh.com/262183
- الشامي ، عبد العال عبد المنعم ، جغرافية المدن عند العرب، عالم الفكر- وزارة الإعلام الكويتية، المجلد التاسع ،العدد الأول 1978 ، 46 صفحة ،على موقع الواب والوصلة كاملة http://www.liilas.com .
- شبلا ، سمير اسطيفو ، المكان عند كانت ، مقالة ضمن موقع الحوار المتمدن: 238660، 2008،8، ورابطه على الواب :http://www.ahewar.org
- صلاح،عبد الله زيد،جماليات المكان في شعر حسن الشرفي، مقالة منشورة في مجلة غيمان ،مجلة يمنية،العدد الثامن ،صيف2009، والوصلة كاملة: http://www.ghaiman.net
- عثمان ، اعتدال ، جماليات المكان ، مقالة ضمن موقع الصحافة على الواب والوصلة كاملة . http://www.alsahafasd.net
- نشوان،حسين،قراءة المقال معرفيا، مقالة نقدية ضمن جريدة الرأي الأردنية ،2012/12/21 على صفحة الواب والوصلة كاملة http://www.alrai.com
- يحياوي ،رشيد، الصورة المكانية شعريا ،مقالة ضمن مجلة نزوى الالكترونية – مجلة أدبية ثقافية فصلية تصدر عن مؤسسة عمان للنشر والتوزيع ،العدد53 ، 2009/7/18/ والوصلة كاملة :http://www.nizwa.com/articles.php?id=1957

الرسائل الجامعية وأطاريح الدكتوراة :

أ- رسائل الماجستير:

- أوريدةعبود،المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، (رسالة ماجستير)،كليةالآداب واللغات ، الجزائر.
- بن عمارة،منصورية،المكان في الشعر المغربي القديم،(رسالة ماجستير)،كليةالآداب واللغات ،جامعةأبي بكر بلقايد،تلمسان،تحت إشراف :أ.د.محمد مرتاض.2010، .

- الرشيدي ، بدر نايف ، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ،بإشراف ، عبد الرؤوف زهدي 2011.
- العامري ، ساهرة، المكان في شعر ابن زيدون ، (رسالة ماجستير) كلية التربية، جامعة بابل ، بإشراف أ.د هناء جواد ، 2008 .
- كريم ، حسن داخل،وحسن عبد عودة المكان رمزا في قصائد أدونيس القصيرة (بحث مشترك) ،مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب ، جامعة الكوفة المجلد1،العدد 17،2009.

أطاريح الدكتوراة:

- خرفي ، محمد الصالح ،جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ،(أطروحة دكتوراة) جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، بإشراف أ.د يحيى الشيخ صالح ، 2005-2006 .
- مجناح،جمال،جماليات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصربعد1970، أطروحة دكتوراة كليةالآداب والعلوم الإنسانية ،جامعةالحاج لخضر باتنة،الجزائر،إشراف:أ.دالعربي دحو ،2008.

مواقع الواب :

- http://www.sharabati.org/vb/showthread.php?t=19
- https://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag24/f19.htm
- http://www.alriyadh.com/262183
- http://www.arab-eng.org/vb/showthread.php/112466-that-Taste-Of-
  http://www.averroesuniversity.org/au/index.php?option=com_content&vie
- www.berraissoul.com/articles
- http://www.liilas.com/vb3/t48071.html.
- http://www.alrai.com/article/558310.html
- http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145177
- http://www.nizwa.com/articles.php?id=1712
- http://repository.yu.edu.jo/handle/123456789/540785?show=full
- http://www.ghaiman.net/derasat/issue_08/jamalyat_almakan.htm
- http://www.yemeniamerican.com/show.php?yid=192
- http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=today\23qpt897.htm&arc=dat
- : http://www.nizwa.com/articles.php?id=1957
- http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=4020
- http://www.midadulqalam.info/midad/modules &sid=532
- https://www.youtube.com/watch?v=RnHiQs4o2kw

جماليات المكان عند تميم البرغوثي

الطالبة : **إشراف الدكتور:**

جيهان أبو العمرين **حبيب بو هرور**

ملخص البحث

ازدادت العناية في السنوات الأخيرة بدراسة البنى المكانية في الأدب بوجه عام والشعر بوجه خاص، وبدا ذلك واضحا عبر معالجات الباحثين والنقاد بفضل تطور النقد الحديث وتعدد مناهجه ونضج رؤاه أولا، ولِما تشكله تلك البنى من أهمية بالغة في تشكيل الفضاء الدلالي الذي تفصح عنه النصوص؛ لذا كانت غاية هذه الدراسة استجلاء جماليات المكان عند الشاعر تميم البرغوثي، وتكمن جدّة الدراسة لمقاربتها تشكّل المكان وتمظهره بكافة أبعاده ودلالاته ومستوياته عند تميم البرغوثي، عبر نصوصه الشعرية المنظومة بالفصحى أداة للكشف عن الأنساق الثقافية والرؤى الأيدلوجية المضمرة في تلك النصوص.

ولقد قادتني نظرتي إلى موضوع البحث ودوافعه، إلى البحث عن المنهج الملائم، بناء على ما حدّدته من علامات في العنوان. فوجدت أن أفضل منهج أقارب به مثل هذا الموضوع هو المنهج التاريخي، لأنه يسمح لي بتتبع الظاهرة الشعرية ورصد الموقف النقدي عبر مسارات تاريخية وزمنية مختلفة. كما استعنت بمجموعة أخرى من المفاهيم التي لا تندرج ضمن منهج محدّد، كالوصف، والتحليل، والتأريخ، أحيانا، والتأويل والقراءة في أحايين عديدة، وهي آليات إجرائية نعثر عليها في العديد من المناهج.

حُرر البحث في أربعة فصول، اثنان للجانب النظري واثنان آخران للجانب التطبيقي تناولت في الفصل الأول ماهية المكان وفلسفته وفي الثاني التمظهر الإجرائي للمكان من حيث الأنواع والدلالة والأبعاد والمستويات، أما الثالث والرابع فكانا للمقاربة التطبيقية وذلك عبر رصد تمظهر الأبعاد والدلالات المكانية في الفصل الثالث، ثممستويات المكان وبلاغته في المتن الشعري عند البرغوثي في الرابع... .

هذا والله الموفق

جيهان أبو العمرين

Abstract

Recently, there has been a great deal of interest in studying the spatial structure in literature in general, and in poetry, in particular. The said tendency has been demonstrated by many researchers and critics in their different endeavors by virtue of the development of modern criticism, plurality of its methods , maturity of its visions, and the role of those structures in shaping the interpretation and connotations of those texts. This study aims to reveal and highlight the aesthetics of the place in Tamim Al Barghouti's poetry. In fact, what makes this study quite unique in terms of its modernity is its tackling of spatial formation and appearance including all its dimensions , connotations, and level in Al Barghouthi's classical poetry as a means of unveiling cultural ideas and concepts hidden in the aforementioned texts.

My perception about the theme and motives of the topic urged me to look for the appropriate approach based on the signs embedded in the title. I found that the best approach to address the topic of this research is the historical approach as it allows me to trace the poetic phenomenon and observe the critical position through different historical and timeline tracks I have also used other concepts which do not fall under any other specific approach such as description, analysis, history. In some cases , I opted to use interpretation and reading, all of which are sometimes found in many methodologies and approaches.

The research comprises four chapters; two of them address the theoretical side, whereas the others tackle the practical aspects. In chapter one, I discus the originality and the philosophy of the place; in the second the appearance of the space in terms of its types, connotation, dimensions and levels. The third and the fourth chapters include the practical approach where chapter three observes the appearance of spatial connotations and dimensions, and chapter four addresses the level and rhetoric of the place in Al Barghouti's poetry.

May Allah guide us all to the right path.

Researcher,

Jehan Abu AlAmrein

الفهرس

المحتوى	رقم الصفحة
الإهداء	
المقدمة	**أ**
الفصل الأول (ماهية المكان وفلسفته)	**6**
أولا: المكان بين المفهوم والماهية:	**7**
ثانيا: المكان فلسفيا :	**12**
1- المكان من منظور فلاسفة اليونان والإغريق.	**12**
2- المكان في فكر الفلاسفة العرب القدماء .	**13**
3 - المكان في الفكرالفلسفي الحديث .	**15**
ثالثا : حضور المكان وتجلياته في الفكر الاجتماعي:	**18**
1-قديما .	**19**
2- حديثا.	**20**
رابعا : المكان من منظور فنيَ إبداعي:	**20**
1- عندالنقادالعرب قديما.	**20**
2- عندالنقاد الغربيين قديما .	**23**
3- في الفكر النقدي الحديث .	**25**
الفصل الثاني (التمظهر الإجرائي للمكان)	**36**
أولا : أنواع المكان :	**37**
1- الفضاء الطباعي.	**37**
2- المكان الجغرافي.	**38**
3-فضاء الدلالة.	**41**
ثانيا : دلالة المكان :	**43**
1-الدلالة الدينية .	**44**
2-الدلالة التاريخية.	**45**
3-الدلالة. الواقعية.	**46**
ثالثا : أبعاد المكان :	**47**
1- البعد النفسي والاجتماعي.	**47**
2- البعد السياسي والوطني.	**51**

رابعا : مستويات المكان:	**52**
1- المكان المفتوح .	**59**
2- المكان المغلق .	**60**
الفصل الثالث (تجليات المكان ، البعد والدلالة)	**63**
أولا : تميم البرغوثي شاعرا وإنسانا:	**64**
ثانيا : البعد النفسي والاجتماعي:	**73**
ثالثا : البعد الوطني والسياسي :	**89**
رابعا : البعد التاريخي والديني :	**102**
الفصل الرابع (مستويات المكان وبلاغته)	**124**
أولا : مستويات المكان في المتن البرغوثي :	**125**
1-المكان المغلق .	**126**
أ-المغلق الاجباري: ، القبر، الملجأ ، السجن.	**127**
ب-المغلق الاختياري: دور العبادة،الدور والبيت والبيوت، الغار ،أماكن الترفيه.	**133**
2-المكان المفتوح.	**142**
أ-مفتوح بلا حدود : السماء ،الأرض، الاتجاهات الأربع ، الغيم.	**144**
ب-مفتوح بحدود :القدس ، المدن والقرى ، الشوارع والطرقات .	**151**
ثانيا :بلاغة المكان وجمالياته لغويا وفنيا:	**161**
1-المكان وجمالية البنية اللغوية .	**161**
أ-جماليات الاستهلال والخواتيم الشعرية.	**162**
ب-تشكل المعجم الشعري ودوره في بلاغة المكان.	**166**
ج-المكان وخصوصية التركيب .	**171**
2-بلاغةالمكان بين الوصف والصورة الشعرية.	**176**
أ-الصورة المفردة والصورة المركبة .	**177**
ب- جماليات الصورة والسرد الشعري	**179**
ج- الصورة المكانية وكثافة الرمز .	**182**
الخاتمة	**189-185**
قائمة الأعلام والمصطلحات	**197-190**
المصادر والمراجع	**210-198**

ملخص البحث باللغة العربية	**211**
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	**212**
الفهرس	**215-213**